الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

المدرسة الإماراتية

2022-2023

اللّغةُ العربيّةُ

كتابُ النّصوصِ

الصف
10

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

كِتابُ النّصوصِ

الصّفُّ العاشِرُ

الطّبعة السابعة 1443 - 1444 هـ / 2022 - 2023 م

رسالةٌ إلى الطالب

«يجبُ أنْ يكونَ الكتابُ فأسًا للبحرِ المتَجَمِّدِ فينا»
(كافكا)

عزيزي الطالب،

هذا كِتابٌ صُمِّمَ ليكون رفيقًا لك وصديقًا؛ ستجد فيه النصوص المقرَّرة في كتاب التّطبيقات اللغويّة، ونصوصًا أخرى رديفة، في كُلِّ فنّ من فنون القول: القُرآن الكريم، والحديث الشريف، والنّصوص الأدبيّة، ونصوص الرّأي، والنّصوص المعلوماتيّة. وهو دعوةٌ منّا لتكون القراءةُ طَقسًا من طقوس حياتك اليوميّة، تجد لها متّسعًا من الوقت، فتخلو فيه بكتابٍ تقرؤه بحريّة، وتبحر في عوالمه بهدوء وسلام.

إنّ التّحرّر من نمطِ الحياةِ المقيّدةِ بالدروسِ المقرّرة والاختباراتِ إلى الحياة المنفتحة على الثقافة والمعرفة بكلِّ أشكالِها وألوانِها هو الّذي سيمنحُك أدواتِ نجاح راسِخةً وممتدّة ومتناميةً، وهو الّذي سينير بصيرتَك لترى الحياةَ أكبَرَ بكثير من مجرّد مدرسة وصفٍّ ودرس. إنّنا نحثّك على أن تجعل للقراءة في هذا الكتاب وكتبٍ أخرى وقتًا تقتطعه من يومك، ولو كان قصيرًا، ونشجّعك على أنْ تجعلَ لقراءاتك في هذا الكتاب والكتب الأخرى صدى في حياتِك، فتتحدّث عنها مع أصدقائك وعائلتك، وتكتبُ عنها على صفحاتك الشخصيةِ في مواقِع التواصل الاجتماعيّ؛ فكلُّ هذا سيُسهمُ إسهامًا ملموسًا في بناءِ شخصيّتك، وتعزيز ثقتِك بنفسِك، وتزويدك بمفاتيح النجاح الدائم المستمر.

عزيزي الطالب،

إنّ القراءة، وقراءة الأدب على وجه الخصوص، تساعد المرء على أن يكونَ أكثر فهمًا للحياة والناس، وأوسع أفقًا، وإنّ هذا النوع من القراءة هو الّذي يجعل الإنسان أكثر تواضعًا وتسامحًا وذكاءً. إنّ كلّ قصة أو رواية تقرؤها هي بمثابة بوابة تُفتح لك لتُبْصِرَ الحياة بتفاصيلها الصغيرة، تلك الّتي قد لا ننتبه لها ونحن نمارس واجباتنا اليوميّة، ونغدو ونروح مع الغادين والرائحين. إنّ هذه البوّابة هي الّتي تجعلك تستقرّ في قلوب الكثيرين من الناس، أولئك الذين تُكتبُ عنهم القصصُ، وتحكي حكاياتِهم الرواياتُ، فتعرف ما لم تكن تعرف، وتدرك ما لم يكن خطر لك على بال.

عزيزي الطالب،

إنّ قراءة الأدب تشبه الدخول في مرآة سحريّة كبيرة، تكشف لك وجوهًا لا نهاية لها للحياة، لفعل الزمان في الإنسان، وللإنسان في ضعفه وقوّته، في صدقه وكذبه، في عزّه وذلّه، في أنانيّته وظلمه، في رقّته وقسوته في أحزانه وأفراحه، وآلامه وأحلامه. وكلما انفتح كتابٌ بين يديْ قارئٍ في مكانٍ ما، في زمانٍ ما، استطالت مرآةٌ سحريةٌ أمامه ليرى ما لم يكن يرُى، ويكشِفَ ما كان سيبقى محجوبًا للأبد لولا لحظة تبصُّرٍ قادته إلى أن يُمسِك بين يديه قصة أو روايةً ستجعلُه بعد أن يقلبَ الصّفْحة الأخيرة فيها يزداد يقينًا أنّ الخلود لا يكون إلا للخير والحق والجمال.

نرجو لك رحلةً ممتعةً ومفيدةً مع اللغةِ العربية.

الفهرس

يتم تعريف المحتوى على تطبيق التعلم الذكي

* القُرآنُ الكريمُ والحديثُ الشّريفُ 9
» القُرآنُ الكريمُ 11
» أحاديثُ شريفةٌ 13
* النُّصوصُ الأَدبيَّةُ 15
– الشِّعرُ 17
» الشِّعرُ الجاهليُّ 19
◊ إذا المرءُ لَمْ يدنسْ – السَّموألِ بنِ عادياءَ 23
◊ قال طرفة بن العبد 24
» الشِّعرُ في عصرِ صدرِ الإسلامِ والعَصرِ الأمويِّ 25
◊ بانَ الخَليطُ – جريرُ بْنُ عطيَّةَ 29
◊ قالت الخنساءُ ترثي أخاها صخرًا 30
» الشِّعر في العصرِ العبّاسي 31
◊ حُلَلُ الرَّبيعِ – ابنُ وكيعٍ التّنيسيِّ 35
◊ قال البُحْترِيُّ يَصفُ الرَّبيعَ 36

ملاحظة:

النّصوص المعالجة في كتاب (التطبيقات اللّغويّة) تجد عناوينها مظلّلة باللّون الرّمادي.

وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION
معتمد
محتوى هذا الكتاب معتمد
من وزارة التربية والتعليم

» الشّعرُ العربيُّ الحديثُ 37
◊ أنا منْ بدّلَ بالصَّحبِ الكتابا – أحمدُ شوقي 41
◊ لا تَطْرُقِ البابَ – للشّاعرِ عبدالرّزّاق عبدالواحد 42
◊ سِفْرُ أيّوب – بدر شاكر السيّاب 43
» الحركةُ الشِّعريّةُ في دولةِ الإماراتِ العربيّةِ المُتّحدة 45
◊ شيخُ العربِ – للشّاعرِ محمد خليفة حاضر المهيري 47
◊ وطنُ العِطْرِ – للشّاعرِ علي الشعّالي 48
◊ إماراتُ الوفاءِ – للشّاعرِ ناصر البكر الزّعابي 49
◊ خَواطِرُ دَوْحَةٍ – للشّاعرِ الدّكتور شهاب غانم 50
◊ هُنا في الخليج – للشّاعرةِ صالحة عبيد غابش 51
◊ إماراتُ الابتكارِ والسّلام – للشّاعرِ نايف عبداللّه الهريس 52
» شِعرٌ عالميٌّ 53
– القِصَّةُ القصيرةُ 57
» القِصَّةُ القصيرةُ 59
◊ الخبزُ – (فولفجانج بورشيرت) 63
◊ مِصباحُ الحَمّامِ – لطيفةُ الحاجُّ 66
◊ زعترٌ وزنجبيلٌ – د. سعادُ العريمي 67
◊ الكَرْتونَةُ – نايف النَّوايْسَة 71
◊ الشّاعرُ النَّمِرُ – (تاكاشيما تون) 75
◊ الشَّقاءُ – (أنطون تشيخوف) 83
◊ الرَّجلُ العَجوزُ عندَ الجِسرِ – (إرنست همنجواي) 90
◊ العابرونَ فوقَ شظاياهُم – عبدالعزيز الفارسي 95
◊ بقعةُ زيتٍ – مريم الساعدي 99
– أدبُ السّيرِ والرّحلاتِ 103
» السّيرةُ الأدبيّةُ 105

◊ اسمُها تجربةٌ – (أرسكين كالدويل) 107
◊ الأيّامُ – طه حُسين 110
◊ ذكرياتٌ مدرسيّةٌ – عبدُ القادِرِ المازني 114

❋ نصوصُ الرّأي 119

– المَقالاتُ 121

» المقالةُ 123
◊ العتابُ صابونُ القلوبِ! – ميخائيل نعيمة 126
◊ الدُّولُ بينَ الابتكارِ أوِ الاندِثارِ – صاحبُ السّموِّ الشّيخُ محمدُ بنُ راشدٍ آلِ مكتومٍ 129
◊ (الفيس بوك) والعقلُ الجمعيُّ – د. موزة أحمد راشد العبّار 133
◊ الطّبيعةُ مدرسةٌ دائمةٌ – رشدي المعلوف 136
◊ كيفَ أنقذتْني الكتابةُ – سلطان العميمي 138

– الأعمدةُ الصّحفيّةُ 141

» العَمودُ الصّحفيُّ 143
◊ شَعْرَةٌ يَراها العالَمُ – مهرةُ بنتُ أحمدَ 145
◊ مَتى تَخْتَفي ظاهِرَةُ (السّيلْفي) – أحمدُ الحديديُّ 146
◊ اعترافاتٌ في عامِ القراءةِ – عبدُاللّهِ الشُّويخُ 147
◊ كاتبٌ وراءَ كاتبٍ وراءَ كاتبٍ – خالد السّويدي 149

❋ النّصوصُ المعلوماتيّةُ 151

» النّصوصُ المعلوماتيّةُ 153
◊ التّسوّقُ الإلكترونيُّ 156
◊ الأملُ والطُّموحُ 161
◊ كيفيّةُ تقديرِ الذّاتِ – عائشة نوفل 163
◊ تاريخُ الأعدادِ 166
◊ القِطاعاتُ السّبعةُ الأكثرُ استفادةً مِنَ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ في المُستقبلِ – (أدريان بريدجوتر) 168

القُرآنُ الكريمُ والحديثُ الشَّريفُ

القُرآنُ الكريمُ

قالَ اللّهُ تعالى:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

(سورةُ القلمِ)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أحاديثُ شريفةٌ

حديث "حُسنُ الخُلُقِ"

* عَنْ عبدِاللّهِ بنِ عَمرو بنِ العاص -رَضيَ اللّهُ عنهما- قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسولُ اللّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا. وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا».

(مُتَّفَقٌ عليهِ)

عن أَنَسِ بْنِ مالِكٍ قالَ:

* كنّا جُلوسًا مَعَ رسولِ اللّهِ ﷺ فقالَ: «يطلُعُ عليكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أهلِ الجنَّةِ»، فطلعَ رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ تَنْطِفُ لحيتُهُ مِنْ وضوئِهِ قد علَّقَ نعلَيْهِ بيدِهِ الشِّمالِ، فَلَمَّا كانَ الْغَدُ قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأولى، فَلَمَّا كانَ في الْيَوْمِ الثَّالِثِ، قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ مِثْلَ مَقالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلى مِثْلِ حالِهِ الْأولى، فَلَمَّا قامَ رسولُ اللّهِ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعاصِ فَقالَ: «إِنِّي لاحَيْتُ أَبي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَني إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضيَ فَعَلْتُ»، قالَ: «نَعَمْ». قالَ أَنَسٌ: وَكانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ باتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيالي الثَّلاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذا تَعارَّ وَتَقَلَّبَ عَلى فِراشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقومَ لِصَلاةِ الْفَجْرِ. قالَ عَبْدُ اللَّهِ: «غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقولُ إِلَّا خَيْرًا»، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلاثُ لَيالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: «يا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْني وَبَيْنَ أَبي غَضَبٌ وَلا هَجْرٌ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يَقولُ لَكَ ثَلاثَ مِرارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاثَ المِرارَ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ؛ لِأَنْظُرَ ما عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثيرَ عَمَلٍ، فَما الَّذي بَلَغَ بِكَ ما قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ؟»، فَقالَ: «ما هوَ إِلَّا ما رَأَيْتَ». فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعاني، فَقالَ: «ما هوَ إِلَّا ما رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ في نَفْسي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمينَ غِشًّا وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلى خَيْرٍ أَعْطاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ»، فَقالَ عَبْدُ اللَّهِ: «هَذِهِ الَّتي بَلَغَتْ بِكَ وَهيَ الَّتي لا تُطاقُ».

(ابنُ كَثيرٍ)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

النُّصوصُ الأَدبيَّةُ

الشِّعرُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشِّعرُ الجاهليُّ

الشِّعر الجاهلي هو الشِّعر العربي الذى قيل قبل الإسلام، وقد تميز العرب عن سواهم من الأمم الأخرى بصفاء القريحة وملاءمتهم بين بيئتهم وخيالهم وتأملهم، فكانوا أشعر الأمم. فالبادية بيئة الشِّعر الجاهلي، ولذلك كان الشِّعر مرآة لهذه الحياة البدوية القاسية الخشنة، يصف الأطلال والديار والانتجاع والظعن والفلاة والحيوان والمعارك وآبار المياه.

لقد كان الشِّعر ديوان حِكَمِ العرب وعلومهم، وَسِجلّ وقائعهم وسيرهم، ومادة حوارهم، يرتجلونه؛ ليعبّروا عما يختلج في صدورهم من عواطف وهموم. والشِّعر الجاهلي شعر غنائي ذاتي يصور نفسية الشّاعر وأحاسيسه، سواء أكان يتغزل أم يفخر أم يمدح أم يهجو أم يرثي أم يعاتب أم يعتذر أم يصف. لقد كان الشِّعر يُنشد إنشادًا أو يُغَنّى غناءً، فالغناء كان أساس تعلم الشعر.

وتظهر موسيقى الغناء في وزن القصيدة وحرف رويّها (قافيتها) الموحد؛ فإن كان حرف الرّوي (القافية) في القصيدة (الباء) تسمّى القصيدة (بائية)، وإن كان حرف الرّوي في القصيدة (الدّال) تسمّى القصيدة (دالية)، وإن كان حرف الرّوي في القصيدة (نونًا) تسمّى القصيدة (نونية)، كما تظهر الموسيقا في التصريع في مطلع القصيدة، والتصريع هو اتفاق آخر جزء من صدر البيت وآخر جزء من عجزه في الوزن والتقفية، كقول علقمة بن عبدة التميمي:

طحابِكَ قَلْبٌ في الحِسانِ طروبُ بُعَيدَ الشّبابِ عَصْرَ حان مشيبُ

وتظهر الموسيقا أيضًا في التقطيع الصوتي للأبيات، كقول امرئ القيس في معلقته يصف فرسه:

مِكَرٍّ، مِفَرٍّ، مُقبِلٍ، مُدْبِرٍ، معًا كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وقد تبوّأ الشّاعر الجاهلي مكانة مرموقة في عصره فكان لسان قبيلته، كما لعبت الأسواق الموسمية الكبرى دورًا مهمًا في التعريف بالشعراء ونقل أشعارهم بين القبائل الأخرى.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فالأسواق لم تكن للبيع والشراء فحسب، بل كانت -أيضًا- للخطابة والشِّعر، ومن أهم هذه الأسواق: سوق عكاظ، وهي سوق في صحراء بين نخلة والطائف شرق مكة، وكانت تستمر عشرين يومًا، وسوق ذي المجاز قرب يَنْبُعٍ، ويَنْبُعُ ثَغْرُ مدينة الرّسول ﷺ، وسوق مَجَنَّة قرب مكة.

ويذهب المؤرّخون إلى أن النّابغة الذُّبياني كان من المُحَكِّمين، تقام له في هذه الأسوق قُبّةٌ، يذهب إليها الشّعراء؛ ليعرضوا شعرهم عليه، فمن أشاد به ذاع صيتُهُ وتناقلت شِعره الرُّكبان.

والشِّعر الجاهلي شعر مرويّ، لم يُدوّن إلا في أوائل القرن الثاني للهجرة، وهذا ما يفسر ضياع أغلبه. فالكثير من رواته ذهبت بهم حروب الفتح، وأوفر هذه القصائد حظًّا من الحفظ هي المعلّقات أو المذهّبات، وقدُ عدّت المُعلّقات من أفضل ما وصلنا من العصر الجاهلي. ويزعم أغلب المؤرخين أنها سبع قصائد اختارتها العرب فكتبتها بماء الذهب، ثُمَّ علّقتها على الكعبة إعجابًا بها، وأصحابها هُمْ: امرؤ القيس، وزهير بن أبي سُلمى، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة.

وتتناول القصيدة الجاهليّة مجموعة من الموضوعات والعواطف المختلفة في بناءٍ ينقسم إلى ثلاثة أقسام، إذ يستهل الشّاعر القسم الأول بالبكاء على الديار القديمة (الوقوف على الأطلال) الّتي رحل عنها، وترك فيها ذكرياته، وهو بكاء يُرَدُّ إلى شاعر سبق امرأ القيس هو ابن خذام، كان أول من بكى على الأطلال، كما جاء في ديوان امرئ القيس:

عوجا على الطّلل المُحيل لَعَلَّنا نبكي الديار كما بكى ابنُ خِذامِ

والتّغزّل بالمحبوبة، أي التّشْبيب، وهوَ ينقسم إلى قسمين: غزل عفيف، يدور حول بثّ الشوق واللوعة، وغزل حسّي، يصف جمال المرأة: شعرها وعنقها وجبينها وعينها وأسنانها وطولها.. كما يصف ثيابها وزينتها وعفّتها، ومن الغزل العفيف يمكن أن نستشهد بما قاله عنترة بن شداد في ابنة عمه عبلة:

سأُضْمِرُ وَجدي في فؤَادي وأكْتُمُ وأَسْهرُ ليلي والعواذلُ نوَّمُ
وأطْمعُ من دَهري بما لا أنالهُ وألزمُ منه ذلَّ من ليسَ يرحمْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ثُـمَّ ينتقـل الشّـاعر إلـى وصـف ظُعنِهـا، أي ترحالهـا مـع قبيلتهـا إلـى مـكان آخـر بحثًـا عـن المـاء والـكلأ، كقـول المثقّـب العبـدي فـي قصيدتـه:

لِمَن ظُـعُـنٌ تَطَلَّعَ مِـن ضُبَيبٍ فَما خَرَجَت مِنَ الـوادي لِحينِ
يُشبِّهْنَ السَّفينَ وهـنَّ بختٌ عُـراضـاتُ الأبـاهِـرِ والشُّـؤونِ

والقسـم الثانـي هـو الرحلـة، يصـف فيـه الشّـاعر رحلتـه ووسـيلة تنقلـه، وكل مـا تقـع عليـه عينـاه فـي الصحـراء مـن حيـوان وزواحـف وطيـر، والمصاعـب الّتـي تعترضـه، والفـلاة الّتـي يقطعهـا ليبيّـن شـجاعته وبأسـه. يقـول طرفـة بـن العبـد واصفًـا ناقتـه وسـرعتها:

وَإِنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَـرُوحُ وتَغْتَدِي
أَمُـونٍ كَـأَلْـوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهَا عَلَى لاحِـبٍ كَـأَنَّـهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وأَتْبَعَتْ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَـوْقَ مَـوْرٍ مُعْبَّدِ

والقسـم الثالـث هـو الغـرض الرئيـس فـي القصيـدة، وهـو إمّـا فخـر أو مـدح أو رثـاء أو هجـاء أو عتـاب أو اعتـذار أو حكمـة.

فالفخـر فخـر بالقبيلـة وبالنفـس، وهـو مـن مُقوّمـات الحيـاة القبليّـة، يفخـر فيـه الشّـاعر بالنّسَـبِ والشـجاعة والكـرم والإسـراع إلـى معونـة الآخريـن، كقـول عنتـرة بـن شـداد:

لا تَضْحكي مني عُبيلةُ واعْجَبي مِنّـي إذا التفَّتْ عليّ جيوشُ
ورأيتِ رمحي في القلوبِ محكّمًا وعليهِ مِنْ فَيْضِ الدِّماءِ نقوشُ

والمـدح هـو ثنـاء علـى الممـدوح وفضائلـه ومآثـره، ويغلـب علـى أهـل البادية كمـا نـرى ذلـك عنـد امـرئ القيـس وزهيـر بـن أبـي سـلمى، ومـدح للتكسّـب يغلـب علـى أهـل الحضـر كمـا نـرى عنـد النابغـة الذبيانـي والأعشـى. يقـول امـرؤ القيـس مادحًـا بنـي تميـم لمّـا أجـاروه:

كَـأَنّـي إِذْ نَـزَلـتُ عَلى المُعَلّى نَزَلتُ عَلى البَـواذِخِ مِنْ شَمامِ
فَما مَلِكُ العِراقِ عَلى المُعَلّى بِـمُـقـتَـدِرٍ وَلا مَـلِـكُ الـشَـآمِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والرثاء هو مديح الميت، يصف فيه الشّاعر الجاهلي المرثي بجميع الصفات الّتي يصف بها الممدوح، ومثال ذلك رثاء الخنساء لأخيها صخر:

بَكَتْ عَيْني، وعاوَدَها قَذاها بعوَّارٍ فما تقضي كراها
على صَخْرٍ، وأيّ فتًى كصَخْرٍ إذا ما النّابُ لم تَرْأمْ طِلاها

والهجاء عكس المدح يوصف فيه المهجوّ وقبيلته بِضعة النّسب والجُبن والبخل.

يقول النابغة الذبياني هاجيًا عامر بن الطفيل:

فإن يك عامرٌ قد قال جهلا فإن مَطِيَّةَ الجهل السِّبابُ
فكن كأبيك أو كأبي براءٍ تصادفك الحكومة و الصوابُ

والحكمة، فهي قول موجز مشهور، يتضمن معنًى مسلمًا به، ويعبّر عن خُلاصة تجارب صاحبها في الحياة. يقول شاعر الحكمة زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ لا يُصانِعْ في أُمورٍ كَثيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنيابٍ وَيوطَأْ بِمَنسِمِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إذا المرءُ لمْ يدنسْ *

السَّموألِ بنِ عادياءَ

إِذا المَرءُ لَم يَدنَسْ مِنَ اللُّؤمِ عِرضُهُ ... فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ

وَإِن هُوَ لَم يَحمِلْ عَلى النَّفسِ ضَيمَها ... فَلَيسَ إِلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبيلُ

1) ما العاطفة المسيطرة على الشّاعر في هذا البيت؟ وما المعنى الضمني في قوله «إنّ الكرامَ قليل»؟

تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا ... فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليلُ[1]

وَما قَلَّ مَنْ كانَتْ بَقاياهُ مِثلَنا ... شَبابٌ تَسامى لِلعُلا وَكُهولُ

وَما ضَرَّنا أَنّا قَليلٌ وَجارُنا ... عَزيزٌ وَجارُ الأَكثَرينَ ذَليلُ

2) ما معنى الطرف؟

لَنا جَبَلٌ يَحتَلُّهُ مَنْ نُجيرُهُ ... مَنيعٌ يَرُدُّ الطَّرفَ[2] وَهْوَ كَليلُ

رَسا أَصلُهُ تَحتَ الثَّرى وَسَما بِهِ ... إِلى النَّجمِ فَرعٌ لا يُنالُ طَويلُ

3) ما معنى «حتف أنفه»؟

وَما ماتَ مِنّا سَيِّدٌ حَتفَ أَنفِهِ[3] ... وَلا طُلَّ مِنّا حَيثُ كانَ قَتيلُ

تَسيلُ عَلى حَدِّ الظُّباتِ نُفوسُنا ... وَلَيسَتْ عَلى غَيرِ الظُّباتِ تَسيلُ

صَفَونا فَلَم نَكدُرْ وَأَخلَصَ سِرَّنا ... إِناثٌ أَطابَتْ حَملَنا وَفُحولُ

عَلَونا إِلى خَيرِ الظُّهورِ وَحَطَّنا ... لِوَقتٍ إِلى خَيرِ البُطونِ نُزولُ

فَنَحنُ كَماءِ المُزنِ ما في نِصابِنا ... كَهامٌ وَلا فينا يُعَدُّ بَخيلُ

وَأَيّامُنا مَشهورَةٌ في عَدُوِّنا ... لَها غُرَرٌ مَعلومَةٌ وَحُجولُ

سَلي إِنْ جَهِلتِ النّاسَ عَنّا وَعَنهُمُ ... فَلَيسَ سَواءً عالِمٌ وَجَهولُ

*) ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ص90.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قال طرفة بن العبد

وإنْ كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلًا ... فَأَرْسِلْ حكيمًا ولا توصِهِ
وإنْ ناصحٌ منكَ يومًا دنا ... فلا تَنْأَ عنْهُ ولا تُقْصِهِ
وإنْ بابُ أمرٍ عليكَ الْتَوى ... فشاوِرْ لَبيبًا ولا تَعْصِهِ
وذو الحقِّ لا تنتقصْ حقَّه ... فإنَّ القطيعةَ في نقصهِ
ولا تذكرِ الدّهرَ في مجلسٍ ... حديثًا إذا أنتَ لم تُحْصهِ
وَنُصَّ الحديثَ إلى أهلهِ ... فإنَّ الوثيقةَ في نَصِّهِ
ولا تحرصنَّ فرُبَّ امرْئٍ ... حريصٍ مُضاعٌ على حرصهِ
وكم مِن فتًى ساقطٍ عقلُه ... وقد يُعجَبُ الناسُ مِن شخصهِ
وآخرَ تحسبُهُ أَنوكًا ... ويأتيكَ بالأمرِ مِنْ فَصِّهِ
لبسْتُ الليالي فأفنينَني ... وسربلني الدّهرُ في قُمْصِهِ[1]

1) الديوان ص 51. والتوى: صعب. ولم تحصه: لم تعمل له حسابًا. والأنوك: الجاهل. وفصّه: أصله. وسربلني: ألبسني سربالًا، أي قميصًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشِّعرُ في عصرِ صدرِ الإسلامِ والعَصرِ الأمويِّ

ظَلّ الشِّعر في عهد الرّسول ﷺ جاهليًا في شكله[1]، فشعر طبقة المُخضرمين الّتي عاشت في الجاهلية، وأدركت الإسلام ككعب بن زهير، والحطيئة، ومعن بن أوس، والنابغة الجعدي استمرارٌ للمذهب الجاهلي، ولم يتأثر شعرها بالإسلام إلا في بعض موضوعاته. وبعد أن دانت قريش وسائر العرب للدّين الجديد قَلَّ الهجاء المقذع والمدح المبالغ فيه والغزل الصريح والفخر بالخمر وبالثأر؛ لأن الرّسول ﷺ نهى عن الشِّعر الّذي يثير الأحقاد والعصبيات، أو يشجّعُ على ارتكاب الفاحشة.

وقد انتهج الخُلفاء الرّاشدون نهج الرّسول ﷺ؛ فقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- حبس الشّاعر الحطيئة حين أقذع في هجائه للزّبرقان بن بدر، ولما طلب منه الحطيئة العفو؛ لأن حَبْسَه حال دون الاهتمام بأولاده، عفا عنه، وَخَلّى سبيلهُ على ألّا يهجو أحدًا من المسلمين. يقول الحطيئة:

مَاذَا تقول لأِفْراخٍ بذي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فاغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ اللّه ياعُمَرُ

أنتَ الأمِينُ الذي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ ... أَلْقَتْ إليْكَ مَقَالِيدَ النُّهَى البَشَرُ

وكثر الرثاء للشهداء، والتمدح بالإسلام، فظهر فن شعري جديد، يسمّى البديعيات، وهي قصائد نظمت في مديح الرّسول الكريم ﷺ. ومن روّاد هذا الفن الشّاعر حسّان بن ثابت الملقب بشاعر الرّسول ﷺ، كان يمدحه، ويردّ عنه هجاء المشركين، من أمثال: عبد اللّه بن الزِبَعْري، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وقد كثرت في شعره التعابير الإسلامية والاقتباس من القُرآن الكريم، يقول حسان بن ثابت في إحدى بديعياته:

أغَــرُّ، عَـلَـيْـهِ لِـلـنُّـبُـوَّةِ خَـاتَـمٌ ... مِـنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَـلُـوحُ، ويُشْهَدُ

1) – راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط 4، (بيروت: دار العلم للملايين، 1981)
– راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وضـمَّ الإلـهُ اسـمَ النبيّ إلـى اسمهِ إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَـــقَّ لـــهُ مـــنِ اســمـهِ لـيـجـلّـهُ فذو العرشِ محمودٌ، وهذا مُحَمَّدُ
نَـبـيٌّ أَتَـانَـا بَـعْـدَ يَـأسٍ وَفَـتْـرَةٍ مِنَ الرُّسْلِ، والأوثانُ في الأرضِ تُعبَدُ

كما اشتهر كعب بن زهير بلاميته «بانت سعاد» الّتي أعلن فيها إسلامه، وطلب فيها رضا الرّسولﷺ وعفوه، فعفا عنه الرّسولﷺ وأهداهُ بردتَهُ، فما زالَتْ في أهلِهِ حتّى اشتراها مُعاويةُ منهم، وتوارثَها الخلفاءُ الأمويّون فالعبّاسيّون حتّى آلَتْ معَ الخلافةِ إلى بَني عُثمانَ. يقول كعب بن زهير:

وَقـالَ كُـلُّ خَليلٍ كُـنْـتُ آمُـلُـهُ لا أُلهِيَنَّكَ إِنّـي عَنكَ مَشْغُولُ
فَقُلْتُ خَلّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمُ فَكُلُّ مَا قَـدَّرَ الرَحْمَنُ مَفْعُولُ
كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

أمّا في العصر الأمويّ فقد عادتْ بعضُ أغراضِ الشِّعرِ الّتي نهى عنها الرّسولُﷺ -كالنقائضِ- وهيَ قصيدةٌ «يردُّ بها شاعرٌ على قصيدةٍ لخصمٍ له فينقضُ معانيها عليه، يقلبُ فَخْرَ خصمِهِ هجاءً، وينسبُ الفخرَ الصّحيحَ إلى نفسِهِ هوَ. وتكونُ النقيضةُ عادةً منْ بَحْرِ قصيدةِ الخصمِ، وعلى رَويّها»، وقد ارتبطتْ هذهِ النقائضُ بالصّراعاتِ السّياسيّةِ بينَ الأحزابِ المُتنازعةِ على الخلافةِ ومُناصريها، فكانتْ وقودَ العصبيّاتِ، ولسانَ هذهِ الأحزابِ، يفتخرُ الشّاعرُ فيها بنفسهِ وبقومهِ وبفضائلِهم، كالكرمِ والشّجاعةِ والوفاءِ بالعهدِ، والانتصارِ في الحروبِ الّتي خاضوها، والدّفاعِ عنِ العِرْضِ، ثُمَّ ينقّبُ عنْ مثالبِ خصمهِ وقومهِ منْ بُخْلٍ وجُبْنٍ وفسقٍ وبَغْيٍ وطُغيانٍ، ومنْ أشهرِ شعراءِ هذا الفنِّ جريرٌ، والأخطلُ، والفرزدقُ.

يقول الفرزدق في جريرٍ وفي والده عطية البائس الهاجع في حظائر الأغنام، كما يصفه:

قال ابنُ صَانِعَةِ الزُّرُوبِ لقَوْمِهِ: لا أَسْتَطِيعُ رَوَاسِـيَ الأعْـلامِ
إني وَجَـدْتُ أبي بَنى لي بَيْتَهُ في دَوْحَـةِ الـرّؤسَـاءِ وَالحُكّامِ
وَتـرَى عَـطِـيّـةَ ضَـارِبًـا بِفِنَائِهِ رِبْـقَـيـنِ بَـيـنَ حَـظَـائِـرِ الأغْـنَـامِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فيردّ جرير ناقضًا قصيدة الفرزدق بأخرى:

خلقَ الفرزدقُ سوءةً في مالكٍ ولخلفِ ضبّةَ كان شرَّ غلامِ
مَهْلًا فَرَزْدَقُ! إنّ قَوْمَكَ فيهمُ خورُ القلوبِ وخفّةُ الأحلامِ

بالإضافةِ إلى النّقائضِ، ازدهرَ الغزلُ في العصرِ الأمويِّ بعدَ أنْ هُذِّبَ في عصرِ صدرِ الإسلامِ الأوّلِ، وبعدَ أنْ كانَ تشبيبًا بالدّيار، وبُكاءً على الأطلالِ، أصبحَ فنًّا مستقلًا بذاتهِ، يُصوّرُ مشاعرَ الحُبِّ الّتي سكبَها المجتمعُ الجديدُ في نفوسِ الشّعراءِ. فبعدَ أنْ تحضرّتْ مَكّةُ والمدينةُ، وغرِقَتا في البَذْخِ والتّرفِ نتيجةِ الفُتوحاتِ الإسلاميّةِ، وجلبِ الرّقيقِ الأجنبيِّ، وتعليمهِ الغناءَ والموسيقى، رقيت الأذواق، فَلانَ الغَزَلُ، ورَقَّ.

وانقسمَ الغَزَلُ إلى: غَزَلٍ عُذريٍّ، وغَزَلٍ صريحٍ. والغَزَلُ العُذريُّ نِسْبةً إلى رائدهِ جميلِ بنِ مَعمر العُذري (مجنون بثينة)، وهوَ غَزَلٌ عفيفٌ طاهرٌ نقيٌّ، من روادهِ: قيس بن الملوح (مجنون ليلى)، وقيس بن ذريح (مجنون لبنى)، وكُثَيّر عزة (مجنون عزّة)، وذو الرمة (مجنون ميّة)، وعروة بن حزام (مجنون عفراء)، وتوبة بن الحميّر (مجنون ليلى الأخيلية). فالشاعر العذري يقصر حبه وشعره على معشوقة واحدة، يرى فيها سعادته وشقاءه، لا يني يتغنى بها مُتذلّلًا مُتضرّعًا يصوّرُ فيها كَلَفَهُ وعَذابهُ وحُبّهُ الّذي لا يتغير مع مرور الزمن. يقول جميل في بثينة:

لا تحسبي أني هجرتُكِ طائعًا حَدَثٌ، لَعَمْرُكِ، رائعٌ أَنْ تُهجري
ولتبكينّي الباكياتُ، وإنْ أَبُحْ يومًا، بسرِّكِ مُعلنًا، لم أُعذَر
يهواكِ –ما عشتُ– الفؤادُ، فإن أمُتْ يتبعْ صدايَ صداكِ بين الأقبرِ

ومن رواد الغزلِ الصّريحِ (الإباحيِّ الحسيِّ) عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، والعرجيّ، ولا يلتزم فيه الشّاعر بحب امرأة واحدة، بل يتّبع الجمال أينما كان، فيتغزل بأكثر من امرأة، ويصف مفاتنها ومغامراته معها، وقد يصف مجموعة من النساء. وقد رُوِي أن عمر بن ربيعة كان يتعرض للحواجّ، فيشبب بالحرائر الجميلات، ويصفهن طائفات محرمات، فزهدت الأسر في أداء الفريضة خشية منه، مما جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز ينفيه إلى (دهْلك)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إحـدى جـزر البحـر الأحمـر بيـن بـلاد اليمـن والحبشـة، ولـم يعـد إلا بعـد أن أقسـم أن يتـوب. يقـول فـي إحـدى قصائـده:

يقصدُ النّاسُ للطّوافِ احتسابًا وذنوبي مجموعةٌ في الطّوافِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بانَ الخَليطُ *
جريرُ بْنُ عطيَّةَ

بانَ الخَليطُ وَلَوْ طُوّعْتُ ما بَانَا ... وَقَطَّعوا مِنْ حِبالِ الوَصْلِ أَقْرانا

1) ما نوع الفعل حيّ؟ حَيِّ[1] المَنازِلَ إذْ لا نَبْتَغي بَدَلًا ... بِالدّارِ دارًا، وَلا الجيرانِ جِيرانا

قَد كُنتُ في أَثَرِ الأَظعانِ ذا طَرَبٍ ... مُرَوَّعًا[2] مِنْ حِذارِ البَينِ مِحْزانا

2) ما وزن مروّع؟ وهل هي اسم فاعل أم اسم مفعول؟

لَو تَعلَمينَ الَّذي نَلقى أَوَيتِ لَنا ... أَو تَسمَعينَ إِلى ذي العَرشِ شَكوانا

3) ما معنى «مالت سفينته»؟ كصاحِبِ المَوْجِ إِذْ مالتْ سَفينَتُه[3] ... يَدْعو إلى اللّهِ إِسْرارًا وإِعْلانا

لا بارَكَ اللّهُ في الدُّنيا إِذا انقَطَعَتْ ... أَسْبابُ دُنياكِ مِن أَسبابِ دُنيانا

ما أَحدَثَ الدَّهرُ مِمّا تَعلَمينَ لَكُمْ ... لِلحَبلِ صُرمًا وَلا لِلعَهدِ نِسيانا

أَبُدِّلَ اللَّيلُ؛ لا تَسري كَواكِبُهُ ... أَم طالَ حَتّى حَسِبتُ النَّجمَ حَيرانا؟

4) حدّد اسم «إنّ» وخبرها. إنَّ العُيونَ الّتي في طرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنا[4]، ثُـمَّ لَـمْ يُحْيينَ قتلانا

يَصرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتّى لا حَراكَ بِهِ ... وَهُـنَ أضعفُ خَلْقِ اللّهِ أركانا

5) ابحث عن معنى "حبّذا". يا حَبَّذا[5] جَبَلُ الرَّيّانِ مِنْ جَبَلٍ ... وَحَبَّذا سـاكِنُ الرَّيّـانِ مَـنْ كَانا

وَحَبَّذا نَفَحـــــاتٌ مِنْ يَمانِيَـــةٍ ... تَأْتيكَ مِـنْ قِبَـلِ الـرَّيّـانِ أَحْيانا

* ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ج1، ص160.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قالت الخنساءُ ترثي أخاها صخرًا

يُذَكّرُني طلوعُ الشَّمْسِ صَخرًا ... وَأنْـدُبُـهُ لِكُـلِّ غُـروبِ شَمْسِ
وَلَـولا كَـثْـرةُ الباكين حَـوْلي ... على إِخـوانِـهِـم لقَتَلْتُ نَفسي
ومـا يبكونَ مِثلَ أخـي، ولكنْ ... أُعَـزّي الـنّـفْـسَ عنه بالتّأَسّي
فـلا والـلّـهِ لا أنـسـاكَ حتّى ... أُفـارِقَ مُهْجَتي، ويشقَّ رَمْسي
فقد ودّعْـتُ يـوم فـراقِ صخْرٍ ... أبـي حـسّـانَ لـذّاتـي وأُنـسـي
فيا لهَفي عليه ولـهْـفَ أمّـي ... أَيُصْبِحُ في الضّريحِ وفيهِ يُمْسي؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشِّعر في العصرِ العبّاسي

يبدأ العصر العباسي بسقوط الدولة الأموية في الشام سنة 132 هـ/ 749 م، وقيام دولة بني العباس في الكوفة (العراق)، وينتهي سياسيًا بسقوط بغداد في يد (هولاكو) التتري سنة 656 هـ/ 1258 م. [1]

ويعد عصر الدولة العباسية عصر الإسلام الذهبي الّذي بلغت فيه الدولة الإسلامية أوج ازدهارها الفكري، فنُقلت العلوم الأجنبية، وتنوعت الآداب العربية وتطورت. وخلافًا للدولة الأموية الّتي كانت عربية خالصة متعصبة للعرب لغةً وأدبًا، قاعدتها دمشق على حدود بادية العرب، اصطبغت الدولة العباسية بصبغة فارسية؛ لأن الفُرْسَ هُم الذين أيدوها، فجعلت قاعدتها بغداد أقرب الأمصار إلى بلادهم، فتأثر العرب بعادات الفرس وتقاليدهم ولغتهم، وتمازجوا معهم بالتزاوج والتناسل، وأشرك الخلفاء الموالي (المسلمين من غير العرب) في سياسة الدولة من فُرْسٍ وأتراك وسريان وروم وبربر فضعفت العصبية، وتعددت الفِرَقُ، وتكاثر الجواري والغلمان، والتأنق في الطعام واللباس، والتنافس في البناء والتشييد، كل هذا كان له أثر بيّن في اللغة العربية وآدابها.

وسمّي الشعر العباسي شعرًا مُوَلَّدًا لأن أكثر الشعراء كانوا مولَّدين (من أَبَوَيْن أحدهما عربي والآخر غير عربي) ولأن الشعر لم يكن عربيًا خالصًا في معانيه وأسلوبه كما سمّي شعرًا مُحْدَثًا لأن الشعراء كانوا جُددًا أو متأخرين.

تأثر الشعر بالحياة الحضرية الجديدة مبنًى ومعنًى وغرضًا ووزنًا، فعلى مستوى المبنى، هُجِرت الكلمات الغريبة فأصبحت التراكيب واضحة سهلة، وكثر استخدام البديع، وتُرك الابتداء بذكر الأطلال إلى وصف القصور والرياض والخمور والغزل والإغراق في المدح والهجاء. يقول البحتري واصفًا قصر الخليفة المتوكل:

وكأنّ حيطان الزجاج بجوّه لُججٌ يمجن على جنوب سواحل

1) – راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)
– راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: العصور العباسية حتى القرن الرابع هجري، ط 4 (بيروت)، دار العلم للملايين، (1981)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فتَرَى العُيُونَ يَجُلنَ في ذي رَوْنَقٍ مُتَلَهِّبِ العَالي أَنِيقِ السّافِلِ
لبست من الذهب الصقيل سقوفُهُ نورًا يضيء على الظلام الحافل

أمّا على مستوى المعنى، فقد تولدت المعاني الحضرية، واقتبست الأفكار الفلسفية؛ إذ أكْثَر شعراء هذا العصر من المُوَلَّدين، وهذا يعلّل وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي. وكان لنقل العرب علوم اليونان وغيرهم تأثير في شعر أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهم بما دخله من آراء علمية وأفكار فلسفية وسياسية.

أمّا أغراض الشِّعر فقد بقيت، واستمرت؛ فالفخر والمديح والغزل والرثاء والحكمة والوصف والزهد أغراضٌ قديمةٌ منذ العصر الجاهلي، إلا أن الفخر القبلي القديم تضاءل، وَحَلَّ محله الفخر بالنفس.

يقول أبو الطيب المتنبي:

لا بقومي شرُفْتُ بلْ شَرُفوا بي وبنفسي فخَرْتُ لا بجدودي
وبهمْ فَخْرُ كلّ مَنْ نَطَقَ الضّا دَ وَعَوْذُ الجاني وَغَوْثُ الطّرِيدِ
إنْ أكُنْ مُعجَبًا فعُجبُ عَجيبٍ لمْ يَجدْ فَوقَ نَفْسِهِ من مَزِيدِ
أنَا تِرْبُ النّدَى وَرَبُّ القَوَافي وَسِمَامُ العِدَى وغَيظُ الحَسودِ
أنَا في أُمّةٍ تَدارَكَهَا اللّهُ غَريبٌ كصَالِحٍ في ثَمودِ

كما انتشرت في المديح معاني الشجاعة والكرم وشرف الأصل، وأضيفت إليه المقدرة في لعب الشطرنج مثلًا، كما نرى ذلك عند ابن الرومي عندما يخاطب صاحبه أبا القاسم التوزيّ الشطرنجي الذي نبغ في لعب الشطرنج:

وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ الْأَدَمِ الْأَحْـ ـمَرِ أَرْضٌ عَلَلْتهَا بِدِمَاءِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبَ بِالشِّطْـ ـرَنْجِ لَكِنْ بَأَنْفَسِ اللُّعَبَاءِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أَنْـتَ جديهَا وَغَـيْـرُكَ مَـنْ يَلْـ ـعَبُ إِنَّ الـرِّجَـالَ غَيْرَ النِّسَاءِ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِي الْقَوْمِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الْغِذَاءِ فِي الْأَعْضَاءِ
أَوْ دَبِيبِ الْمَلَالِ فِي مُسْتَهَامِيـ ـنَ إِلَـى غَـايَـةٍ مِـنَ الْبَغْضَـاءِ

ورقّ الاعتذار، واتّسع فيه العتاب الرقيق الذي نراه عند البحترى في عتابه للوزير الفتح بن خاقان:

فَـدَيْـنـاكَ مِـن أيّ خَـطْـبٍ عَـرَا وَنَـائِـبَـةٍ أوْشَـكَـتْ أنْ تَـنُـوبَـا
وإنْ كَـانَ رَأيُـكَ قَـد حَـالَ فيّ فَـلَـقّـيـتَـنـي بَـعـدَ بِـشْـرِ قُـطُـوبـا
أُكَـذّبُ ظَـنّـي بـأنْ قـدْ سَخِطْ ـتَ، وَمَا كنتُ أعهَدُ ظَنّي كَذُوبا
وَلَـوْ لم تكُنْ ساخِطًا لـمْ أكُـنْ أذُمُّ الـزّمـانَ، وأشكُو الخُطُوبا

وكثر الزهد والحكمة، وأصبحا فنّين يعالجهما مجموعة من الشّعراء في قصائد أو مُقَطّعات. يقول أبو العتاهية:

يا أَيُّـهـا الـحَـيُّ الَّـذي هُـوَ مَيِّتٌ أَفنَيْتَ عُمرَكَ بِالتَعَلُّلِ وَالمُنى
أَمّـا المَشيبُ فَقَد كَساكَ رِداؤُهُ وَابتَزَّ عَن كَفَّيكَ أَثـوابَ الصِّبا
خالِفْ هَـواكَ إِذا دَعـاكَ لِرَيبَةٍ فَلَرُبَّ خَيرٍ في مُخالَفَةِ الهَوى
عَلَمُ المَحَجَّةِ بَيِّنٌ لِمُرِيدِهِ وَأَرى القُلوبَ عَنِ المَحَجَّةِ في عَمى
وَلَـقَـد عَجِبتُ لِهالِكٍ وَنجاتُهُ مَوجودَةٌ وَلَقَد عَجِبتُ لِمَن نَجا

وأصبح الطَّرْدُ (وصف الصيد) بابًا مستقلًا بذاته، ولم يقتصر على الصيد فقط، بل تناول كل ما يتعلق بالحيوان، حتّى وصف «قتال الدِيَكة»، يقول أبو نواس واصفًا كلب صيد له اسمه (سرياح):

مُـنَـجَّـدٍ يـأْشَـرُ لـلـصّـيـاحِ ما البَرقُ في ذي عـارِضٍ لَمّاحِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَلا انْقضاضُ الكَوكَبِ المُنصاحِ ولا انْبِتاتُ الحَوأَبِ المُنداحِ
حينَ دَنا مِن راحَةِ المُتّاحِ أَجَدُّ في السُّرعَةِ مِنْ سِرْياحِ
يَكادُ عِندَ ثَمَلِ المِراحِ يَطيرُ في الجَوِّ بِلا جِناحِ
إذا سَما الحائِلُ لِلأَشباحِ يَفتَرُّ عَن مِثلِ شَبا الرِّماحِ

وأمّا على مستوى الوزن، فقد ابتدعت أوزان أخرى، كالمستطيل والممتد، وهما عكس الطويل والمديد، والموشّح والزّجل، والدوبيت والمواليا، ونُظمت المُقطّعات (أبيات معدودة في أغراض محدودة).

ولما انفرط عقد الخلافة، وكثرت الدويلات العربية وغير العربية، باستقلال الولاة في فارس والشام ومصر والمغرب، وجد الشِّعر في غير بغداد تشجيعًا، فازداد ابتكارًا وانتشارًا، فالأمراء مثل الخلفاء يُقَرِّبون الشّعراء، ويعضدونهم.

وما إن انتهى القرن الخامس للهجرة حتّى ذهب جمال الشعر، وفقد تأثيره في النفوس لذهاب المعضدين له من البويهيين والسلاجقة وكثرة الفتن والصراعات، فغاب التوليد والإبداع، وكثر تقليد معاني الأقدمين واستخدام المحسنات البديعية والمبالغة في المدح للتكسب واستدرارًا للأكف حتى قيل: «أعذب الشعر أكذبه».

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حُلَلُ الرَّبيعِ *
ابنُ وكيعٍ التّنيسيِّ

فُـرِشَ الفَضاءُ بِأَحمَرٍ وَبِأَصفَرِ ... وَبَـدَت لَنا حُلَلُ الرَّبيعِ المُزهِرِ

حُلَلٌ تُعَدُّ إِذا اجتَهَدْتَ مُقَصِّرًا ... في وصفِها وَتَكونُ غَيرَ مُقَصِّرِ

هذي الرِّياضُ كَأَنَّهُـنَّ عَرائِسٌ ... يَختَلْنَ بَيـنَ تَمايُلٍ وَتَبَختُـرِ

سِرٌّ أَسرَّ بِهِ السَّحائِبُ في الثَّرى ... فـأذاعَـهُ فـأذاعَ أحسـنَ منظَرِ

وَالسَّروُ تَثنيهِ الرِّياحُ لَواعِبًا ... مِن فَوقِ جَدوَلِ مائِهِ المُتَفَجِّرِ

كَالجُندِ في خُضرِ المَلابِسِ حاوَلوا ... أَمـرًا فَبَينَ مُقَلِّصٍ وَمُشَمِّـرِ

زَمَنٌ مَتى أَبصَرتَهُ وَكَفَفتَ عَن ... خَلعِ العِذارِ بِحُسنِهِ لَم تُعذَرِ

وافـى عَـلى أَثَـرِ الـشِّـتـاءِ كَـأَنَّـهُ ... إِقـبـالُ حـظٍّ بَـعـدَ حـظٍّ مُـدبِـرِ

فَكَأَنَّ ذلِكَ كانَ وَجهَ مُهَدِّدٍ ... وَكَأَنَّ هذا جاءَ وَجهَ مُبَشِّرِ

وَردٌ كَوَجنَةِ كاعِبٍ قَد موزِحَتْ ... فَتَراجَعَتْ خَجلى بِفَرطِ تَحَيُّرِ

فَكَأَنَّما النّارَنجُ في أَغصانِـهِ ... أُكَرٌ خُرِطنَ مِنَ العَقيقِ الأَحمَرِ

وَكَأَنَّ زَهرَ الباقِـلاءِ دَراهِـمٌ ... قَد ضُمِّخَتْ أَوساطُها بِالعَنبَـرِ

وَكَأَنَّهُ مِن فَوقِ خُضرِ غُصونِهِ ... يَرنو بِمُقلَـةِ أَقبَلٍ أَو أَحـوَرِ

وَكَأَنَّما الأُترُنـجُ أَكؤُسُ عَسجَدٍ ... وَلَها مَقابِضُ مِن حَريرٍ أَخضَرِ

وَالنَّرجِسُ الرَّيّانُ بَينَ رِياضِهِ ... يَرنو بِعَينِ الباهِتِ المُتَحَيِّـرِ

وَالجُلَّنارُ يُريـكَ في أَثوابِـهِ ... نَوعَينِ بَيـنَ مُزَعفَـرٍ وَمُعَصفَرِ

* ديوان ابن وكيع التنيسي، جمع وتحقيق: حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ص63–64.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قال البُحْتريُّ يَصفُ الرّبيعَ

أتاكَ الرَّبيعُ الطّلْقُ يخْتالُ ضاحِكًا ... مِنَ الحُسْنِ حتّى كادَ أنْ يتكلّما

وقدْ نبّهَ النَّيْروزُ في غَلَسِ الدُّجى ... أوائِلَ ورْدٍ كُنَّ بالأمسِ نُوّما

يُفَتِّقُها بَرْدُ النّدى، فكأَنَّه ... يبُثُّ حديثًا كان قَبْلُ مُكَتّما

ومنْ شَجَرٍ ردّ الرّبيعُ لِباسَه ... عليه، كما نشّرْتَ وشْيًا مُنَمْنما

أحلَّ، فأبْدى للعُيونِ بَشاشةً ... وكانَ قذًى للعَيْنِ إذْ كان مُحْرِما

ورَقَّ نسيمُ الرّيحِ حتى حسِبْتَه ... يَجيءُ بأنْفاسِ الأحِبّةِ نُعَّما

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشّعرُ العربيُّ الحديثُ

الأدب العربي الحديث[1] هو الأدب الّذي ظهر تاريخيًّا فيما يُطْلَقُ عليه العصر الحديث، هذا العصر الّذي يصعب تحديده حسب الحقب أو الحوادث التاريخية، فالعصر العثماني انتهى في بعض الأقطار العربية بعد الحرب العالمية الأولى عام 1918م، ولم يكن له وجود في أقطار عربية قبل ذلك بقرون. وقد أَوْلى بعض الدارسين أهمية للحملة الفرنسية عام 1798–1801 على مصر وبلاد الشام، وهي حملة استعمارية جلبت معها بعض العناصر الثقافية من مثل المطبعة والصحيفة والمرصد والمكتبة والمسرح والعلماء، وهو ما نبّه الناس في مصر إلى تخلف الواقع وضرورة الانفتاح على العصر، وبناء جيش قوي، شرع في تأسيسه محمد علي، بعد أن سيطر على الحكم بعد جلاء الحملة الفرنسية.

ومن أجل بناء جيش قوي أرسل محمد علي البعثات إلى إيطاليا وفرنسا، وكان رفاعة الطهطاوي مرشدًا دينيًا لطلاب البعثة الرابعة إلى فرنسا، أفاد من هذه الرحلة في ترجمة المعارف المختلفة، وتعرف الفرق بين واقع المصريين وواقع الغربيين. وقد اهتم الخديوي إسماعيل بالحركة العلمية، فأنشأ مدارس للعلوم والهندسة والطب والحرب، واستأنف إرسال البعثات إلى أوروبا، وأسس نظارة المدارس، وعهد إليها أمر التعليم، وأنشأ المكتبة الخديوية، وبنى مدرسة المعلمين، وبسط يد المؤلفين، فنزح إليها الأجانب من أدباء وعلماء، فكان اختلاط هؤلاء بالمصريين سببًا في نهوض اللغة والأدب.

ومهما يكن من أمر فإن الحياة الثقافية والأدبيّة أفادت على نحو غير مباشر من هذه الحركة العلمية الّتي صاحبت إنشاء المدارس المختلفة العامة والمتخصصة لخدمة الجيش، فكان أن ظهرت تيارات فكرية وثقافية مختلفة كان أهمها تيار إحياء التراث لمواجهة النماذج الأدبيّة والفكرية الغربية، وبدا ذلك واضحًا في الشعر؛ إذ مال الشّعراء إلى إحياء النماذج التراثية في العصرين الأموي والعباسي، وبرز من الشّعراء الإحيائيين نخبة في أقطار الوطن العربي على رأسهم محمود سامي البارودي، وضمت هذه النخبة أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، وإبراهيم اليازجي، والزهاوي، والرصافي في العراق، والأمير عبد القادر الجزائري،

1) تاريخ الأدب الحديث، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، بيروت، ط8، 2004، ص : 415

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وأبـو مسـلم البهلانـي فـي عُمـان.

وتـلا ذلـك جيـل ظـلَّ متعلقًـا بأهـداب الكلاسـيكية، ممـن سـموا بالكلاسـيكيين الجـدد، مـن مثـل الجواهـري، وعمـر أبـو ريشـة، وعزيـز أباظـة، وإبراهيـم طوقـان، ومصطفـى وهبـي التـل، وبـدوي الجبـل، إلـى جانـب شـعراء العصبـة الأندلسـية، وهـم شـعراء المهجـر الجنوبـي.

وقـد بـدت ملامـح الحركـة الرومانتيكيـة فـي شـعر خليـل مطـران الـذي بـدأ يضيـق بالتقليـد مـع أن كثيـرًا مـن شـعره لا يفـارق بنـاء القصيـدة الإحيائيـة.

وقـد نزعـت جماعـة الديـوان المؤلفـة مـن عبـاس محمـود العقـاد، وإبراهيـم عبـد القـادر المازنـي، وعبـد الرحمـن شـكري منزعًـا (رومنطيقيًـا) وأعجبـت باللـون الغنائـي الذاتـي واللغـة العصريـة البسـيطة، وقـد دعـت فـي «الديـوان» الّـذي صـدر منـه جـزءان، شـارك فيهمـا العقّـاد والمازنـي سـنة 1921 إلـى الصـدق فـي الإحسـاس والتعبيـر، ونقـدوا المدرسـة الكلاسـيكية الجديـدة، وخاصـة أحمـد شـوقي، وحافـظ ابراهيـم نقـدًا لاذعًـا. يقـول عبـاس محمـود العقـاد فـي تقديمـه لديـوان عبـد القـادر المازنـي: «فمـن كان يعيـش بفكـره ونفسـه فـي غيـر هـذا العصـر، فمـا هـو مـن أبنائـه، وليسـت خواطـر نفسـه مـن خواطـره».

وقـد التقـت جماعـة الديـوان مـع الرابطـة القلميـة فـي مبادئهـا وفـي مفهومهـا للشـعر، وبـدا الجانـب الرومانتيكـي واضحًـا فـي خصائـص الشِّـعر لديهـا، علـى نحـو مـا ظهـر فـي العلاقـة بيـن العقـاد وميخائيـل نعيمـة. ومـن أعـلام الرابطـة القلميـة: جبـران خليـل جبـران، وميخائيـل نعيمـة، ونسـيب عريضـة، وإيليـا أبـو ماضـي، وأميـن الريحانـي، وقـد تأسّسـت الرابطـة القلميـة سـنة 1920 واتّخـذت مـن نيويـورك مقـرًّا لهـا، فثـارت علـى الصـور الشـعرية القديمـة، واسـتخدمت صـورًا رومنطيقيـة جديـدة، ومضاميـن حديثـة، وتأثـرت بالطبيعـة والحريّـة.

هيمنـت (الرومانتيكيـة) علـى السـاحة الأدبيّـة فـي الأقطـار العربيـة خـلال الثلاثينـات والأربعينـات، وقـد ظهـرت ملامـح الحركـة (الرومانتيكيـة) بوضـوح شـديد فـي «جماعـة أبولـو» الّتـي أسّسـها أحمـد زكـي أبـو شـادي، وانضـم إليهـا أعـلام (الرومانتيكيـة) فـي الوطـن العربـي مـن مثـل: علـي محمـود طـه، وإبراهيـم ناجـي، وأبـو القاسـم الشـابي، وأنـور العطـار. وكانـت مجلـة أبولـو (1932-1934) قـد أحدثـت نهضـة شـعرية علـى مسـتوى الشـكل والمضمـون، وظهـرت فيهـا ملامـح التحـول فـي تعـدد القوافـي، وفـي التجديـد فـي المعجـم والصـورة والإيقـاع.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وكان مـن الطبيعـي أن يفجّـر الشّـعراء الشـباب عواطفهـم (الرومانتيكيـة) فـي شـكل جديـد هـو شـكل الشِّـعر الجديـد، أو قصيـدة التفعيلـة؛ لأسـباب فنيـة واجتماعيـة واقتصاديـة وسياسـية ونفسـية بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة متأثريـن بمنجـزات (الرومانتيكيـة) والرمزيـة اللتيـن شـاعتا فـي مرحلـة مـا بيـن الحربيـن العالميتيـن، ممـا مهّـد الطريـق لحركـة الشِّـعر الجديـد أو شـعر التفعيلـة الّـذي بـدأ شـكليًا فـي اختيـار التفعيلـة بـدل البيـت الشـعري، ثُـمَّ اتجـه وجهـة واقعيـة، قبـل أن تتعـدد أشـكاله وصـوره. ومـن روّاد هـذه المدرسـة: نـازك الملائكـة، وبـدر شـاكر السيّـاب، وعبـد الوهـاب البياتـي، ونـزار قبانـي، وصـلاح عبـد الصبـور، وقـد غلـب علـى الشِّـعر الحديـث قصيـدة التفعيلـة الّتـي أصبـح لهـا أعلامهـا الكبـار فـي وقتنـا الراهـن.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أنا منْ بدّلَ بالصَّحبِ الكتابا *

أحمدُ شوقي

أَنـا مَـن بَـدَّلَ بِـالكُتْبِ الصِّحابا ... لَـم أَجِـدْ لـي وافِـيًـا إِلا الكِتابا

صـاحِـبٌ إِنْ عِـبْـتَـهُ أَوْ لَـم تَـعِـبْ ... لَـيسَ بِـالـواجِـدِ لِـلصّـاحِـبِ عابا

كُـلَّـمـا أَخـلَـقْـتُـهُ جَـدَّدَنـي ... وَكَساني مِـن حُلى الفَضْلِ ثِيابا

صُـحـبَـةٌ لَـمْ أَشْـكُ مِـنـهـا ريـبَـةً ... وَوِدادٌ لَـم يُـكَـلِّـفْـنـي عِـتـابـا

رُبَّ لَـيْـلٍ لَـمْ نُـقَـصِّـرْ فـيـهِ عَـنْ ... سَـمَـرٍ طـالَ عَلى الصَّمتِ وَطابا

إِنْ يَـجِـدْنـي يَـتَـحَـدَّثْ أَوْ يَـجِـدْ ... مَـلَـلًا يَطوي الأَحـاديـثَ اقتِضابا

تَـجِـدُ الـكُـتْـبَ عَـلى الـنَّـقـدِ كَما ... تَـجِـدُ الإِخـوانَ صِـدقًـا وَكِـذابـا

فَـتَـخَـيَّـرْهـا كَـمـا تَـخـتـارُهُ ... وَادَّخِرْ في الصَّحبِ وَالكُتْبِ اللُّبابا

صـالِـحُ الإِخـوانِ يَبغيكَ التُّقى ... وَرَشـيـدُ الكُتْبِ يَبغيكَ الصَّوابا

* أحمد شوقي أمير الشّعراء، الشّوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ج2، ص407.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لا تَطْرُقِ البابَ

للشّاعرِ عبدالرّزّاق عبدالواحد

1. لا تَطْـرُقِ البـابَ، تَـدري أَنَّهُـمْ رَحلـوا ... خُـذِ المَفاتيـحَ، وَافْتَـحْ أَيُّهـا الرَّجُـلُ
2. أَدري سَـتَذْهَبُ،... تَسْـتَقصي نَوافِذَهُـمْ ... كَمـا دَأَبْـتَ،... وَتَسـعى حَيْثُمـا دَخلـوا
3. تُراقِـبُ الـزَّادَ،... هَـلْ ناموا وَمـا أَكَلـوا ... وَتُطْفِـئُ النُّـورَ... لَوْ ... لَـوْ... مَرَّةً فَعَلوا!
4. وَفيـكَ أَلْـفُ ابتِهـالٍ لَـوْ نَسـوهُ لِكَـيْ ... بِهِـمْ عيونُـكَ قَبْـلَ النَّـوْمِ تَكْتَحِـلُ!

***

5. لا تَطْـرُقِ البـابَ،... كانـوا حينَ تَطْرُقُهـا ... لا يَنْزِلـونَ إِلَيْهـا،... كُنْـتَ تَنْفَعِـلُ
6. وَيَضحكـونَ، وَقَـدْ تَقسـو فَتَشْـتِمُهُمْ ... وَأَنْـتَ في السِّرِّ مَشبوبُ الهَـوى جَـذِلُ
7. حتّـى إذا فَتَحوهـا، والتَقَيْـتَ بِهِـمْ ... كادَتْ دموعُـكَ فَـرْطَ الحُـبِّ تَنْهَمِـلُ

***

8. لا تَطْـرُقِ البـابَ... مِـنْ يَومينِ تَطْرُقُهـا ... لَكِنَّهُـمْ يـا غَزيـرَ الشَّـيْبِ مـا نَزلـوا!
9. سَـتُبْصِرُ الغُـرَفَ البَكْمـاءَ مُطْفَـأَةً ... أَضواؤُهـا... وَبَقاياهُـمْ بِهـا هَمَـلُ
10. قُمصانُهُـمْ... كُتُبٌ في الرَّفِّ... أَشْـرِطَةٌ ... علـى الأَسِـرَّةِ عافوهـا، وَمـا سَـأَلوا
11. كانَـتْ أَعَـزَّ عَلَيْهِـمْ مِـنْ نَواظِرِهِـمْ ... وَهـا عَلَيهـا سُـرُوبُ النَّمْـلِ تَنْتَقِـلُ
12. وَسَـوْفَ تَلْقى لُقىً... كَمْ شاكَسوكَ لِكَيْ ... تَبقـى لَهُـمْ، ثُـمَّ عافوهُـنَّ، وَارتَحَلـوا
13. خُذْهـا،... لمـاذا إِذَنْ تَبكـي، وَتَلْثُمُهـا؟ ... كانَـتْ أَعَـزَّ مُناهُـمْ هـذِهِ القُبَـلُ!

***

14. يـا أَدْمُـعَ العَيْـنِ!... مَـنْ مِنْكُـمْ يُشـاطِرُني ... هـذا المسـاءَ، وَبَـدْرُ الحُـزْنِ يَكْتَمِـلُ؟
15. هـا بَيْتـيَ الواسِـعُ الفَضْفـاضُ يَنْظُـرُ لـي ... وَكُلُّ بـابٍ بِـهِ مِزْلاجُهـا عَجِـلُ
16. كَأَنَّ صَوْتًـا يُنادينـي، وَأَسْـمَعُهُ ... يـا حـارِسَ الـدّارِ... أَهْلُ الدّارِ لَـنْ يَصِلوا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

سِفْرُ أيّوب

بدر شاكر السيّاب

لك الحمد مهما استطال البلاءْ

ومهما استبدّ الألمْ،

لك الحمد، إن الرزايا عطاء

وإن المصيبات بعض الكرم.

ألم تُعطني أنت هذا الظلام

وأعطيتني أنت هذا السّحر؟

فهل تشكر الأرض قطر المطر

وتغضب إن لم يجدها الغمام؟

شهور طوال وهذي الجراح

تمزّق جنبي مثل المدى

ولا يهدأ الداء عند الصباح

ولا يمسح اللّيل أو جاعه بالردى.

ولكنّ أيّوب إن صاح صاح:

«لك الحمد، إن الرزايا ندى،

وإنّ الجراح هدايا الحبيب

أضمّ إلى الصّدر باقاتها

هداياك في خافقي لا تغيب،

هداياك مقبولة. هاتها!»

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أشدّ جراحي وأهتف

بالعائدين:

«ألا فانظروا واحسدوني،

فهذى هدايا حبيبي

وإن مسّت النار حرّ الجبين

توهّمتُها قُبلة منك مجبولة من لهيب.

جميل هو السّهدُ أرعى سماك

بعينيّ حتى تغيب النجوم

ويلمس شبّاك داري سناك.

جميل هو الليل: أصداء بوم

وأبواق سيارة من بعيد

وآهاتُ مرضى، وأمّ تُعيد

أساطير آبائها للوليد.

وغابات ليل السُّهاد، الغيوم

تحجّبُ وجه السماء

وتجلوه تحت القمر.

وإن صاح أيوب كان النداء:

«لك الحمد يا راميًا بالقدر

ويا كاتبًا، بعد ذاك، الشّفاء!»

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الحركةُ الشِّعريّةُ في دولةِ الإماراتِ العربيّةِ المُتّحدة

إذا أردنا أنْ نؤرِّخَ للشِّعرِ الحديثِ في دولةِ الإماراتِ العربيّةِ المُتّحدةِ، فإنّنا نجدُ صعوبةً في تحديدِ بواكيرِهِ، أو بداياتِهِ؛ ذلكَ أنّ ما وَصلَنا من الشِّعرِ الحديثِ –حتّى الآن– لا يكادُ يتجاوزُ مرحلةَ العشرينيّاتِ، وما بعدَها، أمّا ما قبلَ ذلكَ فلا نكادُ نعثرُ على نصوصٍ شعريّةٍ نستطيعُ أنْ نتّخذَها مُنطَلَقًا لتأريخِ الشِّعرِ الحديثِ في هذِهِ المنطقةِ، ولذلكَ فإنّ الدِّراساتِ الّتي تناولَتْ روّادَ الشِّعرِ الحديثِ في الإماراتِ تنطلقُ –عادةً– من الشّاعرِ «سالم بن علي العويس» الّذي عاشَ في الفترةِ المُمتدّةِ ما بينَ نهايةِ القَرنِ التّاسِعَ عشرَ، ونهايةِ القَرنِ العشرينَ بوصفِهِ الرّائدَ الأوّلَ لهذا الشِّعرِ الحديثِ، وبوصفِهِ الشّاعرَ الإحيائيَّ الّذي كانَ يكتبُ بطريقةٍ مُتميّزةٍ تنأى عن مُجاراةِ الأساليبِ الّتي كانَتْ مُغرِقَةً في المُحَسِّناتِ البديعيّةِ، والتي كانت تركز على الإخوانيّاتِ، والمُناسباتِ، والألغازِ.

وكلُّ الشُّعراءِ والأُدباءِ الّذينَ يُذكَرونَ معَ الشّاعرِ «سالم بن علي العويس»، من أمثالِ: محمدِ بنِ ثاني بنِ قطامي، وخلفانَ بنِ مصبحٍ، وَمُباركِ بنِ حمدِ العقيلي، وأحمدَ بنِ سلطانَ بنِ سليمٍ، وَمُباركِ بنِ سيفِ النّاخي، وسعيدِ الهاملي، وأحمدَ بنِ خصيفةَ، وعليِّ بنِ قمبرٍ، يُعَدّونَ من مُعاصريهِ، أوْ ممّن عاشوا في فترةٍ قريبةٍ من عصرِهِ...

أمّا الشّعراءُ الّذينَ عاشوا قبلَ هؤلاءِ فإنّنا لا نعرفُ عنهم شيئًا، وإذا لم نجدْ نصوصًا شعريّةً تؤكِّدُ هذا التّواصلَ والاستمرارَ، فإنّ ذلكَ يرجعُ أساسًا إلى غيابِ وسائلِ الطِّباعةِ الّتي لمْ تدخلْ إلى منطقةِ الخليجِ إلّا في فترةٍ مُتأخّرةٍ[1].

وقد عُرِفَ أوائلُ شُعراءِ الإماراتِ باسمِ «جماعةِ الحيرةِ» نسبةً إلى منطقةِ «الحيرةِ» في مدينةِ الشّارقةِ، وهم: صقرُ بنُ سلطانَ القاسمي، وخلفانُ بنُ مصبّح، وسالمُ بنُ عليّ العويسِ، وأخوهُ سُلطانُ بنُ عليّ العويسِ.

وكانَت القصائدُ الشِّعريّةُ لهؤلاءِ الشُّعراءِ تحتفظُ بانحيازِها الكاملِ في الالتزامِ بالشّكلِ العموديِّ، معَ محاولةِ التّجديدِ في المعنى، كما تشهدُ لهم بمستوًى مُتقدِّمٍ من الوعي

1) أدب الخليج العربي الحديث والمعاصر، أ.د. الرشيد بوشعي، منشورات دار العالم العربي، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والقُدرةِ على الإبداعِ، وتعدُّدِ محاورِ الخطابِ الشِّعريِّ واتّجاهاتِه وجوانبِه وجدانيًّا، ووطنيًّا، وقوميًّا.

وجيلُ الشُّعراءِ الأوائلِ في الإماراتِ اعتمدَ على تثقيفِ ذاتِهِ بوسائلَ مُختلفةٍ، وذلكَ من خلالِ مُتابعةِ الصُّحفِ والمجلّاتِ الّتي كانَت تصلُ إلى المنطقةِ بطريقةٍ غيرِ مُنتظَمَةٍ، ومن خلالِ الإذاعاتِ، أوْ من خلالِ الكتبِ في المكتباتِ الخاصّةِ لدى الميسورينَ والمُثقّفينَ من أبناءِ المنطقةِ.

ومعَ تطوّرِ التّعليمِ في المجتمعِ الإماراتيِّ، ودخولِ الصّحافةِ والطِّباعةِ في مرحلةِ السّتينيّاتِ من القَرنِ الماضي حدثَتْ تحوّلاتٌ في مجالِ الشِّعرِ، وبرزَتْ قصيدةُ التّفعيلةِ كشكلٍ جديدٍ في تجاربِ الشّاعرِ الدّكتورِ «أحمد أمين المدني» -رحمَهُ اللّهُ- بالإضافةِ إلى كتابةِ القصيدةِ العموديّةِ، وحملَتْ تجربةُ الشّاعرِ «المدني» رؤيةً جديدةً للشِّعرِ والعالَمِ والأدواتِ التّعبيريّةِ والفنيّةِ.

وفي مرحلةِ السّبعينيّاتِ ظهرَتْ كوكبةٌ جديدةٌ من الشُّعراءِ المُحافظينَ والمُجَدّدينَ الّذين كتبوا في نموذجي القصيدةِ: العموديّ والتّفعيلةِ، مثلَ: مانعِ سعيدِ العتيبةِ، وشهاب غانم، وحبيبِ الصّايغِ، كما امتدَّ عُنصرُ المُحافظةِ في تجاربِ الشُّعراءِ: سلطان خليفة الحبتور، وحمد بوشهاب، وعارف الشّيخ، ...

وفي مطلعِ الثّمانينيّاتِ ظهرَتْ في الإماراتِ أصواتٌ شعريّةٌ كثيرةٌ، تنتمي إلى كلا التّيّارَيْنِ، ومنهم: عارف الخاجة، وأحمد راشد ثاني، وميسون صقر، وحصّة عبداللّه، وكلثم عبداللّه، وكريم معتوق، وإبراهيم محمد إبراهيم، وإبراهيم الهاشمي، ...

وبعدَ هذِهِ الفترةِ اتّسعَتْ دائرةُ الإبداعِ الشِّعريِّ في الإماراتِ، وأصبحَتْ جديرةً بالمُلاحظةِ والرَّصدِ والتّوثيقِ والدّراسَةِ، حتّى غدَتْ كأنّها صورةٌ مُصغّرةٌ عن الحركةِ الشِّعريّةِ في الوطنِ العربيّ، بلْ وفي العالَمِ أيضًا، ممّا يعني أنّ الحركةَ الشّعريّةَ الإماراتيّةَ أفرزَتْ مُنتجًا شعريًّا أسهمَ في بلورةِ أدبٍ عربيٍّ مُتميّزٍ وَمُتفاعلٍ معَ الجوانبِ المختلفةِ لحداثةِ القصيدةِ فكريًّا وفنيًّا، ممّا جعلَهُ يُشكِّلُ رافِدًا قويًّا من روافدِ الأصالةِ الثّقافيّة لأُمّتِنا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

شيخُ العربِ

للشّاعرِ محمد خليفة حاضر المهيري

ما لـلـرِّمـالِ؟ بطاحُـها خَـضْـراءُ ... أَتَنَصَّلَتْ مِـنْ لَـوْنِـها الصَّحراءُ؟

فَهلِ اسْتعارَتْ حُلَّةً مِـنْ سُندُسٍ ... فـإذا الـفَـيَـافـي جَـنَّـةٌ فَـيْـحـاءُ؟

طَـبْـعُ الطّبيعةِ أَنَّـها إنْ أَخْصَبَتْ ... مـاجَـتْ عَـلى جَنَباتِها النَّـعْـمـاءُ

وسَـجـيّـةُ الـكُـرمـاءِ أنَّ أَكُـفَّـهُـمْ ... تُعْطي، فَيُعْدي سَيبُها المِعْطَاءُ

ورِمالُنا مُـذْ صَافَحَتْ يَـدَ (زايـدٍ) ... (سـالَ الـنَّـضـارُ بِها وقَـامَ الـمـاءُ)

رَجُـلٌ خُطاهُ خُصوبَةٌ، أَنَّـى مَشَى ... فـالـجـودُ خَـلْـفَ رِكـابِـهِ مَـشَّـاءُ

في رُبْـعِ قَـرْنٍ شَـادَ ما شَـادَ الـوَرى ... فـي الـقَـرْنِ، نِـعْـمَ الـقـائـدُ الـبَـنَّـاءُ

نِـعْـمَ الإمـاراتُ الَّـتي نَـعِـمَـتْ بِما ... أَعْـلى، فَـأَدْنى صَرْحِها الـجَـوْزَاءُ

شيخُ الـعُـرُوبـةِ (زايـدٌ) أَرْسـى لَنا ... أُسُـسَ الـحَـضـارةِ فِـكْـرُهُ الـوَضَّـاءُ

فَتَنَ الحَضارَةَ حينَ سابَقَ رَكْبَها ... فَـإذا الحَضارَةُ في الرِّكـابِ حِـداءُ

عَقْلٌ كَنورِ الشَّمسِ يُبْصِرُ بِالهُدى ... ما ليسَ يُبْصِرُ بِالنُّهى العُلَمَاءُ

(فَأبو خَليفَةَ) سُـورُهُ العَدْلُ الَّذي ... يُـحْـمـى بِـهِ الـغُـربـاءُ والـقُـرَبـاءُ

إنْ رُمْـتَ مرْحَـمَـةً رَعَـتْـكَ ظِلالُهُ ... وَتَـرَحَّـلَـتْ عَـنْ ربْـعِـكَ الـبُـرَحَـاءُ

وإذا اسْتَغَثْتَ بِـهِ أَغـاثَـكَ قَبْلَ أنْ ... يَـفْـنـى الـصَّـدى وَتَـلُـفَّـهُ الأَمْـداءُ

مَـنْ ظَـنَّ أَنَّ الـجـودَ فـيْـهِ سَجِيَّةٌ ... مـا خـابَ لـكِـنْ فـاتَـهُ الإحْـصـاءُ

لـلّـهِ أنـتَ (أبـو خَليفَةَ) لَـمْ تَـزَلْ ... تَـرْنـو إلـى عَـلـيـائِـكَ الـعَـلْـيـاءُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وطنُ العِطْرِ

للشّاعرِ علي الشعّالي

زَمْـزَمْـتَ صـابَ البـحْرِ قَطْرا ... وأحَـلْـتَ رمـلَ الأرضِ تِبرا

وخَـلَـبْـتَ ألـبـابَ الـعـوا ... لِـمِ مُـشْـرقًـا حُـبًّـا وسِـحـرا

وطـنـي...أَيـا سُـحُـبًـا تَـرُشْـ ... ـشُ الـجـوَّ والأرْضـيـنَ عِطرا

يـا واحَـــةً فـي حِـضـنِـهـا ... تـتـهـامَـسُ الـنَّـخـلاتُ شِـعـرا

وقـصـيـدَةً تَـتَـنَـفَّـسُ الـرَّيْـ ... رَيـحـانَ والـتَّـغـريـدَ يُـسْـرا

الـمـاءُ أنـتَ، غَـرَسْـتَ صَـرْ ... حًـا فـي الـصَّـحـارى فاستقَرّا

الـفـرعُ فـي الـعـلـيـاءِ ظَـلْـ ... لَ يُـقـيـتُـنـا وُدًّا وتـمْـرا

والـظِّـلُّ وجـهُـكَ.. والنّسيـ ... مُ الـبـرْدُ كـفُّـكَ حـيـن مـرّا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إماراتُ الوفاءِ

للشّاعرِ ناصر البكر الزّعابي

إلـــى الأمـــجـــادِ يـــا وطـنـي ... جـــنـــودُكَ تـــرسـمُ الـنَّـصـرا

رجـــالُـــكَ أشـعـلـوا أمـلـي ... وَزفّـــــوا رايـــــةَ الـبُـشـرى

شـهـيـدُ الـمـجـدِ يـا أُمّـــي ... وِســـامُ الـفـرحـةِ الـكُـبـرى

إلـــــى جـــنّـــات بـــارئـــه ... بـــنـــفـــحٍ زادنـــــــا عـطـرا

بـــــلاد الـخـيـر يـــا أبـتـي ... لـهـا أرواحُـــنـــــا تَـتْـرَى

إمـــــــاراتُ الـــوفـــا تـبـقـى ... مـــدارَ الـقـلـبِ والـمَـجـرى

بـحـقِّ الـلـــهِ أقـسَـمْـنـا ... وجـــرحُ الـحُـــرّ لا يـبـرى

سـنـفـديـهـا إمـــاراتـــي ... فـصـبـرًا إخـوتـي صـبـرا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

خَواطِرُ دَوْحَةٍ

للشّاعرِ الدّكتور شهاب غانم

يأوي لِظِلالي رَجُلٌ مُرهَق،
يُغمِضُ جَفنيهِ، وَينامْ،
يَستغرِقُ في الأحلامْ،
يندَاحُ على الكَوْنِ سُكونٌ مُطْلَقْ،
وَيَلُفُّ الكَوْنَ ظَلامْ

***

يَبزغُ خَيْطٌ شَفقيٌّ في المَشْرِقْ،
تأوي الأطيارُ إلى أغصاني، وَتُزقزقْ،
وَتَهبُّ على أوراقي الأنسامْ،
يَمتزِجُ العِطْرُ الفاغِمُ بالأنغام،
وَجْهٌ مُنتعِشٌ يفتحُ في بطءٍ عَيْنَيهِ،
كالبَيْضَةِ تَنْشَقُّ،
تَنسَلُّ الفَرحَةُ مِنْ جَفنيه،
وَتَمدُّ البسمةُ أجنِحَةً،
وَتَحطُّ على شَفَتيه

***

حينَ تَجِفُّ بأغصاني الأوراق،
وَيودّعُني ظِلّي الوارِفُ حتّى لا يبقى مِنْهُ
باق،
يَضرِبُ مِنّي الحطّابونَ السّاق،
لكنّي قد أغدو مقعدَ بُستانٍ،
أوْ نافِذَةً يتسرَّبُ مِنها الإشراق،
أوْ تُصنَعُ مِنْ خَشبي الأوراق،
فَتُخَطُّ قصائِدُ حُبٍّ فيها،
أوْ بعضُ رسائلِ أشواق،
أوْ أُمسي في مِدفأةٍ حَطَبًا للإحراق،
فَأَبثُّ الدِّفْءَ الدّفّاق،
وَأحسُّ بأنّي حتّى في لَحظَةِ إعدامي
مَخلوقٌ خَلّاق...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

هُنا في الخليج *

للشّاعرةِ صالحة عبيد غابش

هُنا في الخليجِ،
شُروقٌ بِحَجْمِ المَحبّةْ
وَأرضٌ كَعاطِفَةِ الأُمِّ رَحْبَةْ
وَفَجْرُ هَديلٍ يُداعِبُ سِرْبَهْ
بِأُغنيةٍ للسّلامْ

**

أَهذي مياهُ الخليجِ وَرِحلةُ صَيْفْ
وَبَحّارَةٌ جعلوا اليأسَ طَيفْ؟!
تُرَفرِفُ فيهِمْ عَزائِمْ
وَجاءَ الشِّتاءُ يدقُّ نوافِذَ كُلِّ الفصولِ
وَيُغلِقُ بابَ الرّحيلِ
وَيشتاقُ ليلُ الرِّمالِ إلى أُغنياتِ الرِّجالِ،
وَيشدو النّخيلْ

***

هُنا في الخليجِ
صُخورٌ أفاقَتْ على وَقْعِ مَوْجٍ غَريب
يُراوِدُ أحلامَها
يَمدُّ إلى أَمْنِها أَذْرُعَهْ
فَأَشرعَ إنسانُنا روحَهُ
لِيُردي الّذي جاءَ كي يَصرعَهْ

****

هُنا في الخليجِ
سَيبقى الشُّروقُ بِحَجْمِ المَحبَّهْ
وَطَيْرُ السّلامِ يُسَبِّحُ رَبَّهْ
وَيهزِمُ سَيْفُ المُقاتِلِ أنيابَ كُلِّ دَخيل
وَيأوي إلى دِفْءِ أرضٍ
كَعاطِفَةِ الأُمِّ رَحْبَهْ
وَيبدأُ شَطُّ الخليجِ كِتابَةَ تاريخِهِ مِنْ جديد

*) ديوان «بانتظار الشمس»، صالحة غابش، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط1، 1992، ص: 17 – 25

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إماراتُ الابتكارِ والسّلام *

للشّاعرِ نايف عبدالله الهريس

إمـــاراتُ الـمـــودّةِ والـسّـلامِ ... لـهـا هَـيَّـأْتُ أنـفـاسَ الـغَـرامِ

يُـسـافِـرُ فـي مَـحبَّـتِـهـا فـؤادي ... ويحملُها كَتاجِ المجدِ هامي

بـهـا قـد هـيّـأَ الآبـــاءُ عـهـدًا ... مِـنَ النُّعمى كأنفاسِ الغَمامِ

وَغَـــرَّدَ الاتِّـحـادُ بـهـا لِـتَرسو ... على شُـطآنِـهـا سُـفُـنُ الـسَّـلامِ

لقد خَطَّتْ بِها الأحقابُ مَجدًا ... بِنَبضِ الشّعبِ مِنْ سامٍ وَحامِ

يَـنـابـيـعُ الـبـطـولـةِ فـي رُبـاهـا ... تفيضُ مِنَ الرّويسِ إلى المدامِ

وإنْ نـادَتْ حياضُ البذلِ يومًا ... تَـسـابـقَ مُـفـتـدوهـا لـلـزَّحـامِ

لها يحني شهابُ المجدِ هامًا ... فقد حفِظَتْ تراتيلَ الحُسامِ

لقد ورثَ الشّبابُ بها نشيدًا ... تَـوهَّـجَ مُـنـذُ أجـــدادٍ كِـرامِ

يـقـولُ لَـهـا: ألا عِـمْـتِ بِخَيرٍ ... أيـا بيتَ الأسـودِ على الـدّوامِ

حصونُكِ نحنُ يا عِطْرَ الأماني ... وَنُـعـمـى زايـــدٍ بَـــدْرِ الـتَّـمـامِ

إمـاراتـي بِـهـا يـشـدو ابـتـكـارٌ ... وَمِـسـبـارٌ بِـهِ أَمَـــلُ الـتَّسامي

لـهـا أذكَـيْـتُ آمـالـي وروحـي ... لِـتُـشـرِقَ فـي أمانيها الـعِـظـامِ

وأخـلَـصْـتُ الـولاءَ لها لأحيا ... وَتَـحـيـا حُـــرّةً بـيـنَ الأنـــامِ

إمـاراتـي سـيـشـدو بـابـتـهـاجٍ ... لها قلبي؛ لِتكبرَ في غَرامي

قِـطـافُ الأُمـنـيـاتِ لَـهُ عَبيرٌ ... يُريحُ الصّدرَ في الوطنِ الهُمامِ

---

*) ديوان «لا تسألني»، نايف عبدالله الهريس، الغرير للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2016

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

شِعرٌ عالميٌّ

في قلبي
(توماس كارفر)

(1)

كان فخورًا بطفلته الصغيرة.

رافقها في يومها الأول إلى المدرسة.

تعلقت بروحه على طول الطريق،

سارا معًا في ظل غيمة من الهدوء والحزن.

– حين أراد المغادرة قالت له:

«أبي أرجوك ألّا تذهب

لا تتركني هنا وحيدة».

(2)

في يوم زفافها، رقصت معه.

وبكى حين ذهبت بعيدًا.

كانت تردد «يجب أن أذهب الآن يا أبي»

كانت تهمس له:

«ذكرياتك في قلبي باقية».

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

(3)

في المشفى،

جَلسَتْ إلى جانب سريره، حزينة ومخذولة!

قَبَّلَتْ رأسه،

حاولت إخفاء حزنها، دموعها، خيبتها دون جدوى!

تمنت أن تمنع الموت في تلك اللحظة.

نظرت إليه وقالت:

أرجوك أن تبقى يا أبي، أنا ما زلت في قلبك وذكرياتك.

عندما تذهب بعيدًا.

لمسات من نحبهم

(لندا ماريو)

(1)

أرى تحطم الأمواج وانكساراتها على الشاطئ

أرى كل ما تحمله من غضب يتلاشى

بين طبقات المحيطات

أنظر إلى السماء الزرقاء جدًّا

والشمس التي تفيض بالضوء والشروق

أشعر بها حين تنثر بهجتها ودفئها على الكائنات

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أرى قافلة من الأعشاب

تتمايل في نسيم عذب

ترقص في تناغم هادئ ولطيف

أنظر إلى الأشجار

فأسمع غناء العصافير وهي تنثر السعادة

دون أي كلام

أتوقف،أجلس هناك، أسند ركبتي إلى صدري

وأرى الطبيعة في أحسن هيئة

وأتأمل لِمَ لمْ نعد نشعر بالجمال؟

(2)

حين ندع شواهد الجمال

تذهب بعيدًا عن رؤيتنا

نتوتر، ونفتعل معارك ساذجة للفرح كل يوم

والحقيقة هي أننا نسينا تلك الأشياء الصغيرة

والجميلة التي تعني لنا الكثير.

نسينا الضحك، الحرية، اللعب

نسينا كيف نتأمل الطبيعة

نسينا حتى لمسات من نحبهم.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

(3)

نحن لا نحيا دون تناغم مع الآخرين

وكلما تركنا شواهد الجمال تعبر إلى ذواتنا

وتتوحد فينا كل يوم وليلة

سنعيش بكل بهجة

مثل الشمس

والريح

والأشجار

هكذا أتأمل الطبيعة

وأتساءل أمام جمال الكائنات:

كيف فقدنا المتعة

كيف هربت مِنّا الرؤية

كيف أهملنا

تلك الأشياء الصغيرة؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

القِصَّةُ القصيرةُ

القِصَّةُ القصيرةُ

«القِصّة»مشتقّة من الفعل «قَصَّ»، الّذي يأتي بمعنى التَّتبّع، يقال: قصَّ فلانٌ أثرَ فلان: أي تتبّعه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾. ويأتي أيضًا بمعنى الإخبار والرواية، يقال: قَصّ عليه الخبر: أي حدّثه، وقَصّ القِصّة: أي حكاها. فالقِصّة: هي الحكاية الّتي تُحكى.

أمّا «القِصّة» في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة، لكنّ معظم هذه التعريفات يؤكد على أنّ القِصّة سرد متخيّل قصير نسبيًّا، يهدف إلى إحداث تأثير معين، وفي أغلب الأحوال تركز القِصّة القصيرة على شخصية واحدة في موقف واحد، في لحظة واحدة، في مكان بعينه. وقد اختصر بعضهم تعريف القِصّة بقوله «فَنٌّ أدبيٌّ نثريٌّ يتناول بالسَّرد حدثًا وقع، أوْ يمكن أن يقع».

وأهم ما يمكن أن يقال عن القِصّة (والرواية كذلك) إنّها فنٌّ غايته الإمتاع في المقام الأول، فليس من أهداف القِصّة (أو الرواية) أن تقدم معلومات للقارئ بصورة مباشرة، وليس من أهدافها أنْ تُعلّم أو تعظ. إنّ القِصّة فَنّ، والفَنّ لا يتّخذ من الخطاب المباشر وسيلة أو طريقة للتعبير والوصول إلى وجدان القارئ.

إنّ القِصّة تستحثُّ القارئ على التفكير والتأمل، وعلى أن ينظر إلى الحياة من زوايا مختلفة، ومن خلال تفاصيل صغيرة جدًّا قد لا ينتبه إليها، لكنها تشكل حياة الناس، وتؤثر فيهم، لذلك نقول: إن القِصّة الناجحة هي الّتي تجعل القُرّاء يفكرون، ويشعرون.

وهناك عناصر أساسية تقوم عليها القِصّة (أو الرواية)، والكاتب الناجح هو الّذي يشكل من هذه العناصر بناء فنيًّا متجانسًا متماسكًا، يؤثر في القارئ، ويوصل إليه فكرة ما بشكل غير مباشر، ومن أهم عناصر القِصّة:

1. **الحدث**: عادة ما تقوم القِصّة القصيرة على حدث مفرد؛ فالقِصّة تجري في زمان محدد، ومكان محدد، وتتناول موقفًا محددًا، أو شريحة من الحياة بغية تسليط الضوء عليها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

2. **الشخصيات**: عنصر الشخصية يعد دعامة أساسية من دعامات القِصّة، فلا يمكن أنْ تُبنى قصة من دون وجود شخصية تحرك الأحداث وتتأثر بها، والشخصية قد تكون إنسانًا أو حيوانًا أو كائنًا متخيلًّا.

3. **الإطار الزماني والمكاني**: يحدد هذا العنصر زمن وقوع الأحداث ومكانها، والكاتب المتمكن يوظف عنصر الزمان والمكان توظيفًا يناسب جوّ القِصّة، والفكرة.

4. **الراوي ووجهة النظر**: الراوي هو الّذي يروي القِصّة، وهو ليس الكاتب، بل الكاتب يختار وجهة نظر معينة تُروى من خلالها القِصّة، ويرويها راوٍ قد يكون شخصية من شخصيات القِصّة، وقد يكون راويًا خارجيًّا. ووجهة النظر الّتي ينطلق منها الراوي تتقاطع مع فكرة الرواية، لأنها تعبّر عنها.

5. **الحبكة**: الطريقة الّتي يجمع بها الكاتب أحداث قصّته أو روايته ليصنع منها عملًا فنيًّا، يجذب القارئ، ويشدّه في اتجاه النّصّ من بدايته حتّى نهايته، وقد يظهر خط بسيط للحبكة في بعض القصص، فعلى الرغم من قصر القِصّة، وضيق المساحة المتاحة للكاتب ليتحرك فيها، إلا أنّ بعض القصص يظهر فيها تصاعد للأحداث، ووصولها إلى نقطة توتر عليا، ثُمَّ انحدار نحو النهاية.

6. **التشويق**: هو العنصر الّذي يشدّ القارئ نحو القِصّة وعالمها، وغالبًا ما يكون مرتبطًا بشيء تريده الشخصية الرئيسة، أو مشكلة تواجهها. بعض القصص قد تتحرر من البنية التقليدية الّتي تعتمد على التشويق وتأزم الموقف، خاصة تلك الّتي تركز على مشهد وحيد مضغوط، أو الّتي تُبقي القارئ داخل دائرة تفكير الشخصية وتأملاتها وأسئلتها، ولذلك يصنف بعضهم القصص إلى «قصة شخصية» و«قصة حبكة أو حدث». أمّا الثانية، في الغالب، فهي الّتي قد تحوي عنصر التشويق القائم على توتر الأحداث ووصولها إلى نقطة تأزّم عُليا.

7. **الفكرة أو الموضوع**: وهي الرسالة المبطنة في القِصّة، والتي يريد الكاتب من القارئ أن يصل إليها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

8. **اللغة**: اللغة ترتبط بحجم القِصّة، ويجب أن تكون مكثفة تعتمد التلميح بدل التصريح؛ فلا مجال للوصف المسهب فيها، وغالبًا ما يتراوح عدد كلماتها بين خمسمئة إلى عشرة آلاف كلمة، وقد تستخدم الحوار الّذي يجب أن يناسب الشخصية، مما يفتح الباب للعبارات العامية والشعبية.

ويمكننا أن نجمل القول في القصة فنقول: إنّ القصة لا تتناول -خلافًا للرواية- شخصية كاملة بكل ما يحيط بها من حوادث وظروف وملابسات، وإنما تكتفي بتصوير جانب واحد من جوانب حياة الفرد. ولا تتعدد الشخصيات في القصة القصيرة. ومن الضروري أن تتوافر وحدة الفعل والزّمان والمكان؛ فيجب أن يكون المكان محدودًا، وأن يكون الزمان قصيرًا. وأن ينتقي القاصّ -عكس الرّوائيّ- حدثًا من الحياة اليومية، ويحاول أن يجعل منه موقفًا فنّيًّا، يوضح به حقيقة من الحقائق.

ولم تعد بنية القصة القصيرة وعناصرها كما كانت وقت ظهورها، فقد اختفت بعض الشروط واختفت بعض العناصر، حتى تكاد كل قصة قصيرة لها شكلها الخاص.ولقد تعددت موضوعاتها وأغراضها ومجالاتها، وتباينت في مدى ارتباطها بالواقع أو ابتعادها عنه.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الخبزُ *
(فولفجانج بورشيرت)

استيقظَتْ فجأةً وكانتِ السّاعةُ الثّانيةَ والنّصفَ، وأخذَتْ تُفكِّرُ في أنّها استيقظَتْ، ثمَّ تذكّرتْ أنّهُ في المطبخِ كانَ أحدٌ قدِ اصطدمَ بكرسيٍّ، أخَذتْ تَتَنَصَّتُ في اتِّجاهِ المَطبخِ فَكانَ الهدوءُ سائدًا، هدوءٌ تامٌّ للغايةِ، وعندما تحسَّسَتْ بيدِها فوقَ السَّريرِ إلى جوارِها وجدتْهُ خاليًا، تَتَخَبَّطُ في مِشيَتِها داخلَ الشّقّةِ، في اتِّجاهِ المطبخِ، وهناكَ في المطبخِ تلاقَيا، وكانتِ السّاعةُ الثّانيةَ والنّصفَ، لقدْ رأتْ شيئًا أبيضَ اللَّونِ عندَ دولابِ المطبَخِ[1]، أضاءتِ النّورَ. كانا قدْ وَقَفا بقميصَي النَّوْمِ، يُواجِهُ كلٌّ مِنهُما الآخَرَ ليلًا، ليلًا في السّاعَةِ الثّانيَةِ والنِّصْفِ في المطبخِ.

1) مَن تتوقّعُ كانَ عندَ دولابِ المطبخِ وسَطَ العتمةِ؟

فوقَ مِنضَدَةِ المطبخِ كانَ يوجَدُ طبقُ خبزٍ. لاحظَتْ أنَّهُ كانَ قدْ قطعَ لِنَفْسِهِ خبزًا، وكانتِ السِّكِّينُ لا تزالُ إلى جوارِ الطَّبقِ، وكانَ على المِفرَشِ فُتاتٌ منَ الخبزِ، لقدْ تَعَوَّدتْ تنظيفَ مفرشِ المِنضَدَةِ كُلَّما كانا يتأَهَّبانِ إلى الفِراشِ كُلَّ مساءٍ، يُرى أنَّهُ الآنَ كانَ يوجَدُ فُتاتُ خُبزٍ على المِفرَشِ وكانتِ السِّكِّينُ عليْهِ. لقدْ شَعرَتْ ببرودةِ البلاطِ تزحفُ إليها عاليًا، وصَرَفَتْ أنْظارَها عنِ الطَّبَقِ، قالَ هو بينما ينظرُ حَوْلَهُ في المطبخِ «ظنَنْتُ أنَّ هُنا ربما ثَمَّةَ شيءٌ ما»[2]

2) لِمَ تظاهرَ الزَّوْجُ بأنَّهُ سَمِعَ صوتًا عندَما انْتَبَهَ إلى وُجودِ زَوْجَتِهِ؟

فأجابَتْ: «سَمعتُ أنا أيضًا شيئًا ما». وهُنا اكتشَفَ أنَّهُ كانَ فِعْلًا يَبدو عَجوزًا وهُو باللَّيلِ في قميصِ النَّوْمِ، عجوزٌ كما كانَ فعلًا، ثلاثةٌ وستونَ عامًّا، على مدارِ النَّهارِ كان يبدو أحَيانًا أصغرَ سِنًّا.

وَفكَّرَ هُوَ: «إنَّها تبدو فِعلًا عَجوزًا، في قميصِ النَّوْمِ تبدو فِعلًا وكَأنَّها عَجوزٌ، ولكنْ ربما كانَ شعرُها هوَ السَّببُ حيثُ إنَّ الشَّعرَ يتَسَبَّبُ في جَعْلِ النِّساءِ تَبدو ليلًا أَكْبَرَ سِنًّا، ثُمَّ يَجعلُ المرءَ عَجوزًا تَمامًا مرَّةً واحِدَةً»[3].

3) كيف يمكِنُ أنْ تصفَ مشاعرَ الزوجِ نحو زوجتِه هنا؟

* قصص قصيرة من الأدب الألماني، ترجمة وتقديم: أحمد كامل عبد الرحيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008، ص101–105.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

«كانَ ينْبَغي عَلَيْكَ أنْ تَلْبَسَ حِذاءً، حافِيَ القدميْنِ هَكذا فوقَ البلاطِ البارِدِ! ستُصابُ بالبردِ أيضًا».

لَمْ تُدَقِّقِ النَّظَرَ فيهِ؛ لأنَّها لَمْ تستطعْ تَحَمُّلَ أنْ يكذبَ، أنْ يكذبَ بعدَ مرورِ تسعةٍ وثلاثينَ عامًّا على زواجِهما.[4]

4) حَدِّدِ المشاعرَ الَّتي انتابتِ الزَّوْجَةَ كما تَفْهَمُ مِنَ العِباراتِ الَّتي تَحْتَها خَطٌّ.

«ظننتُ أنَّهُ قَد يكونُ ثَمَّةَ شيءٌ ما» قالَ ذلكَ مرَّةً أُخْرى وهوَ يُعاوِدُ النَّظَرَ مِنْ رُكْنٍ إلى آخرَ دونَ داعٍ على الإطلاقِ، «لقدْ سمعتُ شيئًا ما، ظَنَنْتُ فِعْلًا أنَّهُ قَدْ يكونُ ثمّةَ شَيْءٌ ما».

«لقد سمعتُ شيئًا أيضًا»، غَيْرَ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَيَّ شيءٍ على الإطلاقِ، ثُمَّ رَفَعَتِ الطَّبَقَ من فوقِ المِنْضَدَةِ، وأخذتْ تُزيحُ الفتاتَ مِنْ فوقِ المِفْرَشِ.[5]

5) لِمَ قامَتِ الزّوْجةُ بإزاحةِ فتاتِ الخُبْزِ، وَرفعتِ الطَّبَقَ دونَ أنْ تُعلِّقَ؟

وَكَرَّرَ هُوَ مُرَدِّدًا «لا، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَيءٌ ما حَقًّا، لابُدَّ أنَّ هذا قَدْ حَدَثَ بالخارِجِ، لقدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ رُبَّما حَدَثَ شَيْءٌ ما هُنا».

رَفَعَتْ يَدَها في اتِّجاهِ مفتاحِ النّورِ وفكَّرَتْ، «حَسَنًا، لابُدَّ أنْ أُطفئَ النّورَ الآنَ وإلّا فإنَّني سأُضطَرُّ إلى الاتِّجاهِ بنظري إلى الطَّبَقِ في حينَ لا يَصِحُّ لي أنْ أفعلَ ذلكَ». ثمَّ قالتْ وهيَ تُطفِئُ النّورَ: «هيّا لقدْ كانَ ذلكَ بالخارجِ، إنَّ المزرابَ يَصْطَدِمُ دائمًا بالحائطِ عندَما تكونُ هناكَ رياحٌ. لقدْ كانَ المزرابَ بالتَّأْكيدِ، فَعِنْدَما تَعْصِفُ الرّيحُ فإنَّهُ دائِمًا يَهْتَزُّ».[6]

6) ما الّذي تحاوِلُ الزوجةُ أن تفعلَه بحديثِها عن المزراب؟ وكيف يُعبّرُ ذلك عن شخصيّتِها؟

أخَذ كِلاهُما يتَخَبَّطانِ مُسرِعَينِ عَبْرَ المَمَرِّ المُظْلِمِ إلى حُجْرَةِ النَّوْمِ، وكانتْ أقدامُهُما الحافيةُ تُحدِثُ لطماتٍ على الأرضِ، ورأى هوَ أنَّها الرّياحُ حقًّا «لقدْ كانتِ الرّيحُ تعصفُ طوالَ اللّيلِ بأكمَلِهِ، لقدْ كانَ المزرابَ بالتَّأكيدِ، ظَنَنْتُ أنَّ ذلكَ رُبَّما كانَ في المطبخِ، ولكنَّ السَّبَبَ كانَ المزرابَ».

ردَّدَ ذلكَ وهوَ يكادُ يكونُ قد غلبَهُ النَّومُ، غيرَ أنَّها لاحظتْ كيفَ كانَتْ نغمةُ صوتِهِ غيرَ صادقةٍ عندما يكذبُ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وقالتْ وهيَ تتشاءبُ بصوتٍ منخفضٍ: «إنَّ الطَّقسَ باردٌ، سأزحفُ تحتَ الغطاءِ، تصبحُ على خيرٍ».

أجابَ: «طابتْ ليلَتُكِ، إنَّ البردَ شيءٌ جميلٌ حقًّا».

ثمَّ سادَ الهدوءُ، وبعدَ عدَّةِ دقائقَ سمِعَتْهُ يمضغُ ببطءٍ وحذرٍ، وتعمَّدَتْ أنْ تَتَنَفَّسَ بعمقٍ وبشكلٍ مُنتظمٍ، إذْ لا يَنبغي أنْ يلحَظَ أنَّها لا تَزالُ مُسْتَيْقِظَةً، غيرَ أنَّ المضغَ كانَ مُنْتَظمًا إلى حَدٍّ أنَّها بسببِهِ استغرقتْ في النَّوْمِ تَدْريجِيًّا.

وعندما عادَ في اليومِ التّالي إلى المنزلِ أزاحَتْ إليهِ أربعَ شرائحِ خبزٍ في حينِ أنَّهُ كانَ في العادةِ يأكلُ ثلاثًا فَقَطْ.

قالَتْ وهيَ تبتعدُ عنِ المصباحِ تستطيعُ أن تَسعدَ بتناولِ أربعِ شرائحَ، إنَّني لَمْ أعدْ أستطيعُ الاستمتاعَ بهذا النوعِ من الخبزِ فلْتَأْكُلْ واحدةً إضافِيّةً، إنّني لَمْ أعدْ أطيقُ تناولَهُ مساءً كالسّابقِ.[7]

7) هل حقًّا هي لم تعُدْ تطيقُ الخُبزَ كالسابق؟ علام يدلُّ ذلك؟

وهُنا لاحظَتْ كيفَ ينحني كثيرًا فوقَ الطَّبَقِ، ولَمْ ينظرْ إلى أعلى. وفي هذهِ اللَّحْظَةِ أَخَذَتْ تُشفِقُ عليْهِ.

فقالَ وهوَ مُنْكَبٌّ على الطَّبَقِ «لا يُمْكِنُكِ أنْ تَكتَفي بتَناوُلِ شريحَتَيْنِ».

«بَلى، إِنَّني في المساءِ لا أُفَضِّلُ كثيرًا هذا الخبزَ، هَيّا! كُلْ!، كُلْ!».

ولَمْ تجلسْ تحتَ المصباحِ عندَ المِنْضَدَةِ إلّا بعدَ بُرْهَةٍ.[8]

8) لماذا كانَتِ الزَّوْجَةُ تتعمَّدُ الابتعادَ عنِ المصباحِ في كلِّ مرَّةٍ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مِصباحُ الحَمّامِ *

لطيفةُ الحاجِّ

راقبَتِ الشَّمسَ وهي تَغيبُ فشعرَتْ بالحُزنِ، ستعودُ إلى الغرفةِ المُظلمةِ، وتنامُ على الضَّوءِ النَّافذِ من الحَمَّامِ هذهِ اللَّيلةَ أيضًا، كانتْ تُفكّرُ في ادِّخارِ مصرُوفِها؛ لتشتريَ مصباحًا من البقَّالةِ، لكنَّها شَعرَتْ بالجُوعِ الشَّديدِ؛ لأنَّها لم تتناولْ عشاءَها بالأمسِ، كلَّ يومٍ تشعرُ بالجوعِ بعدَ ثلاثِ حصصٍ دراسيَّةٍ، ولا تتمكَّنُ منَ ادِّخارِ المصروفِ.

غابتِ الشَّمسُ تمامًا، وحلَّ اللَّيلُ، تذكَّرتْ واجبَ العُلومِ الَّذي لم تنتهِ منْ حلِّهِ، فتحَتْ بابَ الحَمَّامِ على اتِّساعِهِ وجلسَتْ بالقُربِ مِنهُ تحلُّ الواجبَ.

زوجةُ أبيها تستقبلُ الجارةَ الجديدةَ في غرفةِ الجُلوسِ، وهي بعدَ أنْ أخْبرَتْها قبلَ أسبوعٍ عندما احترقَ المِصباحُ، واقترحَتْ عليها بنفادِ صبرٍ أنْ تفتحَ بابَ الحمَّامِ، وتنامَ على الضَّوءِ النَّافِذِ منهُ، قرَّرَتْ ألَّا تُخبرَها مُجدَّدًا، قفزَتْ إلى عقلِها وهيَ تقومُ بحلِّ الأسئلةِ في فصلِ الأمراضِ في كتابِ العلومِ، وهي تئنُّ منَ الحُمَّى قبلَ شهرٍ منَ اليومِ، كانتْ تتمنّى لو أنَّ زوجةَ والدِها-خالتَها هند-تُطلُّ عليها وهي مُتمدِّدةٌ بوَهَنٍ تَهذي على سريرِها الصَّغيرِ، والمِصباحُ يُشِعُّ أعلى رأسِها. بقيتْ الخالةُ تُتابعُ الحَلْقةَ من المُسلسلِ العربيِّ المعروضِ على التِّلفازِ، والأصواتُ العاليةُ المُنبعثةُ منهُ تَزيدُ من وجعِها ووَهَنِها.

تَرقرَقَتْ دموعُها على الدَّفترِ، ليلةً أُخرى على ضوءِ الحَمَّامِ، إنَّها تَخافُ النَّومَ بعدَ أنْ سمِعَتْ الفتياتِ في المدرسةِ يتحدَّثْنَ عن أشباحٍ تخرُجُ ليلًا منَ الحَمَّامِ إذا تُركَ بابُهُ مفتوحًا، لكنَّها تَخشى الظَّلامَ أكثرَ، وإنْ فكَّرتْ في تركِ بابِ الغُرفةِ مفتوحًا لِتنامَ على الضَّوءِ القادِمِ منْ غُرْفةِ الجُلوسِ لنْ تتمكَّنَ من النَّومِ؛ فالأصواتُ القادِمَةُ من هُناكَ عاليةٌ ومُزْعِجةٌ.

خَلَدَتْ إلى النَّومِ بعدَ أنْ قرأتْ المُعوِّذتينِ؛ لتَطردَ الأشباحَ من الغُرفةِ وتُعيدَها إلى الحَمَّامِ.

صباحَ اليومِ التَّالي، التَقتْ جدَّها يروي شُجَيراتِهِ وهيَ في طريقِهَا لِرُكُوبِ باصِ المدرسةِ، نَاولَها عشرةَ دراهمَ فقفزَ قلبُهَا فرَحًا، اللَّيلةَ لنْ تنامَ على ضوءِ مِصباحِ الحَمَّامِ.

* لطيفة الحاج، 300.3 وقصص أخرى، كلمات للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 2014.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

زعترٌ وزنجبيلٌ *

د. سعادُ العريمي

(1) اندفَقتْ ثلوجُ (واشنطنَ) بغزارةٍ في ذلكَ المساءِ، وخِلتُها تَنْدَلقُ في جَوفي فَشَربْتُها، ولم تَرْوِ ظَمَأَ الصّحراءِ المتجذِّرِ في داخلي. ثلوجٌ بيضاءُ تلوحُ كضَوءٍ خَفوقٍ، كالبَرَدِ، كالماءِ، تَفصِلُني عنْ سوادِ اللَّيلِ المتربِّعِ على عَتباتِ الأفُقِ. ثُلوجٌ تُجذِّرُ القَحْطَ المُختَزَنَ في الذاكرةِ، وتُغيِّمُ بينَ الإدراكِ واللّاشعورِ؛ فَأُسْدِلُ دثارَ الثَّلجِ كخيمةٍ يظلِّلُها الغُبارُ، وأَدْخُلُ بين الكهوفِ، وأُعْلِنُ عَجْزي عن استيقافِ تلكَ اللّيلةِ الذاهبةِ كَخشخشةِ ريحٍ.[1]

1) في القصةِ إشاراتٌ إلى فصلِ الشّتاءِ كونَهُ الزَّمَنَ الّذي بدأتْ به القصَّةُ، اذكرْ بعضَ هذهِ الإشاراتِ.

عرباتٌ تخفقُ خلفَ نافذَتي.. خلفَ أسوارِ الحديقةِ، ثم تتيهُ في أزقَّةِ الصّحراءِ ولم أرَ سوى أشباحٍ بعيدةٍ لضبابٍ يتكوَّمُ بفِعلِ الغليانِ، احترقَتْ وريقاتُ الزَّعترِ المتناثرةُ منْ قبضةِ يدي ولمْ آبَهْ لها، ولم آبهْ لتسلّلِ الضَّوءِ وانعكاساتِهِ على الرَّكوةِ المرتجفةِ بين أصابعي. ضياءٌ يشقُّ غُبارَ الثَّلجِ المتراكِمَ على ذاكرةِ الشِّتاءِ؛ ليعلنَ عن شروقِ الشَّمسِ. شعاعٌ يتكسَّرُ على ظَهْرِ نافِذَتي، ويَغْمُرُ الممَرّاتِ، ويَترُكُني أُفتّشُ عن نومٍ هانئٍ... نومٍ مكتَنِزٍ بالأحلامِ، فأغْفو على أبخرةِ الزَّعترِ، واختناقاتِ الزّكامِ، وصوتُ سلامةَ بنتِ فرجٍ يُهَدْهِدُني[2]:

2) قطعَتِ الرَّاويةُ اللَّحظةَ الآنيَّةَ مسترجعةً الماضيَ وذلكَ بإدخالِ شخصيَّةٍ جديدةٍ هيَ سلامةُ بنتُ فرجٍ. ابحثْ عنْ أمثلةٍ أخرى في القِصَّةِ للاسترجاعِ بهدفِ إدخالِ شخصيَّاتٍ جديدةٍ مؤثِّرةٍ في سيرِ الأحداثِ وتناميها.

«اشْرَبي الزّعْتَرَ والزَّنجبيلَ، زين عن الزّكام» ثمَّ تَمضي، وأُحِسُّ بأنَّ خَلفي مجرّاتٍ مُهَشَّمَةً تدفَعُني إلى مياهٍ مضطربةٍ؛ فأمشي وأتركُها تَرعُدُ تحتَ قَدميَّ.

(2) في سِكّةِ خَيْلِ دُبيٍّ كُنتُ أَخْطُرُ كالغَريبةِ، أَزِنُ خُطواتي وزنًا غيرَ مُتعادلٍ، حينَها أدركتُ بأنَّ للميزانِ كفّةً ثالثةً، أزِنُ خُطواتي باحثةً عن امتدادٍ للمكانِ، ولم أجِدْهُ، عن ذاكرةٍ للزّمانِ، ولمْ أهْتَدِ إليها. هَجَرَ

* رأس ذي يزن (قصص)، وزارة الثقافة والشّباب وتنمية المتجتمع، واتحاد كتّاب وأدباء الإمارات، الشّارقة، الطبعة الأولى، 1997.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

3) ما التغيُّرُ الّذي طرأَ على المكانِ (شارعُ سكّةِ الخيلِ) كما فهمتَ؟

المكانُ شارعَ سكّةِ الخيلِ[3]، ورَحَلَ الزّمانُ معَ الغابرينَ، وبقيتُ أنا مغيَّبَةً دونَ هُويَّةٍ نَبتَةً عالِقةً في هوامشِ المكانِ. على غفلةٍ بُغِتُّ بزمنٍ آخرَ خارجَ مدارِ الذّاكرةِ، الذّاكرةِ الّتي بدأتْ تَتَهَدَّجُ رُوَيدًا رُوَيدًا، وعصرٍ مغيَّبٍ وراءَ الأضواءِ المشتعلةِ الضارِبةِ على وجوهِ المارَّةِ والمرتكِزَةِ على ثُغورِ النِّساءِ المنبَهراتِ بما تَعْرِضُهُ المتاجرُ من أمتعةٍ.[4]

4) تشعرُ الكاتبةُ بحدوثِ نقلةٍ لا تستطيعُ تحمُّلَها أو استيعابَها في الزَّمانِ والمكانِ. ضعْ خطًّا تحتَ العباراتِ الدَّالةِ على ذلكَ.

وقفتُ أتامَّلُ تلكَ النّسوَةَ السّافِراتِ «لا يُشبِهْنَ أمّي سلامةَ» أتأمّلُهُنَّ وهُنَّ في حالَةِ حَركَةٍ دائبةٍ... مُهرولاتٍ، غادياتٍ ومُدبِراتٍ. على مَقرُبَةٍ منَ المشهدِ جَلَسَ رجلٌ كَهلٌ شاخِصًا ببصرِهِ ناحيةَ المجهولِ، تتقاطرُ الحبّاتُ المرجانيّةُ بين أصابِعِهِ متناغمةً معَ تمتَمَةٍ غيرِ مسموعةٍ يلهجُ بها وهُو زائغُ البَصَرِ.

(3) التفَتَتْ إليهِ متعمّدةً: «مسّاكَ اللّهُ بالخيرِ يا أبا حمدانَ».ابتسمَ وتلَجْلَجَتْ عَيناهُ بالدّموعِ منَ الفرَحِ لسماعِ صَوْتِها أوْ بِفِعْلِ السِّنِّ رُبّما. تخلَّلَ صَوتُهُ الدافِئُ مسامَ سلامةَ بنتِ فرجٍ، وانتَعَشَتْ، فَسَبَرَتْ وجنتاها متّخذةً لونَ الأرجوانِ، مالَ طرفُ بُرْقُعِها برِفْقٍ كاشِفًا عن شَفَتينِ قُرْمُزِيَّتينِ، وبسرعةٍ أعادَتْهُ إلى وَضعِهِ، زَمَّ النّوخَذا[1] شَفَتَيْهِ النّاشِفَتَينِ، وفَرَكَ شارِبَيْهِ اللَّذَيْنِ خَفَّتْ غَزارَتُهُما، ولم يَتبَقَّ مِنْهُما سوى نُقْطَةٍ بيضاءَ في مُنتَصَفِ الشَّفَةِ العُليا. لم تَلْحَظْ سلامةُ ذلكَ التّوَتُّرَ البادِيَ على مُحيّا النّوخَذا، وإنَّما اكتَفَتْ بِصَوتِه الّذي أَخَذَ يَسْتَعيدُ طَراوَتَهُ بعدما أَيقَنَ بأَنَّهُ ليسَ وحدَهُ في شارعِ سكَّةِ الخيلِ.[5]

5) تُظهرُ القصَّةُ ارتباطَ الكاتبةِ بالجدَّةِ سلامةَ، حدِّدْ بعضَ مظاهرِ هذا الارتباطِ.

«خُذي زعتر وزنجبيل هذا زين عن البرد». قُلْتُ لها: «أريدُ لُبانًا». مَدَّتْ يَدَها ناحِيَةَ الكيسِ بسرعةٍ، وأَخرجَتْ حَبّاتٍ كَهْرمانِيَّةً، ونَثَرتْها على رُقعةٍ منِ القِرطاسِ:

«هذا لُبانٌ عمانيٌّ – ظَفاريٌّ...هذا خُصوصيٌّ ما نُعطيهِ إلّا للغالِيين».

1) . النوخذا أوِ النوخذة : ربان السفينة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تقولُ ذلِكَ وعيناها تَرقُبانِ خَلَجاتِ النّوخَذا الّذي أَخَذَ يَسْتَرِقُ النَّظَرَ إلى نَحْرِها.

لُؤلؤةٌ حَصباءُ[1] بَرَقَتْ فَجْأَةً مِن وَراءِ الأَرْهافِ الَّتي تُرَفْرِفُ على صَدرِ سلامَةَ. كان راشدُ بنُ ناصرٍ قدْ أَهداها لَها، «هكذا تَخَيَّلْتُها»، أَوْ كانَتْ ضِمْنَ (زِهْبَتِها)[2] عند زَواجِها من سعيدِ بنِ مردفٍ الّذي فُقِدَ في البحرِ في أثناءِ مواسِمِ السَّفَرِ. رَحَلَ سَعيدٌ دونَ أنْ يَهَبَ سلامةَ الضَّنى المنتَظَرَ، ذهبَ دونَ أنْ يهبَها ولدًا، وهَكذا بقِيَتْ وحيدةً[6] تُناظِرُ النّوخذا راشدًا من خَلفِ البُرقُعِ لأكثرَ منْ أربعينَ عامًا.

6) لِمَ كانتِ الجدَّةُ سلامةُ وحيدةً؟

(4) كانَ يومًا حارًا قائِظًا من صَيْفِ تمّوزَ عامَ 2002 عِندما زُرْتُ شارعَ سِكَّةِ الخيْلِ، أَتَفَقَّدُ مُرْتاديها كالعادةِ، وأَتَبَضَّعُ مِنْ عِندِ أُمّي سلامةَ، فَرِحلتي أَوْشَكَتْ قريبةً. تَعَوَّدَتْ أنْ تَسأَلَني عندَ كُلِّ زِيارَةٍ «ها متى الشّومة[3]؟» ثمَّ تُهَمْهِمُ بأدعيةٍ يَصِلُني مِنها المقطعُ الأخيرُ «اللّهمَّ بالحِفظانِ والجبرانِ». وأُغادِرُ السّوقَ محمَّلَةً بالدَّعَواتِ وبأكياسِ الأعشابِ والأدويةِ، أُكَدِّسُها سَنَةً بَعدَ أُخرى، إِذْ لا يزالُ بعضٌ مِنْها يَسكُنُ أَرْفُفَ مَطْبَخي في واشنطنَ.

في ذَلك النَّهارِ من سِبتَمْبَرَ عامَ 2004، كانتِ الفرحةُ تُعَرِّشُ على ذِهْني، فَقَطْ لأَنني أَردْتُ أن أُخبِرَها بأَنّني عُدْتُ «عندما تَعودينَ إلى البلادِ لازم أعرف علشان أفرح بنجاحك». ولَمْ أَجِدْها.

في ذلكَ النَّهارِ لم يَكُنْ راشدُ بنُ ناصرٍ قابِعًا على دِكَّتِهِ كالمعْتادِ، ولَمْ تَجْلِسْ سلامةُ بنتُ فرجٍ في الرُّكْنِ المقابِلِ لَهُ[7]، كانَ مَكانُهُما فارِغًا مُهْمَلًا، تَنْبَعِثُ مِنْهُ رائِحَةُ الرُّطوبَةِ، كانَ مَكانُهُما نَتِنًا مَليئًا بِبُصاقِ المارَّةِ. فراغٌ دامِسٌ يَلُفُّ شارعَ سِكَّةِ الخيلِ، فانْكَفَأَتْ كُلُّ الرُؤى.

7) ما الّذي يُمكِنُ أنْ يكونَ قدْ حَدَثَ لكلٍّ من راشدِ بنِ ناصرٍ وسلامةَ بنتِ فرجٍ؟ وما السَّببُ الرَّئيسُ برأيكَ؟

في ذَلِك النَّهارِ الغامقِ لم تَكْتَحِلْ عيني بِرُؤيَتِهما، ولم تَصِلْني رائحةُ

1) . اللؤلؤة الحصباءُ: هي لؤلؤة كبيرة الحجم.
2) الزهبة : الهدايا الّتي تقدّم للعروس من قِبَل عائلة العريس.
3) . الشّومة : (في اللّهجة المحلية) : السفر

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

دِهـنِ العـودِ المنْبَعِثَـةُ مِـنْ ثنايـا وُجودِهمـا الممتَـدِّ عَبْـرَ الذاكِـرَةِ، ذاكـرةِ الوَصـلِ، قَبْـلَ أن تتقَطَّـعَ أوْصـالُ الوَصْـلِ وقَبـلَ أَنْ تُجـرَحَ سِكَّةُ الخيـلِ بزَعيـقِ (المواتِـر[1]) وصَخَـبِ السُّـيّاحِ[8]. قَبـلَ أَنْ تَخْطُـرَ (ناتالْيـا) فـي الشّـارعِ الممتَـدِّ مِـنَ المكتبَـةِ العامَّـةِ شـمالًا حتـى العبـرةِ جَنوبًـا[2].

8) في رأيكَ هلْ كانَ ارتباطُ الكاتِبةِ بـ (سِكَّةِ الخيلِ) نابعًا منَ المكانِ نفسِهِ، أمْ أنَّ الارتباطَ كانَ بسُكّانِ ذلكَ المكانِ ومُرتاديهِ؟ وضِّحْ ذلِكَ.

1) .المواتر :العربات
2) . أماكن في دبي

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الكَرْتونَةُ

نايف النَّوايْسَة

بعدَ انتظارٍ طويلٍ طويلٍ، استقرَّتْ أمامَ بابِ الشِّقَّةِ السُّفْلِيَّةِ في العِمارةِ.

قَرَعَ الرَّجلُ الجَرَسَ مرّةً ومرّتينِ وثلاثًا، وأَصاخَ السَّمْعَ مُنْتَظِرًا، وحينَ لَمْ يَرُدَّ أَحَدٌ عَلَيْهِ غادَرَ مُنْصَرِفًا، كلمةُ (مُبارَكٌ) على سَطْحِ الكَرْتونَةِ تثيرُ التَّساؤُلَ والشَّهِيَّةَ والفُضولَ، سُكّانُ العِمارَةِ قَلَّما يَتَزاوَرونَ، وإذا ما الْتَقَوا عِندَ البابِ الرَّئيسِ يتفاجَؤونَ، وكأَنَّهمْ لا يَسْكُنونَ عِمارةً واحِدَةً[1]، يَتَسايَلونَ على الدَّرَجِ مِثْلَ سوائِلَ فَقَدَتْ وَظائِفَها الحَقيقِيَّةَ في الحياةِ؛ بارَحَتْهُمْ حَميمِيَّةُ الجيرانِ المَعهودَةُ، الابتساماتُ العفويَّةُ، التَّحِيَّةُ البريئَةُ، المجامَلَةُ السَّريعَةُ.. عِمارةٌ لها بابٌ واحدٌ، ولَكِنَّ مَشاعِرَ سُكّانِها مُوَزَّعَةٌ على سُقوفٍ مُنْفَصِلَةٍ.

1) ما الّذي يُمكنُ أنْ تستَنتِجَهُ منَ العبارةِ الّتي تَحتَها خَطٌّ؟

الكَرْتونَةُ عالَمٌ وَرَقِيٌّ غامِضٌ داهَمَهُمْ، شَوْكَةُ الأَسْئِلَةِ الحادَّةُ وَخَزتْ جِسمَ العِمارةِ، الكَرْتونَةُ هَبَّةُ ريحٍ مُتَسَلِّلَةٌ إلى فَضاءاتٍ تخلو من الاسْتِثْناءِ، هيَ صَرخَةٌ مُباغِتَةٌ في زاوِيَةٍ صامِتَةٍ، مَضَتْ سنواتٌ رَتيبَةٌ عَلا فيها صَدَأُ (العاديَّةِ) على النُّفوسِ، وتَحَوَّلَتِ العِمارةُ إلى صندوقٍ خالٍ من الدَّهْشَةِ وارْتِعاشاتِ الحَياةِ.

مرَّ أولُ ساكِنٍ منْ سُكّانِ العِمارَةِ بالكَرْتونَةِ المُتَرَبِّصَةِ، عايَنَها، لم يَعتدْ على رُؤيَةِ مِثْلِ هذا الشَّيْءِ، مَسَحَ نَظّارَتَهُ السَّميكَةَ، وَحَمْلَقَ بالكَرْتونَةِ، عَلِقَتْ عَيْناهُ بِكَلمةِ (بَرْدٌ) على أحدِ جوانِبِها، بَدَتِ الحيرَةُ على وَجْهِهِ حَوْلَ مَعْنى هَذِهِ الحُروفِ، ارْتَقَتْ نَظَراتُهُ إلى كَلِمَةِ (مُبارَكٌ) تَساءَلَ: ماذا يَعني هَذا؟ باوَصَ بِعَيْنَيْهِ وهُوَ يُميلُ بِرَأْسِهِ يَمينًا وشِمالًا، ثُمَّ أَخَذَ يُقَلِّبُ شَفَتَهُ السُّفْلى دِلالَةَ عَدَمِ الفَهْمِ، وفي الأثناءِ اقتربَ مِنْهُ جارٌ آخرُ شَدَّهُ الفُضولُ إلى وِقْفَةِ جارِهِ، لَمْ يُسَلِّمْ أَوْ يَتَكَلَّمْ[2]، راح يتَأَمَّلُ الكَرْتونَةَ وَيُرَحِّلُ بَصَرَهُ بَيْنَها وبَيْنَ جارِهِ الَّذي لا يَعْرِفُ اسْمَهُ، الْتَقَطَ كَلِمةً عَلى الكَرتونَةِ،

2) ما الَّذي تستنتِجُهُ من هذهِ العبارةِ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَصارَ يُقَلِّبُها بَيْنَ شَفَتَيْها (كَسْتَناءٌ)، تبادَلَ الرَّجلانِ نظراتٍ باردةً، وخَرَجا مُتَتابِعَينِ، الْتَفَتا مَرّاتٍ عَديدَةً إِلى الخَلْفِ، الكَرتونَةُ تَرْسُمُ أَسْئِلَتَها عَلى وَجْهَيهِما، لَمْ يَبْتَعِدا كَثيرًا، وإِنَّما وَقَفَ كُلٌّ مِنْهُما على طَرَفِ الشّارِعِ، عُيونُهُما مُسَلَّطَةٌ عَلى العِمارَةِ، والكَرْتونَةُ وِسْواسٌ في رَأْسَيْهِما[3].

3) في رأيكَ لماذا أثارتِ الكرتونةُ الفضولَ؟

اقتربتْ سيِّدةٌ وابْنَتُها الصَّبِيَّةُ مِنَ الرَّجُلَيْنِ، عَرَفَتْ أَنَّهُما مِنْ سُكّانِ العِمارَةِ، طَأْطَأَتْ رَأْسَها، وَمَرَّتْ دونَ كَلامٍ، قَلَّبَتْ كَفَّيْها مُتَسائِلَةً عَمّا أَصابَهُما؟ ما الَّذي أَوْقَفَهُما هذِهِ السّاعَةَ في هذا المَكانِ؟ هَلْ يَنْتَظِرانِها؟ دَخَلَتِ العِمارَةَ وَشَيْطانُ الاسْتِغْرابِ يَلْعَبُ بِها شَرْقًا وغَرْبًا، ويَسوطُها بِأَسْئِلَةٍ لا تَنْتَهي، عَيْناها تَصْطَدِمانِ بالكَرْتونَةِ إِيّاها، أَلْوانُها لافِتَةٌ، والكِتابَةُ عَلَيْها بِخُطوطٍ مُلَوَّنَةٍ، عايَنَتْها بِدِقَّةٍ وَحاوَلَتْ لَمْسَها، لَكِنَّها خافَتْ، ساوَرَها شُعورٌ غَريبٌ، فَهَرْوَلَتْ صاعِدَةً الدَّرَجَ، وَقَدْ عَلِقَتْ كَلِمَةُ (مَطَرٌ) بَيْنَ شَفَتَيْها وَأَسْنانِها وَلِسانِها، صارَتْ تُحسِّبُ وتُخَمِّنُ: هَديةٌ لِجارَتِنا، كَلِمَةُ (مُبارَكٌ) ماذا تَعْني؟ قَدْ تَكونُ شَيْئًا آخَرَ، رُبّما قُنْبُلَةٌ.. «أعوذُ باللّهِ، أعوذُ باللّهِ»، خافَتْ مِنْ هذِهِ الخواطِرِ وابتعدَتْ صاعِدَةً وهيَ تَرْشُقُها بِنَظَراتٍ هَلِعَةٍ[4]، في ذاتِ الحينِ اقتربَ ساكِنٌ آخرُ مِنَ الكَرْتونَةِ، وحَنى ظَهْرَهُ لِيَقِفَ على سِرِّها، الجارَةُ فتحَتِ البابَ، ثُمَّ انْطَبَقَ بِقُوَّةٍ، التَزَمَ الرَّجُلُ الهُدوءَ واللّامُبالاةَ، وراحَ يَصْعَدُ الدَّرَجَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ شَقَّتَهُ، وَإِنَّما دَلّى رأسَهُ مِنْ فَتَحاتِ الدَّرابْزينِ؛ لِيُراقِبَ الكَرْتونَةَ..

4) حدِّدْ مَوقِفَ السيِّدَةِ منَ الكرتونةِ الموضوعَةِ على بابِ جارَتِها.

جَلَبَةٌ مُفاجِئَةٌ قادِمَةٌ مِنَ الطّابِقِ الأَخيرِ، وانْفِتاحُ أَبوابٍ وانْطِباقُها جَعَلَتِ الرَّجُلَ يتوارى خَلْفَ بابِ شِقَّتِهِ الّذي جَعَلَهُ مُوارِبًا، وَهُرِعَتْ إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ مُسْتَفْسِرَةً فَأَخْبَرَها بالْقِصَّةِ، وَشَدَّها الفُضولُ للخروجِ، ولكنَّهُ مَنَعَها. أصواتٌ وضَجيجٌ في الطّابِقِ الأَرْضِيِّ، العِمارةُ منذُ سِنينَ لَمْ تشهدْ مِثلَ هذِهِ الحَرَكَةِ[5]، حَلْقَةُ الفُضولِ حَوْلَ الكَرْتونَةِ تَتَّسِعُ، هَمْهَمَةٌ مُشْتَرَكَةٌ: «هذِهِ الكَرْتونَةُ غامِضَةٌ وما فيها خَطيرٌ»، كَلِمَةُ (مُبارَكٌ) مَعَ بعضِ الأُمورِ الأُخْرى تَعني أَشياءَ غيرَ مَفهومَةٍ[6].

5) استطاعتِ الكَرتونَةُ أنْ تخترقَ حاجزَ الصَّمْتِ بينَ سكّانِ العمارةِ، ضعْ خطًّا تحتَ العباراتِ الدّالّةِ على ذَلكَ؟

6) لماذا افترضَ سكّانُ العمارةِ أنَّ الكَرتونَةَ تحوي شيئًا خطيرًا؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

خافوا على جارَتِهم، لا يَعْرِفونَ أَهِيَ فِي الشِّقَةِ أَمْ خارِجَها؟ قَرَعَ أَحَدُهُم الجَرَسَ، لا أَحَدَ هُناكَ، أَيْنَ تَعمَلُ؟ ما هُوَ عُنوانُها وهاتِفُها؟ صَمْتٌ مُطْبِقٌ يَلُفُّهم جَميعًا، انْتَظَروها إِزاءِ بابِ العِمارَةِ ساعاتٍ طويلةً. لا يَعْرِفونَ مِنْها إِلّا بَسْمَتَها، ونَضارَةَ وَجْهِها البَشوشِ، هِيَ وابْنُها يعيشانِ في هذهِ الشِّقَّةِ مُنْذُ زَمَنٍ، هذا كُلُّ ما يَعْرِفونَهُ عَنْها، هِيَ لا تَعْرِفُهُمْ، وَلا تَحْفَظُ أَسْماءَهُمْ أَوْ أَلْقابَهُمْ، أمامَ عَيْنَيْها هَدَفٌ سامٍ هُو ابنُها، تَرعاهُ بِحُنُوٍّ؛ ليكونَ على مِنوالٍ تُريدُهُ، لا تتحرَّكُ إِلّا بِقَدْرٍ، ولا تَخْطو خُطوَةً واحدةً إلا بِعَقْلٍ[7].

7) وقفَ الكاتِبُ على تفاصيلَ كثيرةً تؤكِّدُ ضَعْفَ الرَّوابِطِ بينَ سُكّانِ العِمارةِ، اذكرْ ثلاثةَ تفاصيلَ منها.

أَوْقَفَتْ سَيّارَتَها حَيْثُ توقِفُها دائِمًا، اقتربَتْ مِنْ بابِ العِمارَةِ، والسُّرورُ يَفْرِدُ أَجْنِحَتَهُ على وَجْهِها، عَيْناها تَقَعانِ على سُكّانِ العِمارَةِ الّذين بَدَؤوا يَلْتَفّونَ حَوْلَها، عُيونُهُم مُصَوَّبَةٌ إلى عَيْنَيْها، «ماذا جرى؟ ما أصابَهُم؟ لَمْ يَكونوا هكذا!» تَنْثالُ مِنْ داخِلِها أَسْئِلةٌ مُفاجِئَةٌ، العِمارَةُ هيَ ذاتُ العِمارَةِ الَّتي تَسْكُنُها، وَهذِهِ ساحَتُها، والشّارِعُ المُؤَدّي إِلَيْها، «لا، لا، أنا لستُ تائِهةً». أسرَعَتْ تجاهَ بابِ الشِّقَّةِ، وقعَ نَظَرُها عَلى الكَرْتونَةِ، فابْتَسَمَتْ[8]، قَرأَتْ ما كُتِبَ عَلَيْها فاتَّسَعَتْ بَسْمَتُها، عُيونُهُمْ مُتَسائِلَةٌ وشِفاهُهُمْ مُطبِقَةٌ على سُؤالٍ غاطِسٍ في الصَّمْتِ، «ما الأمرُ؟» فَتَحَتِ البابَ، وسَحَبَتِ الكَرتونَةَ إلى الدّاخِلِ، وَأَغْلَقَتْهُ[9].

8) هل تفاجأتِ الجارةُ بوجودِ الكَرتونَةِ؟ وَضِّحْ إجابَتَكَ.

9) ما الَّذي أثارَ دَهشةَ الجارةِ عندَ عَوْدَتِها إلى الشِّقَّةِ؟

«ياه، ما أجملَ غِلافَهُ! طالَ الانتظارُ يا كَرْتونَتي العَزيزةَ، ولكنَّكِ جِئْتِ أخيرًا..» ابنُها يُبَعْثِرُ نُسَخَ الدّيوانِ فَرَحًا، هَدَأَتْ حَرَكَتُها، عيناه مُتَعَلِّقَتانِ على مِتْراسِ البابِ، سؤالٌ طافِحٌ بالإلْحاحِ: «ما الّذي أَصابَ الجيرانَ؟ أَيَظُنّونَ أنَّ الكَرتونَةَ؟!..» ضَحِكَتْ، كانَتْ تَسْمَعُ لَجاجَهُمْ في الخارِجِ، كانوا يَنْتَظِرونَ، أَخَذَتْ رُزْمَةً مِنَ الْكِتابِ وَراحَتْ تَكْتُبُ عَليها إهداءً مَمْهورًا بِتَوْقيعِها، حَمَّلَتِ ابْنَها الرُّزْمَةَ، وَفَتَحَتِ البابَ، وراحَ يُوَزِّعُ عَلَيْهِمُ النُّسَخَ المُوَقَّعَةَ[10].

10) ما رَأيك في تَصَرُّفِ الجارةِ؟

مساءً تهادى الجيرانُ إِلى بابِ شِقَّتِها، كُلُّهُمْ يَبْتَسِمونَ، نَظَراتُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، أَيديهِمْ تُلَوِّحُ بالسَّلامِ فيما بَيْنَهُم، قَرَعَ أحدُهُمُ الجَرَسَ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لـمْ يَطُلِ الانْتِظارُ، رُبَّما كانَتْ تَتَوقَّعُ ذلك، رُبّما كانوا لا يَتَوَقَّعونَ أنْ تَفْتَحَ لَهُمُ البابَ، وفُتِحَ البابُ والبسمةُ ذاتُها تَنْفَرِشُ على وَجْهِها، بَشَّتْ لَهُمْ فَدَخَلوا، كانتْ نُسَخُ ديوانِها بينَ أَيْديهِمْ، نَطَقوا بِلِسانٍ واحدٍ: (مُبارِكٌ)

ابتسَمَتْ، كانَتْ دُموعُها السّاخَّةُ تَحْمِلُ بَشائرَ الفرحِ، قالَتْ بصوتٍ يضِخُّ الْحَياةَ في الصَّمْتِ: «الآنَ أَحْسَسْتُ أَنَّ في العِمارَةِ سُكّانًا»[11].

11) وضِّحْ عَلاقَةَ العِبارةِ الّتي تحتَها خَطٌّ بِفِكْرَةِ القِصَّةِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشّاعرُ النَّمِرُ *
(تاكاشيما تون)

(تشينج) رجلٌ واسعُ العلمِ، يهوى كتابةَ الشّعرِ، ويعملُ في إحدى المقاطعاتِ الشّرقيّةِ ضابطًا مساعدًا، بعدَ سنةٍ من عودتِهِ إلى وظيفتِهِ -الّتي كانَ قد استقالَ منها ليتفرّغَ لكتابةِ الشّعرِ، وعادَ إليها تحتَ ضغطِ قسوةِ الحياةِ واحتياجِهِ للمالِ ليصرفَ على نفسِهِ وعائلتِهِ- تلقّى أمرًا بالسفرِ إلى الجنوبِ في مهمّةِ عملٍ رسميّةٍ، وفي طريقِه إلى المنطقةِ نزلَ في فندقٍ متواضعٍ، وتوجّهَ تلكَ الليلةَ إلى الفراشِ باكرًا.

في أثناءِ تَهَيُّئِهِ للنومِ أخذَ (تشينج) يفكّرُ في حالِهِ قبلَ سنواتٍ حينَ تقدّمَ للوظيفةِ للمرّةِ الأولى، واجتازَ اختباراتِ الخدمةِ المدنيّةِ الرفيعةَ وهوَ لا يزالُ في مقتبلِ العمرِ بتميّزٍ ملحوظٍ، متفوّقًا على أقرانِه، فالتحقَ بالجيشِ، وسرعانَ ما تمَّ تعيينُهُ برتبةِ نقيبٍ للحرسِ في إحدى المناطقِ الشّماليّةِ، ولكنّهُ استقالَ بعدَ أنْ تقلّدَ منصبَهُ بوقتٍ قصيرٍ، بسببِ شعورِه بالضيقِ والضجرِ تحتَ قيودِ وظيفتِهِ الّتي لم تكُنْ تليقُ بمواهبِهِ، لذلكَ تركَ الخدمةَ الحكوميّةَ، وقطعَ علاقتَهُ بكلِّ أصدقائِه ورفاقِ عملِهِ السّابقينَ، وغادرَ معَ عائلتِهِ إلى مسقطِ رأسِهِ (بلدةِ كولوية)، عاقدًا العزمَ على تكريسِ نفسِهِ منذُ ذلكَ الوقتِ لِنَظْمِ الشّعرِ، حتّى يُخَلِّدَ اسمَهُ كشاعرٍ عظيمٍ للأجيالِ المقبلةِ.[1]

1) هل يبدو أن تخلّي تشينغ عن كلِّ شيءٍ منْ أجلِ حلمه بأنْ يُصبحَ شاعرًا كان قرارًا صائبًا ومدروسًا؟ ظلّلِ المواضعَ الّتي تدلُّ على ذلكَ في الفقرتينِ الأولى والثانيةِ.

تذكّرَ (تشينج) -وهوَ مُسْتلقٍ على سريرِهِ في الفندقِ- كيفَ أنّهُ اكتشفَ سريعًا أنَّ قرارَهُ بتركِ وظيفتِهِ والتفرّغِ للشِّعرِ كانَ يتطلّبُ أكثرَ منْ مجرّدِ التّصميمِ على أنْ يصبحَ كاتبًا ناجحًا؛ فالأموالُ الّتي حصلَ عليها منْ وظيفتِهِ السابقةِ نفدَتْ بسرعةٍ، وأصبحَتْ أيّامُهُ عقبَ ذلكَ صراعًا معَ ضروراتِ الحياةِ اليوميّةِ، وأثّرَ هذا على (تشينج).. الشّابِّ اليافعِ، مورّدِ الوجنتينِ الّذي اجتازَ يومًا بذكاءٍ اختباراتِ الخدمةِ المدنيّةِ الرفيعةَ، فأصبحَ رجلًا هزيلًا ذا سلوكٍ غليظٍ، يبتعدُ عن هدفِهِ يومًا بعدَ يومٍ.

* قصص يابانية، ترجمة: هيام عبد الحميد، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، الطبعة الأولى، 1995.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بعدَ حينٍ منَ الزمانِ أدركَ (تشينج) أنَّ عليهِ مواجهةَ الفقرِ الطّاحنِ الّذي حكمَ بهِ على نفسِهِ وعائلتِهِ جرّاءَ ملاحقةِ حلمِهِ بأنْ يصبحَ شاعرًا عظيمًا؛ فابتلعَ كبرياءَهُ وقدّمَ طلبًا إلى مجلسِ الخدمةِ المدنيّةِ الّذي عيّنَهُ في إحدى المقاطعاتِ الشّرقيّةِ ضابطًا مساعدًا، ليكتشفَ بمجرّدِ عودتِهِ إلى العملِ أنَّ معظمَ زملائِهِ السابقينَ قد رُقّوا إلى رُتَبٍ عاليةٍ، وأصبحَ هوَ يتلقّى الأوامرَ من أشخاصٍ اجتازوا الاختباراتِ بدرجاتٍ أقلَّ منهُ بكثيرٍ، فأحسَّ بالهوانِ يتزايدُ على نفسِهِ، وَيُحَوِّلُهُ من إنسانٍ شاعرٍ رقيقِ المشاعرِ، إلى إنسانٍ نكدِ المزاجِ، حادِّ الطّباعِ.

وبينما هو كذلكَ، واللّيلُ يقتربُ من مُنتصفِهِ، إذا بهِ يسمعُ صوتًا يناديهِ منْ بعيدٍ[2]، فأطلقَ استجابةً لَهُ صرخةً مبهمةً سمعَها جميعُ مَنْ كانوا في الفندقِ أوْ حولَهُ، ثمَّ قفزَ منَ الشّبّاكِ بسحنةٍ متقلّبةٍ وعينينِ جاحظتينِ، وانطلقَ في الظلامِ بسرعةٍ شديدةٍ فلم يستطعْ أحدٌ إيقافَهُ، وفي صباحِ اليومِ التّالي أرسلَتِ الشّرطةُ فريقَ بحثٍ طافَ بكلِّ التلالِ والحقولِ بحثًا عنهُ في كلِّ مكانٍ، ولكنْ لم يُعْثَرْ لهُ على أثرٍ، ولم يذكُرْ أحدٌ أنْ رآهُ بعدَ ذلكَ.

2) ما الصّوتُ الّذي سمعهُ تشينغ؟ هلْ كانَ صوتًا حقيقيًّا؟ أوْ توهُمًّا؟ هلْ يشيرُ النّصُّ إلى ذلكَ صراحةً؟

وفي السّنةِ التّاليةِ، أرسلَ مكتبُ الخدمةِ المدنيّةِ (يوان) إلى الجنوبِ في مهمّةٍ رسميّةٍ أيضًا، فتوقّفَ لقضاءِ ليلةٍ في الفندقِ نفسِهِ، وحينَما أوشكَ على الانطلاقِ قبلَ فجرِ اليومِ التّالي حذّرَهُ صاحبُ الفندقِ منْ وجودِ نمرٍ شرسٍ في الطّريقِ المؤدّي مباشرةً إلى الجنوبِ، وأوصاهُ بتجنّبِ المرورِ في هذا الطريقِ ليلًا، فشكرَهُ (يوان)، وقالَ لهُ إنَّ لديهِ رجالًا شجعانًا يتولّونَ حراستَهُ، ثمَّ امتطى حصانَهُ، وغادرَ الفندقَ، والحاشيةُ في إثرِهِ.

وبعدَ ذلكَ بوقتٍ قصيرٍ، وبينما كانَ (يوان) وحاشيتُهُ يشقّونَ طريقَهم على ضوءِ القمرِ عَبْرَ أجَمَةٍ كثيفةٍ، قفزَ نمرٌ ضخمٌ خارجَ أيكةٍ، وانطلقَ يزأرُ بوحشيّةٍ مندفعًا صوبَ (يوان)، حتّى أوشكَ أنْ يثبَ عليهِ، ولكنّهُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تراجعَ فجأةً، واتّجهَ عائدًا إلى الأيكةِ.

للحظاتٍ لم ينبسْ أحدٌ ببنتِ شفةٍ، لينطلقَ بعدَها صوتٌ خافتٌ من الأيكةِ قائلًا: ربّاهُ، لَكَمْ كانتِ الكارثةُ وشيكةً![3]

3) ما الكارثةُ الّتي يتحدثُ عنْها؟ هلْ تتوقعُ شيئًا؟

وعلى الرّغمِ مِنْ أنَّ الصّدمةَ قد هزّت (يوان)، فإنَّ الصّوتَ أعادَهُ سنواتٍ إلى الوراءِ، حينَ كانَ يستعدُّ معَ صديقِهِ الحميمِ لاجتيازِ الاختباراتِ النهائيّةِ في العاصمةِ، حيثُ كانَ (يوان) -بمزاجِه المعتدلِ- هوَ الشّخصَ الوحيدَ القادرَ على تحمّلِ عنادِ هذا الصديقِ وجفائِهِ، ممّا جعلَهُ يتعرّفُ فورًا على الصّوتِ، وقالَ: إنَّ هذا بكلِّ تأكيدٍ صوتُ صديقي القديمِ (تشينج)!!

ولمّا سمعَ منَ الأيكةِ صوتًا خشنًا يؤكّدُ حدسَهُ، ويقولُ: نعمْ، إنّني حقًّا (تشينج) الّذي عرفْتَهُ دومًا! تأكّدَ حدسُهُ، ونسيَ الخوفَ، وترجّلَ عنْ جوادِه، ومشى باتّجاهِ الأيكةِ، وقالَ: اخرجْ أيّها الصديقُ القديمُ، ودَعْنا نتحدّثْ قليلًا، فأجابَهُ الصّوتُ: إنّني لأشعرُ بخجلٍ شديدٍ منْ منظري الّذي صارَ بشعًا، ولا أستطيعُ أنْ أسمحَ لكَ برؤيتي في صورتي الحاليّةِ، إذْ ستمتلئُ منّي رُعبًا، وتُصابُ بالغثيانِ، لذلكَ أتوسّلُ إليكَ أنْ تبقى لنتحدّثَ دونَ أنْ يرى أحدُنا الآخرَ، فوافقَ (يوان) فورًا، ومعَ أنَّ كلَّ شيءٍ بدا غريبًا للغايةِ، إلاّ أنّهُ شعرَ بأنّهُ يعيشُ حالةً تشبهُ الحُلمَ، حينَ يتقبّلُ المرءُ أحداثًا منافيةً للطّبيعةِ أوِ العقلِ دونَ أيِّ تساؤلٍ.[4]

4) هلْ منَ الطّبيعيِّ أنْ يتحوّلَ شخصٌ إلى نمرٍ؟ لماذا لجأَ الكاتبُ إلى هذا في رأيكَ؟

أمرَ (يوان) حاشيتَهُ أنْ تنتظرَ، واتّخذَ لهُ - بجرأةٍ بالغةٍ - موقعًا قربَ الأيكةِ، واستأنفَ الحديثَ معَ صاحبِه دونَ أنْ يراهُ، فأخبرَهُ بأخبارِ العاصمةِ، وبأخبارِ زملائِهما السابقينَ، وبعدَ ذلكَ سألَ (يوان) (تشينج) بحذرٍ: ما الّذي حصلَ لكَ؟

لم يتردّدْ (تشينج) كثيرًا في سردِ ما حدثَ لهُ بالضبطِ أمامَ صديقِه الحميمِ (يوان)، فذكرَ لهُ أنّهُ كانَ قد أُرسِلَ قبلَ عامٍ تقريبًا إلى الجنوبِ في مهمّةٍ رسميّةٍ، وفي طريقِهِ إلى هناكَ قضى ليلةً في أحدِ الفنادقِ، واستطردَ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قائلًا: أذكرُ أنّني ذهبْتُ إلى فراشي مبكّرًا وجلسْتُ -قُبيلَ النّومِ- أُفكّرُ في حالي، كيفَ كانَ؟ وكيفَ صارَ؟ وكيفَ منَ الممكنِ أنْ يكونَ في المستقبلِ؟ وبينما أنا كذلكَ إذ بصوتٍ غريبٍ يناديني منَ الخارجِ، فنهضْتُ وفتحْتُ الشّبّاكَ، ونظرْتُ إلى الفضاءِ، كانَ الصّوتُ المجهولُ يناديني، ويدعوني للخروجِ، ولم أستطعْ أن أملكَ أمرَ نفسي، فقفزْتُ منَ النّافذةِ بلا تردّدٍ، واندفعْتُ في الظّلامِ راكضًا كأنّني في غيبوبةٍ، وقبلَ أنْ أدركَ ذلكَ كُنْتُ أسلكُ طريقًا يُفضي إلى الغابةِ، ولدهشتي وجدْتُ نفسي أركضُ، ويدايَ على الأرضِ، وبدا أنّني أستطيعُ الرّكضَ أسرعَ باتّباعي هذهِ الطريقةَ، فواصلْتُ العدوَ، وكلّما ركضْتُ شعرْتُ بقوّةٍ تملأُ جسدي.

بعدَ ذلكَ لاحظْتُ أنَّ شَعرًا غريبًا أخذَ ينمو بينَ أصابعي وذراعيَّ وكتفيَّ، بلْ في كلِّ أجزاءِ جسمي، وعندما بدأَ الفجرُ في الانبلاجِ توقّفْتُ قربَ جدولِ ماءٍ، ونظرْتُ في المياهِ الصّافيةِ، فراعَني أنَّ صورتي كانَتْ تشبهُ النّمرَ، ولكنّني -برغمِ الصّدمةِ- شعرْتُ بارتياحٍ وطمأنْتُ نفسي بأنَّ ذلكَ مجرّدُ حُلمٍ سأصحو منهُ سريعًا، ومعَ مرورِ الوقتِ، وبعدَ أنِ ارتفعتِ الشّمسُ، كانَ لابدَّ لي أنْ أعترفَ لنفسي أنّني كنتُ متيقّظًا تمامًا، وأنّني قد تحوّلْتُ إلى نمرٍ بكاملِ هيئتِهِ.

لَمْ أستطعِ التّفكيرَ في الأمرِ حينَها، على الرّغمِ منْ أنّني طرحْتُ على نفسي السّؤالَ مرارًا: لماذا حدثَ ذلكَ؟ فلمْ أجدْ ردًّا، عندَها مرَّ أرنبٌ برّيٌّ وهوَ يركضُ على بُعْدِ أمتارٍ منْ حيثُ أجلسُ، فغادرَني الشّعورُ بالإنسانيّةِ في لمحةٍ، وعندَما عادَتْ إليَّ طبيعتي الإنسانيّةُ منْ جديدٍ، وجدتُ أنَّ فمي تلطّخَ بالدّماءِ، وخُصَلَ الفروِ الأبيضِ متناثرةٌ مِنْ حولي، كانَتْ هذهِ هيَ تجربتي الأولى حينَ أصبحْتُ نمرًا، ولا أجرؤُ على تعدادِ الأشياءِ المرعبةِ والوحشيّةِ الّتي ارتكبْتُها بعدَ ذلكَ بشكلٍ يوميٍّ.[5]

5) إلى ماذا ترمزُ كلُّ هذهِ التّفاصيلِ الّتي يسردُها الشّاعرُ النّمرُ؟

كانَتِ الطّبيعةُ الإنسانيّةُ تعودُ إليَّ لبضعِ ساعاتٍ فقطْ خلالَ اليومِ، وفي هذهِ الأوقاتِ أستطيعُ أنْ أتحدّثَ كما أتحدّثُ معَك الآنَ، وأفكّرُ في

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أكثرِ الأمورِ تعقيدًا، بلْ أستطيعُ أنْ أسردَ على نفسي صفحاتٍ كاملةً منَ الأعمالِ الكلاسيكيّةِ، وأتذكّرَ بعدَها أيضًا الأشياءَ الّتي ارتكبتُها كنمرٍ، فتصمُّ أُذنيَّ صرخاتُ ضحاياي، ويقهرُني الخوفُ والخجلُ والسّخطُ على طبيعتي الحيوانيّةِ.

وبمرورِ الأسابيعِ تتضاءلُ ساعاتُ الاستبصارِ الإنسانيِّ هذِهِ، وحتّى وقتٍ قريبٍ تعوّدْتُ أنْ أتساءلَ: كيفَ بإمكاني أنْ أعودَ نمرًا؟ والسّؤالُ الّذي ينتابُني مؤخّرًا مختلفٌ تمامًا، وهوَ: كيفَ استطعْتُ أنْ أكونَ بشرًا؟[6] وهذا مرعبٌ حقًّا.

6) ما دلالةُ العبارةِ الّتي تحتَها خطٌّ؟ هلْ تساعدُ على فهمِ الفكرةِ الجوهريّةِ للقصةِ؟

احتجبَ الصّوتُ، ولمْ يَعُدْ (يوان) يسمعُ سوى صوتِ لهاثٍ عميقٍ، واستأنفَ الصّوتُ الكلامَ منْ جديدٍ، ولكنْ بصعوبةٍ وإجهادٍ واضحينِ، قائلًا: إنَّ الاختفاءَ النّهائيَّ للإنسانيّةِ داخلي هوَ أشدُّ ما يرعبُني، وإمكانيّةُ التّحوّلِ إلى حيوانٍ مفترسٍ بلا ذاكرةٍ لشخصيّتي السّابقةِ أمرٌ موجعٌ يفوقُ قدرتي على تحمّلِهِ.

اضمحلَّ الصّوتُ منْ جديدٍ، وسادَ الأيكةَ هدوءٌ قليلًا، ووقفَ (يوان) ومرافقوهُ حابسينَ أنفاسَهم، ممتلئينَ رعبًا بهذا الحديثِ الّذي لا يُصدَّقُ.

وأخيرًا، عادَ الصوتُ منْ جديدٍ: قبلَ أنْ أغادرَ عالمَ الإنسانيّةِ للأبدِ، أريدُ أنْ أطلبَ إليكَ شيئًا.

قالَ (يوان): قُلْهُ، وسأحقّقُهُ لكَ. قالَ (تشينج): كانَ طموحي سابقًا أنْ أصبحَ شاعرًا عظيمًا، ولكنْ قبلَ أنْ يتحقّقَ لي ذلكَ وجدْتُ نفسي أصلُ إلى الطريقِ الحالي، ولم يبقَ شيءٌ منَ القصائدِ الكثيرةِ الّتي نظَمْتُها في ذاكرةِ الناسِ، فقد تلاشَتْ كلُّها بلا شكٍّ كما يتلاشى الدّخانُ في الهواءِ، والأثرُ الوحيدُ المتبقّي منْ فنّي هوَ بضعُ قصائدَ لا زلْتُ أحفظُها عنْ ظهرِ قلبٍ، وأطلبُ إليكَ أنْ تدوّنَها، وأنْ تتأكّدَ منْ أنَّها لنْ تلحقَ بكاتبِها في قافلةِ النّسيانِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لـم أعـدْ أطمـحُ أنْ أصبـحَ شـاعرًا عظيمًـا، ولكنّـي لا أريـدُ أنْ أغـادرَ هـذا العالـمَ مـنْ دونِ معرفـةٍ، وسـيخفّفُ عنّـي مصابـي أنْ تنتقـلَ هـذهِ القصائـدُ -الّتي كلّفتْني وظيفتي وثروتي وفي النّهايةِ عقلي- إلى الأجيالِ المقبلةِ.[7]

7) هلْ تخلّى الشّاعرُ النّمرُ عنْ حلمِهِ بأنْ يكونَ شاعرًا بعدَ أنْ أصبحَ نمرًا؟ هلْ يرمزُ هذا لشيءٍ؟

أمـرَ (يـوان) أحـدَ مرافقيـهِ بتنـاولِ الفرشـاةِ وتسـجيلِ كلمـاتِ الكائـنِ القابـعِ فـي الأيكـةِ، وبوضـوحٍ تـامٍّ سـردَ (تشـينج) ثلاثيـنَ قصيـدةً ونيّفًـا، وعندَمـا انتهـى مـنْ إلقـاءِ أشـعارِهِ توقّـفَ قليـلًا ثـمَّ تابـعَ بالنّبـرةِ الخشـنةِ ذاتِهـا الّتـي لا يـزالُ (يـوان) يذكرُهـا منـذُ أيّـامِ الدّراسـةِ:

إنّـهُ لشـيءٌ عبثـيٌّ، ولكنّنـي غالبًـا مـا أحلـمُ وأنـا فـي كهفـي ليـلًا بديـوانِ أشـعاري مغلّفًـا بشـكلٍ جميـلٍ، وقـد وُضِـعَ علـى مكتـبِ أحـدِ المثقّفيـنَ فـي العاصمـةِ، فأبـدأُ بالضّحـكِ.. أضحـكُ علـى المسـكينِ الّـذي كانَ يتـوقُ لأنْ يصبـحَ شـاعرًا، ولكنّـهُ أصبـحَ بـدلًا مـنْ ذلـكَ نمـرًا.

اسـتمرَّ (تشـينج) فـي الحديـثِ، بالنّبـرةِ ذاتِهـا الخشـنةِ المنتقصـةِ مـن قَـدْرِ الـذّاتِ، قائـلًا: وهـذهِ قصيدتـي الأخيـرةُ أهديهـا لـكَ لكـيْ تذكرَنـي بهـا، نظمْتُهـا ارتجـالًا للتـوِّ، قصيـدةٌ عـنْ مسـكينٍ معتـوهٍ، أَوْمـأَ (يـوان) لمرافقِـه بالاسـتمرارِ فـي الكتابـةِ، وأخـذَ (تشـينج) يلقـي القصيـدةَ، حينَهـا، بـدأَ (يـوان) ومرافقـوهُ يفيقـونَ مـن صدمتِهـم الأولـى حيـالَ مـا أصـابَ (تشـينج) مـنْ تحـوّلاتٍ، وأخـذوا يشـعرونَ بالشّـفقةِ علـى الشّـاعرِ النّمـرِ، بـدلًا مـنَ الخـوفِ منـهُ.

وتذكّـرَ (يـوان) فـي ذلـكَ الوقـتِ كيـفَ كانـتْ نوبـةُ السّـخريةِ مـنَ الـذّاتِ فـي الماضـي تطـاردُ دائمًـا نوبـاتِ الغـرورِ والكبريـاءِ عنـدَ (تشـينج)، الّـذي توقّـفَ هُنَيْهَـةً ثـمَّ قـالَ لصديقِـهِ:

فـي الأيّـامِ الّتـي كُنْـتُ فيهـا إنسـانًا غـادرْتُ إلـى مسـقطِ رأسـي كمـا تعلـمُ، وتجنّبْـتُ مخالطـةَ البشـرِ، وفسّـرَ النـاسُ تصرّفـي هـذا بأنّـهُ كبريـاءٌ وتعجـرفٌ، ولـم يدركـوا أنَّ جـزءًا كبيـرًا منـهُ راجـعٌ إلـى عـدمِ الثّقـةِ بالـذّاتِ، لـنْ أدّعـيَ أنّنـي -أنـا عبقـريُّ المدينـةِ ذائـعُ الصّيـتِ- كُنْـتُ خلـوًا مـن الغـرورِ، ولكـنَّ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

غـروري كانَ غـرورًا منكمشًـا علـى ذاتِـهِ، فبرغـمِ تصميمـي علـى أنْ أصبـحَ شـاعرًا إلا أنّنـي رفضْـتُ أنْ أدرسَ تحـتَ إشـرافِ شـاعرٍ مخضـرمٍ، أوْ أنْ أختلـطَ بأمثالـي مـنَ الكُتّـابِ، وكانَ ذلـكَ بسـببِ غـروري الجبـانِ؛ لأنَّ التقائـي بشـعراءَ آخريـنَ قـد يكشـفُ زيـفَ جوهـرةِ العبقريّـةِ الّتـي أدّعيهـا.

فـي الوقـتِ ذاتِـهِ، تمنّيْـتُ وصدّقْـتُ علـى نحـوٍ مـا أنَّ هـذِهِ الجوهـرةَ كانـتْ حقيقيّـةً، فترفّعْـتُ عـنِ الاختـلاطِ بعامّـةِ النـاسِ الّذيـنَ يعيشـونَ حيـاةً بعيـدةً عـنْ تتبّـعِ الأدبِ، وهكـذا، انقطعْـتُ عـنِ العالَـمِ المنهمـكِ فـي جمـعِ المـالِ، ولكـنَّ خوفـي يـزدادُ طـوالَ الوقـتِ مـنْ أنّنـي فـي الحقيقـةِ بعيـدٌ جـدًّا عـنْ أنْ أكـونَ شـاعرًا عبقريًّـا، الغـرورُ وعـدمُ الثقـةِ[8] كلاهمـا تعمّـقَ فـي داخلـي حتّـى أصبحـا وجـودي بأسـرِهِ، لقـد كانَ هـذا الغـرورُ هـوَ مـا منَعنـي مـنْ أنْ أصبـحَ شـاعرًا عظيمًـا، وأعلـمُ جَيِّـدًا أنَّ أُناسًـا لديهـمْ موهبـةٌ أقـلُّ مـنْ موهبتـي بكثيـرٍ اسـتطاعوا الفـوزَ بشـهرةٍ كبيـرةٍ بوصفِهـم شـعراءَ، بدراسـةٍ متواضعـةٍ لأعمـالِ غيرِهـم، وبالتّطبيـقِ المخلـصِ لمـا درسـوهُ، إنَّ غـروري هـوَ الّـذي قلـبَ حياتـي وحيـاةَ أسـرتي تعاسـةً، وأورثَنـي كلَّ هـذا العـذابِ.

8) إلى أيِّ حدٍّ أسمهتْ هاتانِ الصّفتانِ في بلوغِ الشّاعرِ النّمرِ هذهِ النهايةَ؟

عنـدَ ذلـكَ الوقـتِ انقشـعَ الظـلامُ، وانطلـقَ بـوقُ أحـدِ الصيّاديـنَ فـي نغمـةٍ حزينـةٍ، فقـالَ (تشـينج): لقـد حـانَ وقـتُ الفـراقِ، سـتحلُّ الآنَ السّـاعةُ السّـحريّةُ الّتـي أتحـوّلُ فيهـا مـنْ جديـدٍ إلـى نمـرٍ جسـدًا وعقـلًا، ولكـنْ دعْنـي أطلـبْ إليـكَ شـيئًا آخـرَ: عندَمـا تعـودُ إلـى الشّـمالِ أتوسّـلُ إليـكَ أنْ تذهـبَ إلـى عائلتـي، لا تذكـرْ شـيئًا عـنْ هـذا اللّقـاءِ، ولكـنْ، أخبرْهـم أنَّـكَ سـمعْتَ فـي أثنـاءِ وجـودِكَ فـي الجنـوبِ بخبـرِ وفاتـي، وإذا كانـوا يفتقـرونَ إلـى الطّعـامِ أوِ الملجـأِ أناشـدُكَ أنْ تسـاعدَهُمْ قَـدْرَ اسـتطاعتِكَ.

عندَمـا انتهـى (تشـينج) مـن حديثِـهِ عـادَ صـوتُ العويـلِ مـن داخـلِ الأيكـةِ، فتحـرّكَ (يـوان) بمشّـقةٍ، مؤكّـدًا لصديقِـهِ أنّـهُ سـيعملُ علـى تحقيـقِ أمنياتِـهِ، وبعـدَ قليـلٍ، عـادَ صـوتُ (تشـينج) منبّهًـا ومحـذّرًا: هـلْ لـي أنْ أقتـرحَ عليـكَ أنْ تسـلكَ طريقًـا آخـرَ فـي العـودةِ؟ فوقتَـذاكَ قـد أكـونُ فـي وضـعٍ لا يسـمحُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لـي بالتّعـرفِ إلـى الأصدقـاءِ القدمـاءِ، وإنّنـي لأكـرَهُ تصـوّرَ أنّنـي قـد أُمزّقُـكَ إرْبًـا وألتهمُـكَ، وإذا مـا كانَـتْ لديـكَ أيّـةُ رغبـةٍ فـي تجديـدِ معرفتِـكَ بـي فإنّنـي أتوسّـلُ إليـكَ أنْ تتوقّـفَ اليـومَ عندَمـا تبلـغُ قمّـةَ ذلـكَ التـلِّ البعيـدِ، وأنْ تتطلّـعَ إلـى الـوراءِ، عندَهـا تسـتطيعُ رؤيتـي لآخـرِ مـرّةٍ، وهـذا سـيزيلُ أيّـةَ رغبـةٍ فـي رؤيتـي مـرّةً أخـرى.

قـالَ (يـوان) بلطـفٍ: وداعًـا يـا صديقـي العزيـزَ.. ورحـلَ متبوعًـا بحاشـيتِهِ، ومـن خلـفِ الشّـجيراتِ انطلـقَ نشـيجٌ خشـنٌ.

عندَمـا بلـغَ الجمـعُ قمّـةَ التّـلِّ، نظـرَ (يـوان) إلـى الخَلْـفِ مـن حيـثُ جـاؤوا، وفجـأةً، قفـزَ النّمـرُ مـن العشـبِ الكثيـفِ باتّجـاهِ الطريـقِ، وللحظـاتٍ قلائـلَ توقّـفَ هنـاكَ بـلا حـراكٍ، ثـمَّ حملـقَ فـي القمـرِ الأبيـضِ الشّـاحبِ، وزأرَ ثـلاثَ مـرّاتٍ، وعندَمـا تـردّدَ صـدى آخـرِ زئيـرٍ فـي الـوادي، قفـزَ النّمـرُ راجعًـا فـي اتّجـاهِ الشّـجيراتِ الصّغيـرةِ، واختفـى عـنِ العيـانِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشَّقاءُ
(أنطون تشيخوف)

الشَّفقُ يُؤْذِنُ باقترابِ اللّيلِ، وَنُدفٌ كبيرةٌ منَ الثّلجِ تتَطايرُ في بِطْءٍ حَوْلَ مَصابيحِ الطّريقِ الّتي أضاءَتْ لِتَوِّهَا، وتكسو السُّقوفَ وظهورَ الخَيلِ والأكتافَ وأغطيةَ الرّؤوسِ بطبقةٍ رقيقةٍ ناعمةٍ، وقائدُ الزَّحّافةِ، «أيونا بوتابوف» أبيضُ مِنْ قمّةِ رأسِهِ إلى قَدميهِ، أبيضُ كالشَّبحِ، يجلسُ على مَقْعَدِ القيادةِ دُونَ أنْ يتحرّكَ، مُنْحَنيًا كأقصى ما يَستطيعُ الجسدُ البَشريُّ أنْ ينحنيَ، ويبدو ثابتًا بحيثُ لَوْ تَساقطَ عليهِ تيّارٌ ثَلْجِيٌّ مُنتظمٌ لمَا فَكَّرَ في إزاحَةِ الثّلجِ عَنْ جَسدِهِ، ومُهْرتُهُ الصّغيرةُ بيضاءُ وساكِنةٌ أيضًا، وهيَ تبدو بسكونِها وبِحِدَّةِ خُطوطِ جسمِها وبِقوائِمِهَا الرَّفيعةِ الّتي تُشبهُ العصا في استقامَتِهَا أشبَهَ ما تكونُ بِلُعبَةٍ منْ لُعَبِ الأطفالِ، وأغلبُ الظَّنِّ أنَّها كانَتْ غارقةً في التّفكيرِ، فأيُّ مَخلوقٍ يُنْتَزَعُ مِنَ المِحْراثِ ومِنَ الحُقولِ المُنْبَسِطَةِ الّتي أَلِفَتْهَا عَيناهُ، ويُرْمَى بِهِ في هذِهِ البُؤْرةِ المَلِيْئَةِ بالأضواءِ المُخيفةِ، وبِضجّةٍ لا تنقطعُ، وبِبَشَرٍ في عَجلةٍ منْ أمرِهِمْ، أيُّ مَخلوقٍ هذا شأنُهُ لابُدَّ وأنْ يفكّرَ.[1]

1) استهلَّ تشيخوف قِصّتَهُ بِوَصْفِ المَكانِ، وجَعَلَ الثَّلجَ واللَّيْلَ هُما سَيّدا المَشْهَدِ. ما الدَّلالةُ الَّتي يُرسِّخُها مِثْلُ هذا الوصف؟ وما الإحْساسُ الذي يُؤَكِّدُهُ هذا الوَصْفُ لأيونا ومُهْرَتِه؟

وكانَ قدْ مضى وقتٌ طويلٌ دونَ أنْ يتحرَّكَ «أيونا» ومُهْرَتُهُ، لقدْ خَرجا مِنَ الإسطبلِ وقتَ العِشاءِ ومعَ ذلكَ لَمْ يركبِ الزّحافةَ راكِبٌ واحِدٌ، ولكنْ ظلالُ اللّيلِ تهبطُ الآنَ على المدينةِ، ولونُ مَصابيحِ الطّريقِ الشّاحبِ يتحوّلُ إلى ضَوءٍ وَهّاجٍ، وضجّةُ الطّريقِ تشتدُّ، ويسمعُ «أيونا» صوتًا يُنادي:

زحّافةٌ إلى «فيبر جسكايا» .... زحّافةٌ.

وينتبهُ «أيونا»، ويرى مِنْ خِلالِ عَينيهِ المُغطاةِ بِنُدَفِ الثلجِ المُنادي فَيَجدُهُ ضابِطًا في معطَفٍ عَسكريٍّ وغطاءٍ للرّأسِ، ويُكرِّرُ الضّابطُ كلامَهُ:

إلى «فيبر جسكايا» هَلْ أنتَ نائِمٌ؟ إلى «فيبر جسكايا».

ويَشُدُّ «أيونا» اللِّجامَ دلالةً على الموافقَةِ فتتطايرُ قِطَعُ الثّلجِ مِنْ على ظَهرِ المُهرةِ ومِنْ على أكتافِهِ، ويركبُ الضّابطُ الزّحّافةَ، ويُقرقعُ قائدُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الزَّحَّافةِ، ويُلَوِّحُ بالسَّوْطِ بِحُكْمِ العادةِ لا بِحُكمِ الضّرورةِ، وتَشُدُّ المُهرةُ عُنقَها هيَ الأُخرى، وتلتوي ساقاها الشّبيهتانِ بالعصا، وتبدأُ في السّيرِ بِتَرَدُّدٍ.

وفي الحالِ يسمعُ «أيونا» صوتًا يصيحُ بِهِ، صوتًا ينبعثُ مِنْ كُتلةٍ مِنَ الظّلامِ أمامَ عَينيهِ:

إلى أينَ تَتَّجِهُ!؟ إلى أينَ تَتَّجِهُ!؟ الزَمْ يمينَكَ أيُّها الرَّجلُ.

فيقولُ لَهُ الضّابطُ في غَضبٍ:

إنَّكَ لا تَعرِفُ القيادةَ، الزَمْ اليمينَ.

ويغضبُ منْهُ سائقٌ يسوقُ عربةً، وينظرُ إليهِ أَحدُ المُشاةِ في غَضبٍ وهوَ يُزيحُ الثّلجَ عَنْ كُمِّهِ عندَما اصطدَمَ ذراعُهُ بأنفِ الحِصانِ وهوَ يعبرُ الطّريقَ؛ ويتحرَّكُ «أيونا» على مَقعدِ القيادةِ كما لو كانَ غائبًا عَنِ الوعيِ، لا يعرفُ أينَ هوَ؟ ولِمَ وُجِدَ في هذا المَكانِ؟[2]

2) ما العِبارَةُ الَّتي توحي بأنَّ أيونا مُنْفَصِلٌ عَنْ واقِعِهِ والمَكانِ الذي هُوَ فيه؟ ضَعْ تَحْتَها خَطًّا. بِمَ يوحي ذَلِكَ؟

وقالَ الضّابطُ مُتَفَكِّهًا :

يا لَهُمْ مِنْ أَشرارٍ! إنّهُمْ يحاولونَ ما بوسعِهِمْ لكي يَصطدموا بِعربتِكَ، ولِكي يقَعوا تحتَ حوافرِ حصانِكَ، إنّهُمْ يتعمّدونَ ذلكَ تَعَمُّدًا.

ونظرَ «أيونا» إلى الرّاكبِ وحَركةِ شَفتيهِ، وكانَ مِنَ الواضحِ أنّهُ يُريدُ أَنْ يقولَ شيئًا، ولكنَّهُ لمْ يقُلْهُ، وسألَهُ الضّابطُ:

ماذا؟

وابتسمَ «أيونا» ابتسامَةً كئيبةً، ومَدَّ عُنُقَهُ، وخرجَ صوتُهُ خَشِنًا ثقيلًا.

ابني .. ابني ماتَ هذا الأسبوعَ سيّدي.

قالَ الضّابطُ:

هيهِ، ماتَ بِماذا؟

وأدارَ «أيونا» جِسمَهُ كُلَّهُ إلى الرّاكبِ، وقالَ:

مَنْ يدري!؟ لابُدَّ أنّها الحُمَّى، رَقَدَ في المُستشفى ثلاثةَ أيّامٍ ثُمَّ ماتَ، إنّها إرادةُ اللّهِ.

وفي هذِهِ اللّحظةِ ارتفعَ صَوْتٌ مِنَ الظُّلْمةِ قائلًا:

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

استدِرْ أيُّها الشّيطانُ، هَلْ جُنِنْتَ أيُّها العجوزُ، انظُرْ إلى أينَ أنتَ مُتَّجِهٌ؟!

قالَ الضّابطُ:

أسرِعْ، أسرِعْ، لنْ نصلَ إلى هُناكَ إلّا في صَباحِ الغَدِ إذا قُدْتَ بِهذا البطْءِ!

وَمَدَّ سائِقُ الزّحافةِ عُنقَهُ مِنْ جَديدٍ وارتفعَ عَنْ مقعدِهِ، وقرقعَ بسوطِهِ، واستدَارَ عِدّةَ مرّاتٍ لينظرَ إلى الضّابطِ، ولكنَّ الأخيرَ أبْقى عَينيهِ مُغلقتينِ وكانَ مِنَ الواضحِ أنَّهُ لا يرغبُ في الاستماعِ إليهِ.[3]

وبَعدَ أنْ أنزلَ «أيونا» راكبَهُ في «فيبر جسكايا»، توقفَ عندَ مطعمٍ، ومنْ جديدٍ انكمشَ في مقعدِهِ، ومنْ جديدٍ لَوَّنَهُ الثلجُ الأبيضُ، ولَوَّنَ مُهْرَتَهُ، ومرتْ ساعةٌ وبعدَهَا ساعةٌ.

واتَّجهَ إلى الزّحّافةِ ثلاثةُ شُبَّانٍ، اثنانِ مِنهُما طويلا القامَةِ رفيعانِ والثّالثُ أحدبُ قَصيرٌ، كانوا يتمايلونَ، ويدُبُّونَ بأحذيتِهِمْ الثّقيلةِ على الرّصيفِ.

وصاحَ الأحدبُ:

إلى (البوليسِ) أيُّها السّائِقُ، ثلاثتُنا، سندفعُ عِشرينَ (كوبيك).

وشدَّ «أيونا» اللّجامَ، وقرقعَ حصانُهُ، ولَمْ تكنِ العشرونَ (كوبيك) أجرًا مناسِبًا، ولكنّهُ لَمْ يُفكِّرْ في ذلكَ، لَمْ يَعُدِ الأمرُ يُهِمُّهُ، (روبيل) أوْ خمسة (كوبيكات) سيّانِ، مادامَ معَهُ راكِبٌ، وصعدَ الشُّبّانُ الثّلاثةُ إلى العربةِ وَهُمْ يتزاحمونَ، ويحاولونَ أَنْ يجلسوا كُلُّهُمْ في الوقتِ نفسِهِ، ولكنْ كانَ لابُدَّ مِنْ تسويةِ المسألةِ، فلَمْ يَكُنِ المقعدُ يتّسعُ إلّا لاثنينِ، وبعدَ الكَثيرِ مِنَ الاختلافِ اتّفقوا على أَنْ يقفَ الأَحدبُ لأنّهُ أقصرُهُمْ، ثُمَّ قالوا:

حَسنًا، هيّا بنا.

قالَ الأحدبُ بصوتِهِ المُتَقَطِّعِ وقد استقرَّ في مكانِهِ، ولَفَحَتْ أنفاسُهُ عُنُقَ «أيونا»:

بسرعةٍ، يا لَها مِنْ عَربةٍ! يا صديقي، عَربتُكَ هذِهِ لا تستطيعُ أَنْ تَجِدَ في (بترسبرغ) بأجمعِها أسوأَ منها.

وضَحِكَ «أيونا»: هاها .. هاها! إنّها ليسَتْ مَدعاةً للفَخرِ.

قالَ الأحدبُ:

3) كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ إِحْساسُ (أيونا) في هَذِهِ اللَّحْظةِ حينَ رَأى الضّابطَ قد أغْلَقَ عَيْنَيْهِ؟ وما الَّذي يَوَدُّ الرّاوي أَنْ يَلْفِتَ نَظَرَنا إِلَيْهِ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ليسَتْ مدعاةً للفَخرِ حقًا، حَسنًا أسرِعْ إذًا، هَلْ ستقودُ بهذا البطْءِ طيلةَ الطّريقِ؟ هيَّا، هَلْ أضربُكَ على قَفاكَ.

أحسَّ «أيونا» بالأحدبِ خَلْفَ ظَهرِهِ يدفعُهُ وبصوتِهِ الغاضبِ يرتعشُ، وشيئًا فشيئًا بدأَ يزولُ شعورُ (أيونا) بالوحدةِ، وتقلُّ وطأتُهُ في قلبِهِ، ويستمرُّ الأحدبُ يتكلمُ غاضِبًا حتّى يبدأَ في الضَّحِكِ على فكُاهةٍ ألقاها أَحدُ زَميليهِ، واستمرَّ يضحكُ حتّى داهَمَهُ السُّعالُ، وظلَّ زَميلاهُ يتحدّثانِ، و(أيونا) ينظرُ إليهِمْ، ويَنتظرُ حتّى سادَتْ فترةُ صَمتٍ قصيرةٍ، فالتفتَ إليهِمْ مِنْ جَديدٍ، وهوَ يقولُ:

هذا الأسبوعُ ماتَ ابني، هذا الأسبوعُ ابني ماتَ.

تَنهَّدَ الأحدبُ وهو يمسحُ شَفتيهِ عَقِبَ السُّعالِ، ثُمَّ قالَ:

كلُّنا سَنموتُ، والآنَ أسرِعْ أسرِعْ، أنا وصديقايَ لا نستطيعُ أنْ نتحمّلَ الزّحفَ البطيءَ، متى سَتُوصِلُنا إلى هناكَ؟[4]

4) ما رَأْيُكَ في شَخْصِيَّةِ الأَحْدَبِ؟ وفي صَديقَيْهِ؟ وما الَّذي بَنى تَصَوُّرَكَ هذا عَنْهُم؟

قالَ أحدُ الصّديقينِ:

امْنَحْهُ قليلًا منَ التّشجيعِ ، اصْفَعْهُ مثلًا.

قالَ الأحدبُ:

أتسمعُ أيُّها العجوزُ، سأجعلُكَ نشيطًا، لوِ احترمَ الإنسانُ أمثالَكَ فخيرٌ لَهُ أَنْ يمشيَ على قَدميْهِ، أتسمعُ أيُّها الرَّجلُ؟ أَمْ لعلَّكَ لا تَهتمُّ على الإطلاقِ بما نقولُ.

ضحكَ «أيونا» وقالَ:

شُبَّانٌ يَمرحونَ، لِيَمْنَحْكُمُ اللهُ الصِّحّةَ.

وعندما استدارَ «أيونا» لِيُخبرَهُمْ كيفَ ماتَ ابنُهُ، تَنَهَّدَ الأحدبُ بارتياحٍ، وأعلنَ أَنَّهُمْ وصلوا أخيرًا والحمدُ للّهِ.

وبعدَ أَنْ أخذَ «أيونا» نقودَهُ ظَلَّ يُحَدِّقُ طويلًا في الشُّبَّانِ الثّلاثةِ وهُمْ يختفونَ في المدخلِ المُظلمِ، وَمِنْ جَديدٍ أصبحَ وحيدًا، ومِنْ جديدٍ لا يَمْلِكُ سِوى الصَّمتِ.

وعادَ الشّقاءُ الّذي هانَ لفترةٍ قصيرةٍ، عادَ مِنْ جديدٍ يُمزّقُ قلبَهُ أقسى

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ممّـا كانَ يُمزّقُـهُ مِـنْ قبـلُ.

وفـي نَظـرةِ قَلـقٍ وأَلَـمٍ، بـدأتْ عَينـا «أيونـا» اللّتـانِ لا تَسـتقرانِ فـي مكانِهمـا تَرْقُبَـانِ الجماهيـرَ وهـيَ رائحـةٌ غاديـةٌ علـى جانبـي الطّريـقِ، وبـدأَ يتسـاءَلُ: ألا يسـتطيعُ أنْ يجـدَ بيـنَ هـؤلاءِ الآلافِ مَـنْ يسـتمعُ إليـهِ؟ كانَـتِ الجماهيـرُ تمـرُّ بِـهِ لا تشـعرُ بشـقائِهِ، كانَ شـقاؤُهُ عميقًـا لا حـدودَ لِعُمقِـهِ، ولـوِ انفجـرَ قلبُـهُ وفـاضَ شـقاؤُهُ لأغـرقَ الدُّنيـا بأجمعِهَـا، ولكـنْ، لا أحـدَ يـراهُ، فقـدْ وجـدَ الشّـقاءَ مُخبّـأً فـي مَـكانٍ نـاءٍ، مَـكانٍ لا يمكِـنُ أنْ يصـلَ إليـهِ إنسـانٌ.[5]

5) كَيْفَ تَصِفُ هَذِهِ اللَّحْظَةُ بالنِّسْبَةِ لأيونا؟

ويرى «أيونا» بوَّابًا يحملُ لفةً، ويُقرِّرُ أنْ يُوجِّهَ الحديثَ إليهِ، ويسألَهُ.

كَم السّاعةُ يا صديقي؟

قالَ البَوَّابُ:

السّاعةُ قاربَتِ العاشرةَ، لماذا توقّفْتَ هُنا؟ ابتعدْ عَنْ هذا المكانِ.

يبتعدُ «أيونا» عَنِ المكانِ خُطواتٍ، ويحني جسمَهُ، ويستسلمُ للشّقاءِ.

بـدأَ يشـعرُ أنَّـهُ لا فائِـدةَ مِـنَ الاتّجـاهِ إلـى النّـاسِ، وقَبْـلَ أَنْ تنقضـيَ خمـسُ دقائـقَ اعتـدلَ فـي جِلستِهِ، وهـزَّ رأسَـهُ كمـا لـو كانَ يشـعرُ بألـمٍ حـادٍّ، وشـدَّ اللِّجـامَ، لـم يعُـدْ يسـتطيعُ أنْ يتحمّـلَ أكثـرَ ممّـا تحمّـلَ، وبـدأَ يُـرَدِّدُ في نفسِـهِ: إلـى الإسـطبلِ ، إلـى الإسـطبلِ.

بـدأَتْ مُهرتُـهُ الصّغيـرةُ تُسـرِعُ، وكأنَّهـا تعـرفُ أفكارَهُ، وبعـدَ سـاعةٍ ونصـفٍ جلـسَ «أيونـا» إلـى جانـبِ مَوقـدِ نـارٍ قديـمٍ عليـهِ أَرائِـكُ خَشـبيّةٌ، وفوقَهـا أشـخاصٌ يغُطّـونَ فـي النّـومِ، والهـواءُ ثقيـلٌ مَليءٌ بالرّوائـحِ العفنـةِ، ونظـرَ «أيونـا» إلـى النّائميـنَ، وحَـكَّ جِلـدَهُ، ونَـدِمَ علـى أنّـهُ عـادَ إلـى البيـتِ مُبَكّـرًا.[6]

6) ما الصّفَةُ الَّتي يُريدُ الرّاوي أَنْ يُؤَكّدَها في الآخَرينَ الَّذين قابَلَهُمْ (أيونا) هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟

لَـمْ أكسـبْ مـا يكفـي حتّـى لثمـنِ الشّـوفانِ، وهـذا هـوَ السّـببُ فـي أنّنـي أشـعرُ بذلـكَ الشّـقاءِ، فالرّجـلُ الّـذي يعـرفُ كيـفَ يقـومُ بعملِـهِ، ويكسـبُ مـا يكفِيـهِ ويكفـي حِصانَـهُ يشـعرُ بالرّاحـةِ.

ومِـنْ رُكـنٍ مـنَ الأركانِ ينهـضُ سـائِقٌ سـابِقٌ والنّـومُ يغلـبُ عليـهِ، ويتَّجِـهُ إلـى مَـكانِ الميـاهِ، ويسـأَلُهُ «أيونـا»:

هَلْ تريدُ أنْ تشربَ؟ فَرَدَّ عليهِ قائلًا:

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

يبدو هذا ، قالَ لَهُ:
بالعافيةِ، ولكنَّ ابني ماتَ يا زميلي، أتسمعُ؟ هذا الأسبوعَ في المُستشفى، إنهُ أَمرٌ غريبٌ، ونظرَ «أيونا» ليرى الأثرَ الّذي تركتْهُ كلماتُهُ ولكنَّهُ لمْ يرَ لكلماتِهِ أثرًا، كانَ الشّابُّ قدْ غطّى رأسَهُ، واستغرَقَ في النّومِ.
تنهَّدَ الرّجلُ العجوزُ، وحَكَّ جِلدَهُ، كانَ يُحِسُّ بعطشٍ إلى الكلامِ كَعطشِ الشّابِّ إلى الماءِ، ها هوَ أسبوعٌ قدْ أوشكَ أنْ ينصرمَ منذُ ماتَ ابنُهُ، وهوَ لمْ يحادِثْ أحدًا بعدُ حديثًا حقيقيًّا، إنهُ يريدُ أنْ يتحدّثَ عنْ الموضوعِ حديثًا جِدِّيًّا، يريدُ أنْ يحكيَ كيفَ مرِضَ ابنُهُ؟ وكيفَ تعَذَّبَ؟ وماذا قالَ قبلَ أنْ يموتَ؟ وكيفَ ماتَ؛ إنَّهُ يريدُ أنْ يصفَ الجنازَةَ، وكيفَ ذهبَ إلى المُستشفى لاستلامِ مَلابسِ ابنهِ، وما زالَتْ لديهِ ابنتُهُ «أنيسيا» في الرّيفِ وهوَ يريدُ أنْ يتحدّثَ معَها أيضًا، إنَّ لديهِ الكثيرَ، يُريدُ أنْ يتنهّدَ، وأنْ يجدَ مَنْ يستمعُ إليهِ، يُريدُ أنْ يعجبَ مِنَ الزّمنِ وأنْ يَرثيَ ابنَهُ، أحَسَّ أنّهُ مِنَ الأفضلِ أَنْ يتحدّثَ إلى النّساءِ فَهُنَّ يدمعنَ عندَ الكلمةِ الأولى.
قالَ («أيونا» لنفسِهِ):
دَعْنَا نخرجْ، ونُلقِ نظرةً على المُهرةِ، ففي الوقتِ مُتَّسَعٌ للنّومِ دائمًا، لا تَخفْ، فستنامُ بما فيهِ الكفايةُ.
لبِسَ «أيونا» مِعطفهُ، وذهبَ إلى الإسطبلِ حيثُ تقفُ المُهرةُ، وهوَ يفكّرُ في الشّوفانِ وفي العُشْبِ وفي الجَوِّ، وهوَ لا يستطيعُ أنْ يفكّرَ في ابنِهِ، وهوَ وحيدٌ، مِنَ المُمكنِ أنْ يتحدّثَ عنهُ معَ شَخصٍ ما، ولكنَّ التّفكيرَ فيهِ وتصوّرَهُ ألَمٌ مَحضٌ لا يُمكِنُ للإنسانِ تحمُّلُهُ.
سألَ «أيونا» مُهرتَهُ عندَما رأى عينَيْها اللّامعتينِ:
هَلْ تأكلينَ؟ حَسنًا، كُلي، كُلي، إنْ لَمْ نَستطعْ أَنْ نكسبَ ما يكفي منَ الشّوفانِ فلنأْكُلْ كُلَّ العُشبِ. نَعَمْ، لقدْ كَبُرْتُ على قيادةِ العَرباتِ، كانَ ينبغي أَنْ يقودَ ابني، لا أنا، كانَ قائِدًا بمعنى الكلمةِ، كانَ ينبغي أَنْ يعيشَ.
ويسكتُ «أيونا» وهلةً، ثُمَّ يستمرُّ في كلامِهِ:
هذِهِ هيَ المَسألةُ يا فتاتي العزيزةَ، لقدْ ذهبَ «كوزما أيونتش» قالَ وداعًا،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ذهـبَ، ومـاتَ دونَ سـببٍ مـا، والآنَ تصـوّري أنَّ لَـكِ مُهـرةً صغيـرةً، وكُنـتِ أنـتِ أُمَّ هـذهِ المُهـرةِ الصّغيـرةِ، وفجـأةً ذهبَـتْ نفـسُ هـذهِ المُهـرةِ الصغيـرةِ وماتَـتْ، ستأسـفينَ لموتِهـا، أَلَيْـسَ كذلِـكَ؟

واسـتمرَّتْ المُهْـرَةُ الصّغيـرةُ تَمْضُـغُ، وتُنْصِـتُ، وتتنّفـسُ بالقُـربِ مِـنْ يَـدَيْ سـيِّدِها، وتحرَّكـتْ لواعِـجُ «أيونـا» فأخبـرَ المُهـرةَ بالقصّـةِ كاملـةً.[7]

7) ما الَّذي يُريدُ أَنْ يَقولَهُ الكاتِبُ هُنا وَهُوَ يَختارُ المُهْرَةَ لِتَكونَ المُستَمِعَ الوَحيدَ لِلَواعِجِ (أيونا)؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الرَّجلُ العَجوزُ عندَ الجِسرِ
(إرنست همنجواي)

على جانبِ الطّريقِ جلسَ رجلٌ عجوزٌ في ملابسَ مُتْربَةٍ للغايةِ، وعلى عَينيهِ نظّارةٌ بحافّةٍ معدنيّةٍ، وكانَ هناكَ جِسرٌ مُتنقّلٌ عبرَ النَّهرِ، والعَرباتُ، وسيّاراتُ النّقلِ، والرّجالُ والنّساءُ يعبرونُ الجسرَ، والعَرَباتُ الّتي تَجرُّها البغالُ تَترنّحُ على الشّاطئِ المنحدِرِ الّذي يؤدّي إلى الجسرِ، والجنودُ يساعدونَها على التّقدمِ بدفعِ العجلاتِ، وسيّاراتُ النّقلِ تطحنُ الطّريقَ لا تلوي على شَيْءٍ تريدُ أنْ تخرجَ منَ المكانِ، والفلّاحونَ يغوصونَ في التُّرابِ، ولَكِنَّ الرّجلَ العجوزَ جلسَ هناكَ دونَ أنْ يتحرّكَ. كانَ مُتْعَبًا، لا يستطيعُ أنْ يذهبَ أبعدَ مِمَّا ذهبَ.

وكانَ عَلَيَّ أنْ أَعبُرَ الجسرَ، وأطمئِنَّ على سلامتِهِ منَ النّاحيةِ الأخرى، وأَتَبَيَّنَ مدى سهولةِ الحركةِ، وفرغتُ منْ مَهمّتِي وعُدْتُ عَبْرَ الجسرِ. كانَ عددُ العرباتِ أقلَّ مِمَّا كانَ عليهِ مِنْ قبلُ، وعددُ المُشاةِ قليلًا للغايةِ، ولكنَّ الرّجلَ العجوزَ كانَ ما يزالُ في مكانهِ، وسألتُهُ:

مِنْ أينَ أتيتَ؟

أجابَ:

مِنْ (سانْ كارلوس)، ثُمَّ ابتسمَ.

كانَتْ هذِهِ بلدتَهُ الأصليَّةَ، لِذا أشْعَرَهُ ذكرُها بالسّرورِ، فابتسمَ.

ثُمَّ أضافَ قائلًا:

لقدْ كُنْتُ أَعتنِي بالحيواناتِ .

فقلتُ:

آهٍ، دونَ أنْ أفهمَ تمامًا ما يعنِي.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قالَ:

نَعـمْ، لقـدْ ظَلَلْـتُ أَعتنـي بالحَيوانـاتِ، وكُنـتُ آخِـرَ فَـردٍ يُغـادِرُ بلـدةَ (سـانْ كارلـوس).

لَـمْ يَبْـدُ الرّجـلُ كَـراعٍ ولا كَصاحـبِ قَطيـعٍ، نَظَرْتُ إلـى ثيابـهِ السّـوداءِ المُغبرّةِ، ووَجهِـهِ الأشـعثِ المُغبـرِّ، ونظّارتِـهِ ذاتِ الإطارِ الفـولاذيِّ، وقلتُ:

وما هذهِ الحيواناتُ؟

قالَ:

حيواناتٌ مُتعدّدةٌ، ثُمَّ هَزَّ رأسَهُ، وقالَ: كانَ لا بُدَّ مِنْ تركِهِمْ .[1]

1) ما الّذي توحي بهِ جملةُ "كانَ لابُدَّ مِنْ تَركِهِمْ"؟

كُنْـتُ أراقِـبُ الجِسـرَ ومنطقـةَ (إيبرو الدلتـا) ذاتَ المَظهـرِ الإفريقيِّ، وأتسـاءَلُ فـي نفسـي عَـنْ مقـدارِ الوقـتِ الّـذي سـيمضي قبـلَ أنْ نشـاهِدَ العـدوَّ، وَأُنْصِتُ فـي أثنـاءِ ذلـكَ إلـى الأصـواتِ الأولـى الّتـي يمكـنُ أنْ تؤشِّـرَ علـى الحـدثِ الأكثـرِ غموضًـا والّـذي يُسـمّونَهُ: «المواجهـةُ»، والرّجـلُ العجـوزُ كانَ لا يـزالُ جالسًـا هنـاكَ.

سألتُهُ:

ماذا كانَتْ هذهِ الحيواناتُ؟

رَدَّ قائلاً:

كانتْ ثلاثةَ حيواناتٍ: مَعزتينِ، وقطةً معَها أربعةُ أزواجٍ منَ الحَمامِ.

وسألتُهُ:

هَلْ كانَ عليكَ أنْ تتركَهُمْ؟

قالَ: نَعمْ؛ بسببِ المدفعيةِّ، لقدْ أَمَرَنِي الضّابطُ بالرّحيلِ بسببِ المدفعيّةِ.

قلـتُ وأنـا أراقـبُ الجانـبَ البعيـدَ مـنَ الجسـرِ حيـثُ أسـرعَتِ العربـاتُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الأخيـرةُ وهـيَ تَنْـزِلُ إلـى الشّـاطئِ المُنخفـضِ:

أَوَ لَيْسَ لكَ عائِلةٌ؟

قـالَ : لا، ليسَ إلّا الحيوانـاتُ الّتي ذكرتُهَـا، وبالطّبعِ تستطيعُ القطّـةُ أنْ تعتنيَ بنفسِـهَا، وأنْ تبحـثَ عـنْ طعامِهـا، ولكنّـي لا أسـتطيعُ التّفكيـرَ فيمـا سـيحدثُ للحيوانـاتِ الأُخرى.

وسألتُهُ:

وما مَبادئُكَ السّياسيّةُ؟

قالَ:

ليـسَ لـي مبـادئُ سياسـيّةٌ، إنّنـي فـي السّادسـةِ والسّـبعينَ مِـنْ عُمـري، وقـدْ مشـيتُ اثني عَشَـرَ كيلومتـرًا، ولا أظنُّنِي أسـتطيعُ أنْ أذهـبَ أبعـدَ ممّـا ذهبْـتُ.

فقلتُ:

ليـسَ هـذا المـكانُ مُلائمًـا للتّوقّـفِ، هُنـاكَ فـي آخـرِ الطّريـقِ عَربـاتٌ تنقـلُ النّـاسَ إلـى (تورتـوزا).

وقالَ:

سأنتظرُ قليلًا، ثُمَّ أذهبُ. إلى أينَ تذهبُ هذهِ العرباتُ؟

وقلتُ:

في اتّجاهِ (برشلونة).

قالَ:

أنا لا أعرفُ أحدًا في هذا الاتّجاهِ، ولكنّي شاكِرٌ جِدًّا، أشكرُكَ كثيرًا.

ونظـرَ إلـيَّ دونَ أنْ يبـدوَ علـى وجهِـهِ أيُّ تَعبيرٍ وقَـدْ بـدا عليـهِ الإرهـاقُ، وقـالَ –وكأنَّـهُ لا بُـدَّ لَـهُ أنْ يتقاسـمَ قلقَـهُ مـعَ إنسـانٍ مـا–:[2]

2) ما الّذي توحي بهِ جملةُ "كانَ لابُدَّ مِنْ تَركِهِمْ"؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

القطّةُ تستطيعُ أَنْ تعتنيَ بنفسِها، أنا مُتأكِّدٌ مِنْ ذلكَ، ولا داعيَ للقلَقِ مِنْ أجلِ القطّةِ، ولكنَّ الحيواناتِ الأُخرى، ماذا تَرى؟ ماذا يُمكِنُ أنْ يحدثَ لها ؟

قلتُ: رُبَّمَا لنْ يُصيبَهُمْ شَيْءٌ.

قالَ: أتظنُّ ذلكَ؟

قلتُ، وأنا أنظرُ إلى الطَّرفِ الآخَرِ مِنَ الجسرِ حيثُ لَمْ تَعُدْ هناكَ أيُّ عَرباتٍ:

ولِمَ لا؟

قالَ: لقدْ طُلِبَ مِنِّي أنْ أرحلَ بسببِ المدفعيّةِ، فما عساها هيَ أنْ تفعلَ تحتَ نيرانِ المدفعيّةِ؟

وسألتُهُ:

هَلْ تركْتَ قفصَ الحَمامِ مفتوحًا؟

قالَ: نعمْ.

قلتُ: إذًا سيطيرُ الحَمامُ!

وقالَ:

نَعمْ مِنَ المؤكّدِ أنْ يطيرَ، ولكنْ... بقيّةُ الحيواناتِ... مِنَ الأفضلِ ألَّا أُفكِّرَ في بقيّةِ الحيواناتِ.

وحاولْتُ أنْ أحثَّهُ على الرّحيلِ:

لو كنتُ مكانَكَ لرحلْتُ، قُمِ الآنَ، وحاوِلْ أنْ تمشيَ.

قالَ: أشكرُكَ.

وقامَ على قَدميهِ وترنَّحَ مِنْ جانبٍ إلى جانبٍ ثُمَّ جلسَ من جَديدٍ في

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

التُّرابِ، وقالَ في خُمولٍ:

كُنْتُ أعتني بالحيواناتِ، لَمْ أرتكبْ ذَنبًا، كنتُ فقطْ أعتني بالحيواناتِ.[3]

ولكنَّهُ كانَ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ، ولَمْ يَكُنْ يوجِّهُ الكلامَ إلَيَّ.

لَمْ يَكُنْ بِوُسْعِي أَنْ أفعلَ مِنْ أجلِهِ شَيئًا، كانَ هذا اليومُ الأحدَ، وقوّاتُ العَدوِّ تتقدَّمُ نحوَ نَهرِ (الأبرو) وكانَ اليومُ يومًا مُعْتِمًا بِسحابٍ مُنخفضٍ يَحْجُبُ السّماءَ؛ ولذلكَ لَمْ تَكُنْ طائراتُ العَدوِّ تظهرُ في الجَوِّ .

3) كيفَ يمكنُ أنْ تصفَ حالَ الرَّجُلِ في هذِهِ اللّحظةِ؟ وما المشاعرُ الّتي تسيطرُ عليهِ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

العابِرونَ فوقَ شظاياهُم

عبدالعزيز الفارسي

حَدَّثني ربيّع المرّ عن خميس بن باروت عن صمبوخ عن بتيكان، قال:

في طريق مُقفِر يفصلُ بين أقربِ قريتين عندَنا، حدّدت السلطات السرعة القصوى بمائة كيلومتر في الساعة، حفاظًا على حياة الحيوانات السائبة. أقاموا احتفالًا كبيرًا لنصب الإشارة التي تحدد السرعة، دُعي إليها كبار رجالات الولاية.

بعد نصب الإشارة وتصفيق الحضور على جانبي الطريق، مرّت سيارة مُسرعة بجنون. قدّر الحاضرون سرعتها بمائة وستين كيلومترًا في الساعة. قال راعي الحفل:

[الإشارة جديدة، ولم ينتبه لها السائق، فلنتناول القهوة، ولنكمل مراسم الاحتفال].

في أثناء شُربِ القهوة مرّت أربع سيارات تتراوح سرعاتها بين المائة والستين والمائة والثمانين كيلومترًا في الساعة، فقال الحاضرون: [الإشارة جديدة، ولم ينتبه لها السائقون].

وأكملوا شرب القهوة.

أكلت الأيامُ شهرًا من عمر الشارع، ولم يُخفِّض سائقٌ واحدٌ سرعته عن المائة والخمسين كيلومترًا في الساعة. أعادت السُّلطات النظر في موضوع الإشارة. ادّعى ضابطٌ أن المواطنين يعشقون مخالفة قوانين السّير بزيادة السرعة عن المقرر ولو بقليل. أردف: [لذا أقترح عليكم وضع إشارةٍ أخرى تُحدِّد السرعة بخمسين كيلومترًا في الساعة.. سيتجاوز السائقون هذه السرعة حبًّا في المخالفة ولكن سرعتهم ستصل كحد أقصى إلى مائة كيلومتر في الساعة.. وهذا ما نريده].

استحسن الجميع الفكرة، وأقيم احتفالٌ لنصب إشارة أخرى تُحدِّد السرعة الجديدة. ذكر شهودٌ عيان مرور عشر سيارات بسرعة تقارب المائة والستين كيلومترًا في الساعة. تكفّل المواطنون الحاضرون بالتبرير:

[الإشارة جديدة.. ولم ينتبه لها السائقون].

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لـم ينتبـه السـائقون للإشـارة الجديـدة شـهرين متتاليـن، وأصـاب اليـأس السُّـلطات. قـرّرت بعـد شـهر إشـهار مبـدأ العقـاب لـكل مخالـف.

اشـترت جهـاز (رادار) لتصويـر السـيارات المخالفـة، وُضِـع الـرادار فـي منتصـف المسـافة بيـن القريتيـن طيلـة النهـار. عنـد المغـرب كان الجهـاز الجيـب قـد ملأ فلمًـا كاملًا بصـور المخالفيـن. فـي الصبـاح التالـي تـم تغريـم كل مـن وُجـدت صـورة سـيارته.

احتج المواطنون على سياسة المخالفات، قال أحدهم لضابط المرور:

[لماذا لم تُقيموا حفلًا لنصب الرادار؛ لنكون على علم؟؟!!]

تعالـت احتجاجـات أخـرى، لكنهـم اضطـروا فـي النهايـة لدفـع المخالفـات. انتشـر خبـر الجهـاز العجيـب فـي الولايـة، وفـي اليـوم التالـي وُضـع الـرادار فـي المـكان نفسـه. مـرّ عليـه مواطـنٌ ممـن تمـت مخالفتهـم فخفّـض السـرعة مقتربًـا منـه، وتلفّـت المواطـن يمنـة ويسـرة، أمامًـا وخلفًـا، فوقًـا وتحتًـا فوجـد الجهـاز دون حراسـة. فحمـل الـرادار إلـى سـيارته، وهـرب بـه. وكسّـره فـي البيـت وهـو يقـول:

[خذ يا أعمى، خذ يا لص، هه، خذ، بسببك خسرت عشرة ريالات].

فتّشـت السـلطات عـن الـرادار، ولـم تعثـر علـى أثـرٍ لـه. قـرّرت شـراء جهـاز جديـد. تُـرك الـرادار الجديـد فـي المـكان نفسـه قُبيـل المغـرب، لكـن هـذه المـرة بصُحبـة شـرطيٍّ وحيـد، لا يملـك غيـر عصـا القانـون، ليـذود بهـا عـن الكرامـة. مـرّ سـائقون مسـرعون تـمّ تصويرهـم، وأعطـى الجهـاز وميضًـا كآلـة التصويـر، قـال سـائق لراكـبٍ قربـه: [مـا هـذا الوميـض؟].

رد الراكب: [برق. أظنها ستمطر في الليل].

وانتظـر رجـلٌ مُسـرعٌ بصحبـة زوجتـه، وتفاجـأ بوميـضٍ قـوي يغمـر أعينهمـا. صرخـت الزوجـة وردّت الخمـار علـى وجههـا، ففرمـل الـزوج. عـاد للخلـف ليتبيـن مصـدر الوميـض. وجـد الشـرطي قـرب الـرادار، وقـد أبعـد عنـه عصـا القانـون. سـأله:

– ما هذا؟

رادار..

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

– رادار؟!!.

– جهاز يصوّر السيارات التي تتجاوز السرعة القانونية.

– هل يصوّرني أيضًا؟

– يصور كل من في المقصورة الأمامية.

أمسك الزوجُ الشّرطيَّ: [يعني هذا الجهاز صوّر الحرمة، هات الصورة، هيا هات الصورة]. صرخ الشرطي: [لا يمكن، الصورة لا تظهر إلا في معامل الشرطة].

اتجه الرجل إلى سيارته، صرخ في وجه زوجته: [صوّروك يا حرمة. يا عارنا. ألم أقل لك ردي الخمار على وجهك؟ ماذا قلت؟ نحنُ في طريقٍ مُقفِرٍ والوقت ظلام. هه. هذا هو الظلام.]

صرخت فيه الزوجة:

– الذنب ذنب الذي صورني.

– لكنها السلطة؟

– من قال لك إنه من السلطة؟ أيعقل أن تترك الحكومة رجلًا أعزل في طريق مقفر وتقول له: [صوّر حريم الرجال؟] إنه يضحك عليك وحسب.

اتجه الرجل نحو الشرطي. قال:

– هات الصورة .

– لا أستطيع إخراج الصورة.

– إذن خلِّ بيني وبين هذا الجهاز، كاشف ستر الرجال.

بعد مناقشات طويلة أخذ الرجل الرادار– بعد أن حطّمه– معه إلى البيت.

اهتدت السلطات أخيرًا إلى وضع رجلٍ بزيٍّ مدني قرب الرادار الثالث، ووضع دورية على بعد ثلاثة كيلومترات عن الجهاز، كانت مهمة الرجل الإبلاغ عن المسرعين لتستقبلهم

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الدورية بالمخالفات. نجحت الفكرة في اليوم الأول، وسرى خبر الرادار الثالث في الولاية. تنبه السائقون لموقع الرادار بمجرد رؤية رجل يجلس على قارعة الطريق، فالطريقُ مُقفر وغير مأهول، فلن يكون الواقف إلا المختص بالرادار، فكانوا ينطلقون مسرعين، وبمجرّد رؤية شبح رجل يهتف أحدهم بالسائق: [راداااااااااااااااااااااااااااار]

فيخفِّض السائق سرعته إلى أربعين كيلومترًا في الساعة حتى يتجاوز الرادار، فلا يُبلغ المختص بالرادار عنه، ومن ثم يزيد السائق سرعته إلى مائة وستين كيلومترًا في الساعة. وحدث أن مرّ سائقون على الدورية بسرعات جنونية وأفراد الدورية لا يقبضون عليهم لعدم إبلاغ مسؤول الرادار عنهم، مع الوقت غيّرت الشرطة وسائل نصب الرادار، فتارة تضع برميلًا، وتارة تضع خيمة، وفي أحيانٍ أخرى تنصب شجرة وهمية لتموّه السائقين.. لكن النتيجة أن أي سائق يمر على شيء غير طبيعي في هذه المنطقة المقفرة يقول: (راداااااااااااااااااااااااااار)

ويُخفِّض سرعته لما دون الخمسين كيلومترًا ثم يزيد السرعة بعد التأكد من ابتعاده عن الشيء الغريب. قيل إن السائقين إذا مرّوا على حيوانٍ سائب خفّضوا سرعتهم، وكذا إذا رأوا إطارًا منفجرًا رُمي في تلك المنطقة.

وطوى المساء ذكريات المسنّين عن الرادار، ونصبها خيمة على رمل الذاكرة، كلما صادفت لائحة لتحديد السرعة ابتسمت، وخفّضت السرعة.

قبل أسبوع انفجر إطار سيارةٍ مُسرعة، فتدهورت، وانقلبت بمن فيها. مرّ عليها السائقون المسرعون وهي تحترق فجعل الواحد منهم يقول للراكب الذي يليه:

[انظر، وضعوا الرادار على شكل حريق].

وخفّضوا جميعًا السرعات حتى تجاوزوا السيارة المحترقة ثم زادوا سرعاتهم.

صباح اليوم رأيت بقايا السيارة المحترقة، وكانت السيارات تمر مسرعة.. فتخفض السرعة حتى تتجاوز تلك البقايا، ثم تزيد سرعتها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بقعةُ زيتٍ

مريم الساعدي

هو يومه الأول، يبدو مكانًا مهمًّا، كلّفوه بمهمة تلبية طلبات المكاتب من 5 – 15.

عمل رائع، لم يتصور قط أنه سيحظى بعمل سهل كهذا. كان دومًا متسخًا بما يحمله فوق ظهره طوال النهار، الآن هو يرتدي بدلة خاصة للعمل، نظيفة، نظيفة حقًا، في الواقع تبدو له نظيفة بشكل غير معقول. شعر بأنه وليد جديد للتّو يخرج إلى العالم ساعة ارتداها أول مرة، حتى إنها مزخرفة عند الأطراف، وعليها شعار في الصدر، يقولون شعار الدّائرة، لايهم، إنه فخور جدًّا، صوّر نفسه كثيرًا، أرسل الصور إلى أمه، زوجته حملت الصور إلى الجارات، تغيظهن: زوجها أنيق.

الساعة الثامنة صباحًا، يرن الهاتف (ترن ترن) يسرع لالتقاط السماعة:

– نعم سيدي؟

– يرد عليه صوت امرأة.

– نعم، أحضر لي الشاي.

– بِسكَّرٍ، أو من دون سكّر سيدتي؟

– بِسُكَّرٍ.

– وفي أي غرفة سيدتي؟

– 13.

– في الحال سيدتي.

يجب أن يكون كل شيء نظيفًا، المهم النظافة، النظافة. يغسل الكوب جيّدًا، يغسله مرارًا، يحضّر الشاي بالمقادير المطلوبة، نبهوهم قبل بدء العمل أن مقادير الشاي هنا تختلف عما اعتاده هناك، فهناك أية مقادير كانت نعمة مبجلة، هنا الأشياء دقيقة أكثر، وإن لم يعجبك

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كوب شايك بإمكانك أن تسكبه. ضحك كثيرًا عند هذه الفكرة، كيف لأحد أن يسكب كوب شاي ساخنًا فيه سكّر لذيذ، وحليب غني ،فقط لأن السكّر زاد قليلًا أو نقص؟ «غريب، غريب» يهزّ رأسه متعجبًا من عجائب الدّنيا الّتي بدأ يتعرفها ساعة مغادرته بيته، ويضحك حين يتذكر أنه يسميه بيتًا. هناك، حتّى حين تدخل بيتك تظل مكشوفًا على الجميع، يختبىء الناس هنا خلف جدران حقيقية. يتخيّل لو امتلك فرصة كهذه، ربما كانت زوجته ستكف عن تأنيبه. يضع كوب الشاي على صينية التقديم، يتأكد من نظافة كل شيء، لا (بقع)، تذكّر تعليمات المسؤول «لا بقع على الأكواب أو الصواني»، يتأمّل جيّدًا، يرى صورته تنعكس على سطح الصينية. رائع! .. يسير فخورًا بنفسه. لابقع. سيكتب في الرسالة القادمة إلى زوجته، «تخيلي! مهمّ ألّا توجد أية بقعة من أي نوع، حتى بقعة الشاي نفسه، مهم ألا تقع على الصينية، تخيلي ينتبهون لذلك! وهذا يزعجهم، تخيلي، يزعجهم جدًّا! آه لو أحاسبك على كل البقع في الأواني، كنت طلّقتك منذ زمن».

تذكر، ألّا أواني لديها، فقط إناءان، وعلى أية حال ماكانت أي بقع لتظهر على سطحها الصدىء. «هذه من مميزات ألّا تمتلك أشياء كثيرة، لاتضطر لأن تقلق على البقع»! يسير فخورًا باستنتاجه هذا، ويشعر بالحكمة. أمه دومًا آمنت أن مستقبله سيكون زاهرًا، كان ولدًا حكيمًا، يقول دومًا الأشياء الصحيحة في الوقت المناسب، أو حين يتوفر وقت لقول أي شيء.

على باب الغرفة رقم 13 يقف بتهيّب، يتذكر هل يجب أن يلقي التحية أو فقط يدخل بهدوء؟ «مرحبًا سيدتي» يلقيها بهدوء، لايتلقى ردًا. يتطلع إلى المكتب. لامكان لوضع كوب الشاي، منشغلة هي بالهاتف وبشاشة الحاسوب، يقف قليلًا متفكّرًا، يزيح بعض الأوراق قليلًا، يحمل كوب الشاي، وينتبه أن في حافة الكوب بقعة شاي صغيرة، لابد أنها اندلقت في الطريق، ترتجف يده، يتضرّع في سرّه ألّا تنتبه لها، تبدو المسافة من الصينية حتى سطح المكتب بعيدة، شعر كأنه يسافر إلى الفضاء في رحلة مصيرية. يضع الكوب بتأن على المكان الذي وفّره له. تحرك الموظفة يدها لأخذه، تتحرك أكوام الأوراق، تصطدم بكوب الشاي، ينسكب الشاي على كل شيء، ويمتلىء المكان بالبقع، يقف مشدوهًا، يظل واقفًا، يرتجف مثل ورقة شجر سقطت في يوم ريح عاصف. ماذا بوسعه أن يفعل أمام كل هذه

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

البقع؟ شدّدوا كثيرًا على أن (لا بقع)، لا بقع على الأكواب، على الصّواني، لكن هذه بقع في كل مكان! على الأوراق، وسطح المكتب، وثوب الموظفة. يشعر بالغرق، وبلزوجة في قلبه.

في اليوم التالي، كان عليه تسليم البدلة المزخرفة الجديدة لآخر يقف في طابور طويل يمتد دون كلل.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أدبُ السّيرِ والرّحلاتِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

السّيرةُ الأدبيّةُ

السِّيرَةُ في اللُّغة هي السُّنَّةُ، والسِّيرَةُ: الطريقةُ. يقال: سارَ بهم سِيْرَةً حَسَنَةً. والسَّيرَةُ: الهَيْئَةُ. وفي القرآنِ الكريمِ، قال اللّهُ تعالى في سورةِ (طه): ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

والسّيرة الأدبيّة: فنّ جوهره التواصل اللغويّ، يتناول حياة إنسان ما تناولًا يقصر أو يطول. وعرّفها بعضهم بأنّها «السرد المتتابع لدورة حياة شخص، وذكر الوقائع الّتي جرت له في أثناء مراحل هذه الحياة».

وتنقسم السّيرة الأدبيّة إلى سيرة ذاتيّة، وسيرة غيريّة.

فالسّيرة الذاتيّة: هي الّتي يكتبها الشخص بنفسه عن نفسه.

أمّا السّيرة الغيريّة: فهي الّتي يكتبها كاتب ما عن شخص آخر، فهي ترجمة حياة شخص عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق.

ويتحتم على كاتب السّيرة الذاتيّة أن يكون موضوعيًا في نظرته لنفسه، وهو يذكر موقفه من الناس والحوادث. وعلى كاتب السّيرة الغيريّة أيضًا أن يكون موضوعيًّا، وأن يقف موقف الشاهد، لا القاضي. ولذلك يعدّ الصدق من أهم شروط كتابة السّيرة الأدبيّة.

ولمّا كان الصدق من أهم شروط كتابة السّيرة الأدبيّة فإنّ المتعة لا تتحقق إلاّ إذا كانت السّيرة عن شخصية فذّة، عاشت حياة غنية بالأحداث والمواقف، أو كانت عن شخصية مبدعة في أي مجال من مجالات الفنون والعلوم.

ويعدّ محمد بن إسحق أول من استخدم كلمة «السّيرة» في كتابه (سيرة رسول اللّه)ﷺ، ولذلك تعدّ السّيرة النبوية أوسع ما في التراجم الإسلامية، وأقدمها ظهورًا، ثُمَّ ظهرت تراجم أخرى لطبقات الصحابة، وطبقات المُفَسّرين، وطبقات الشّعراء وطبقات النّحاة وغيرهم.

وقد تعددت الغايات من كتابة السّيرة الغيريّة؛ فقد ارتبطت السّيرة الغيريّة في بداية نشأتها بالتاريخ، فمثّلت نوعًا من السير عرف بالسيرة التاريخية التي ركزت على ربط حياة الأفراد

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بالأحداث التاريخية والوقائع والحروب. وهذا النوع من السير قد يتضمن إشارات وعظية وحكمًا، إلا أنّ البعد التاريخي يبقى هو الغالب عليها، وتعد سيرة (ابن طولون) للبلوي، وسيرة (عمر بن عبدالعزيز) لابن عبدالحكم من الأمثلة على هذا النوع من السير.

ولكن بعض السير الغيريّة اتخذت لها غايات أخرى، فاتجهت نحو الوعظ والتدبر في أحوال الناس كما أشار إلى ذلك ابن الجوزي حين قال: «إن التواريخ وذكر السير راحة للقلب، وجلاء للهم، وتنبيه للعقل، فإنه .. إن شُرحت سيرة حازم علمتَ حسن التدبير، وإن قُصّت قصة مُفَرِّطٍ خوِّفت من إهمال الحزم» . ولذلك يمكن أن يطلق على هذا النوع من السير السّيرة التعليمية التي لم تكن تتجاوز ذكر مناقب الشخص، وبعض أقواله، ومواقفه؛ ككتاب «الحسن البصري وزهده ومواعظه» لابن الجوزي.

يضاف إلى هاتين الغايتين غاية ثالثة كان لها دور كبير في كتابة السير الغيريّة، تمثلت في تلبية حاجة الناس إلى السمر والفكاهة والإدهاش؛ فكثير من السير كانت عبارة عن «مجموعة من القصص والمغامرات تدور حول شخصية واحدة، ويتفاوت فيها الخيال، ولكنها جميعها مسلية، تصاغ في أسلوب مبسط» . وقد كان هذا التوجه سببًا في ظهور ما يسمى بالسيرة الخياليّة أو الشعبية التي كانت تنهل من معين الخيال، وتبتعد كثيرًا عن رصد الواقع والالتزام بالصدق والحقيقة، ولعل هذا الشكل يتضح بجلاء في سيرة (عنترة بن شداد) و(سيف بن ذي يزن).

ولكنّ هذه الأنواع من السِّير لا ترقى إلى مستوى السّيرة الأدبيّة التي لها مميزات وشروط فنية خاصة بها.

أما السيرة الذاتية فقد عرفت في العصر الحديث، وصار ت فنًّا مستقلًا بذاته، برع فيها كثير من الأدباء عبر العصور مثل الإمام أبي حامد الغزالي في سيرته الفكرية الفريدة (المنقذ من الضلال)، وابن خلدون في سيرته (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا)، وأحمد لطفي السيد في سيرته (قصة حياتي)، وعباس محمود العقاد في سيرتيْه (أنا) و(حياة قلم)، وإبراهيم عبد القادر المازني في سيرته (قصة حياة)، وطه حسين في سيرته (الأيام)، وتوفيق الحكيم في سيرته (زهرة العمر)، وأحمد أمين في سيرته (حياتي)، وميخائيل نعيمة في سيرته (سبعون)، وبنت الشاطئ في سيرتها (على الجسر).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

اسمُها تجربةٌ *
(أرسكين كالدويل)

في هذهِ المَرّةِ، ذَهبْتُ إلى هناكَ في أوائلِ حزيرانَ/ يونيو، وخضْتُ حربًا لا تنتهي معَ الذّبابِ الأسودِ في الفسحةِ الغابيّةِ، قبلَ أنْ أبدأَ بتقطيعِ خشبِ القيقبِ الصّلبِ ونشرِهِ؛ ليناسبَ حجمَ الموقدِ، ثمَّ تعريضهِ للشّمسِ والهواءِ؛ حتّى يجفَّ. كنتُ أقطعُ الحطبَ خلالَ النّهارِ، وأعزقُ التّربةَ لزراعةِ البطاطا وقتَ الغروبِ الطّويلِ تحتَ سمائِهِ الأرجوانيّةِ، وحينَ يخيّمُ اللّيلُ أجلسُ لأكتبَ القصصَ. في ذلكَ الوقتِ منَ السّنةِ، ونظرًا لوقوعِ المكانِ في تلكَ النّقطةِ منْ خطِّ العرضِ، كانَ ضوءُ النّهارِ يمتدُّ حتّى السّاعةِ الثّالثةِ فجرًا، حيثُ أخلدُ للنّومِ بضعَ ساعاتٍ. بدا لي أنَّ الوقتَ يمرُّ بسرعةٍ، وأنَّ هناكَ كثيرًا لأعملَهُ، حيثُ قمتُ في بعضِ اللّيالي بإيقافِ عقاربِ السّاعةِ أوْ إعادتِها إلى الوراءِ بينَما أنا أطبعُ على الآلةِ الكاتبةِ.

كتبْتُ عشراتِ القصصِ القصيرةِ خلالَ السّنةِ الفائتةِ، في (ماونت فيرنون، وأوغستا، ومورغانا، وبالتيمور)، وشعرْتُ بأنَّ مستواها الفنيَّ يتحسّنُ باطّرادٍ، أوْ على الأقلِّ غدَتْ قابلةً للقراءةِ على نحوٍ أفضلَ؛ وذلكَ لأنّني أصبحْتُ قادرًا على تشكيلِ وصياغةِ الأحداثِ المتخيّلةِ ضمنَ نمطِ الرّوايةِ الّذي ينتجُ التّأثيرَ الّذي أردتُهُ فيَّ كقارئٍ. حاولتُ الكتابةَ وأنا أفكّرُ بنفسي كقارئٍ فقط، وكأنّما لنْ يكونَ هناكَ سواي ليقرأَها، مؤمنًا بأنَّ الكاتبَ ذاتَهُ يجبُ أنْ يرضى عنِ القصّةِ قبلَ الآخرينَ. ولمْ أكنْ مؤمنًا بقدرتي على تحليلِ القصّةِ كناقدٍ، بلْ كُنْتُ متشكّكًا، وسيّئَ الظّنِّ بالنّتائجِ، ولكنْ بدلًا منْ ذلكَ بحثْتُ عنْ تكثيفِ الشّعورِ والإحساسِ في القصّةِ، مقدّرًا تأثيراتِها الوجدانيّةَ على التّوازنِ الدّاخليِّ. وإذا ما اجتذبَتْني القصّةُ الّتي كتبْتُها بقوّةٍ، بغضِّ النّظرِ عن الافتقارِ إلى الانسجامِ معَ أسلوبِ القصّةِ التّقليديِّ، كنتُ أشعرُ برضًا كبيرٍ عنِ النّتيجةِ. وَأَمَّلْتُ بأنّهُ سيأتي الوقتُ الّذي يقبلُ الآخرونَ –بمنْ فيهمُ المحرِّرونَ والنّاشرونَ– الأسلوبَ الّذي أستخدمُهُ باعتبارِهِ الوسيلةَ الوحيدةَ الممكنةَ لكتابةِ ذلكَ النّوعِ الخاصِّ منَ القصّةِ، بقلمي أوْ بقلمِ غيري؛ لخلقِ الإحساسِ المثيرِ الّذي تعطيهِ.

ما حظيَ بالقدْرِ نفسِهِ منَ الأهميَّةِ بالنِّسبةِ لي هوَ الإيمانُ بأنَّ المضمونَ/ المحتوى يتمتّعُ

* أرسكين كالدويل، اسمُها تجربة، ترجمة: معين الإمام، دار المدى، سورية، الطبعة الأولى، 2006، صفحة 52–56.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بقيمةٍ أعظمَ منَ الأسلوبِ/ الشّكلِ الَّذي كتبْتُ فيهِ القصَّةَ؛ نظرًا لما يترُكُهُ منْ تأثيرٍ طويلِ الأمدِ في القارئِ، فالمضمونُ هوَ مادّةُ القصَّةِ الأساسيّةِ، الأمورُ الحياتيّةُ الَّتي يرويها الكاتِبُ، وأفكارُ النّاسِ وطموحاتُهُمْ في كلِّ مكانٍ، ونوعيّةُ الشّخوصِ الطّبيعيّةُ الَّتي لم توجدْ على الأرضِ أبدًا، لكنّها توهِمُ القارئَ بأنّها تمثّلُ أشخاصًا واقعيّينَ مِنْ لحمٍ ودمٍ.

إذن، لمْ أكنْ أكتبُ عنْ أشخاصٍ واقعيّينَ، بلْ عنْ أفعالِ ورغباتِ أشخاصٍ متخيَّلينَ، تصوّرُهُمُ القصَّةُ أوِ الرّوايةُ النّاجحةُ بأسلوبٍ مقنعٍ حيثُ يظهرونَ وكأنّهُمْ أكثرُ واقعيّةً منَ الأشخاصِ الحقيقيّينَ، وإلّا لنْ يجمعَ الأشخاصَ في الرّواياتِ والقصصِ القصيرةِ سوى شبَهٍ سطحيٍّ بسيطٍ بالبشرِ. لقدْ سعيْتُ جاهدًا في الأسلوبِ الَّذي كتبْتُ فيهِ أنْ آخذَ منَ الحياةِ – مباشرةً– تلكَ الصّفاتِ والسّماتِ المميّزةَ للرّجالِ والنّساءِ الَّتي تُنْتِجُ بطريقةٍ معبّرةٍ تحتَ الظّروفِ والشّروطِ الَّتي سأقومُ بابتكارِها الشّخصياتِ المثاليّةَ للقصّةِ الَّتي أريدُ إبداعَها. ومنَ النّادرِ، إنْ لمْ يكنْ منَ المستحيلِ ألّا تكونَ هذهِ الشّخصياتُ المتخيَّلةُ مركّبةً.

خلالَ هذهِ الفترةِ (1927) بدأتُ تَلقّي مَلحوظاتٍ وتعليقاتٍ قصيرةٍ بتكراريّةٍ أكبرَ منَ المحرّرينَ بدلًا منَ الرّفضِ المطلقِ الصّريحِ، وبالرّغمِ منْ عدمِ قيامِ أيَّةِ مجلّةٍ بقبولِ ونشرِ قصّةٍ لي بشكلٍ فعليٍّ، إلّا أنَّ بعضَ المحرّرينَ كانوا بينَ حينٍ وآخرَ يرفضونَ نشرَ أعمالي، ويرفقونَ رفضَهُمْ بتعليقٍ عليها.

لكنْ بدا هنالِكَ على الدّوامِ شيءٌ يمنعُ قصّتي منَ النّشرِ: طويلةٌ جدًّا، وجيزةٌ جدًّا، كُتِبتْ بأسلوبٍ غيرِ نظاميٍّ، مغاليةٌ في الخيالِ والبعدِ عنِ الواقعِ بالنّسبةِ لنوعيّةٍ محدّدةٍ منَ القرّاءِ، مبالغةٌ في واقعيّتِها في التّمثيلِ والعرضِ بالنّسبةِ لأذواقِ هيئةِ التّحريرِ، وكانَ منَ المفاجئِ أنْ تظهرَ كلُّ هذهِ الأسبابِ المنطقيّةِ والمتكلَّفةِ لرفضِ قبولِ أعمالي.

علاوةً على كلِّ هذهِ الرّدودِ المهذّبةِ الَّتي رفضَ منْ خلالِها رؤساءُ التّحريرِ نشرَ أعمالي في صحفِهِمْ ومجلّاتهِمْ، تلقّيْتُ بعضَ النَّصائحِ أحيانًا. لمْ أكنْ معاديًا للنّصْحِ منْ حيثُ المبدأُ، طالما تساوقَ في الغالبِ معَ ما أقومُ بهِ، لكنْ بدا دائمًا بالنّسبةِ لي أنَّ النَّصائحَ الَّتي تلقّيتُها قدْ قُصِدَ بها بالتّأكيدِ شخصٌ آخرُ، وَوُجِّهَتْ إليَّ بطريقِ الخطأِ.

نصحني أحدُ المحرّرينَ بإجراءِ دراسةٍ دقيقةٍ لنوعِ القصصِ الَّتي تُنشَرُ في مجلّتِهِ، وأنْ أحاولَ الاقترابَ منهُ ما أمكنَ. وقالَ آخرُ: إنَّ هناكَ مستقبلًا جَيِّدًا في انتظارِ المقالاتِ الَّتي تتناولُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بعضَ المهنِ الحرْفِيّةِ المعيّنةِ، مثلِ: زخرفةِ المنازلِ، وتغطيةِ الأرضيّاتِ، وتصميمِ الأثاثِ، بلْ وصلَ ثالثٌ إلى حدِّ كتابةِ رسالةٍ مطوّلةٍ ينصحُني فيها بالتّوقّفِ عنْ كتابةِ القصَّةِ القصيرةِ، مشيرًا إلى أنَّني لنْ أتمكَّنَ -برأيِهِ- منَ النّجاحِ في هذا المجالِ أبدًا، وأنَّ الإلحاحَ العنيدَ والمؤلمَ سوفَ يجعلُ إخفاقي النّهائيَّ أصعبَ منْ أنْ أحتملَهُ.

كانَ كلُّ ذلكَ بمثابةِ مراسلاتٍ مثيرةٍ زوّدَتْني بشيءٍ أتطلّعُ لتلقّيهِ بالبريدِ، لكنّها لمْ تكنْ واعدةً، ولا تُقَدِّمُ ما يكافئُ جهدي المبذولَ. ومنْ أجلِ أنْ تصلَ عشراتُ القصصِ إلى مكاتبِ المحرّرينَ باستمرارٍ، توجَّبَ عليَّ الحفاظُ على كمّيّةٍ منْ طوابعِ البريدِ، كما كانَ عليَّ تلبيةُ بعضِ الحاجاتِ الحياتيّةِ شبهِ الضّروريّةِ، مثلِ السُّكَّرِ والملحِ والأحذيةِ الَّتي لمْ أكنْ أرغبُ بحرمانِ عائلتي منها. وحينَ كنتُ أحتاجُ المالَ، لمْ يكنْ أمامي سوى ملءِ حقيبتي سفرٍ بنسخِ الكُتُبِ الَّتي قُمْتُ بمراجعَتِها، وركوبِ الحافلةِ إلى (بوسطن)، وزيارةِ متجرِ الكتبِ المستعمَلَةِ، ولربّما لمْ تبتدئ هذهِ الممارسةُ -نشاطُ بيعِ الكتبِ بسعرِ خمسةٍ وعشرينَ سنتًا- في أمريكا، لكنّني أسهمْتُ في انطلاقَتِها في (بوسطن).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الأيّامُ
طه حُسين

كانَ مِـنْ أوّلِ أمـرِهِ طُلَعـةً لا يحفَـلُ بمـا يَلقـى مـنَ الأمـرِ فـي سـبيلِ أنْ يستشـكفَ مـا لا يعلـمُ، وكانَ ذلـكَ يكلِّفُـهُ كثيـرًا مـنَ الألـمِ والعَنـاءِ، ولكـنَّ حادثـةً واحـدةً حـدَّتْ ميلَـه إلـى الاسـتطلاعِ، ومـلأَتْ قلبَـهُ حيـاءً لـمْ يفارقْـهُ إلـى الآنَ. كانَ جالسًـا إلـى العَشـاءِ بيـنَ إخوتِـهِ وأبيـهِ، وكانـتْ أمُّـهُ كعادَتِهـا تشـرِفُ علـى حفلـةِ الطّعـامِ، ترشـدُ الخـادمَ، وترشِـدُ أخواتِـهِ اللائـي كُـنَّ يشـارِكْنَ الخـادمَ فـي القيـامِ بمـا يحتـاجُ إليـهِ الطّاعمـونَ. وكانَ يـأكلُ كمـا يـأكلُ النّـاسُ، ولكـنْ لأمْـرٍ مـا خَطَـرَ لـهُ خاطِـرٌ غريـبٌ، مـا الَّـذي يَقَـعُ لـو أَنَّـهُ أَخَـذَ اللّقْمـةَ بكلتـا يديـهِ بـدلَ أنْ يأخذَهـا كعادَتِـهِ بيـدٍ واحـدةٍ؟ ومـا الَّـذي يمنعُـهُ مـنْ هـذهِ التَّجربـةِ؟ لا شـيءَ.

وإذنْ، فقـدْ أَخَـذَ اللّقمـةَ بكلتـا يديـهِ، وغَمَسـها مـنَ الطَّبَـقِ المشـتركِ ثـمَّ رفعَهـا إلـى فمِـهِ. فأمّـا إخوتُـهُ فأغرقـوا فـي الضَّحِـكِ، وأمّـا أمُّـهُ فأَجْهَشَـتْ بالبـكاءِ، وأمّـا أبـوهُ فقـالَ فـي صـوتٍ هـادئٍ حزيـنٍ: مـا هكـذا تؤخَـذُ اللّقمـةُ يـا بُنَـيَّ... وأمّـا هـوَ فلـمْ يعـرفْ كيـفَ قضـى لَيْلَتَـهُ.

مـنْ ذلـكَ الوقـتِ تقيَّـدتْ حركاتُـهُ بشـيءٍ مـنَ الرّزانـةِ والإشـفاقِ والحيـاءِ لا حـدَّ لـهُ، ومـنْ ذلـكَ الوقـتِ عـرفَ لنفسِـهِ إرادةً قويّـةً، ومـنْ ذلـكَ الوقـتِ حـرّمَ علـى نفسِـهِ الحسـاءَ والأرزَّ وكلَّ الألـوانِ الَّتـي تـؤكلُ بالملاعـقِ؛ لأنَّـهُ كانَ يعـرفُ أنّـهُ لا يُحْسِـنُ اصْطِنـاعَ المِلْعَقَـةِ، وكانَ يَكْـرَهُ أنْ يَضْحـكَ إخوتُـهُ، أوْ تبكـيَ أمُّـهُ، أوْ يُعَلِّمَـهُ أبـوهُ فـي هـدوءٍ حزيـنٍ.

هـذهِ الحادثـةُ أعانَتْـهُ علـى أنْ يفهـمَ حقًّـا مـا تحـدّثَ بـهِ الـرّواةُ عـنْ أبـي العـلاءِ مِـنْ أنّـه أَكَلَ ذاتَ يـومٍ دِبْسًـا، فسـقطَ بعضُـهُ علـى صـدرِهِ، وهـوَ لا يـدري فلمّـا خـرجَ إلـى الـدّرسِ قـالَ لـهُ بعـضُ تلاميـذِهِ: يـا سـيّدي أأكلْـتَ دبسًـا؟ فأسـرعَ بيـدِهِ إلـى صـدرِهِ وقـالَ: نَعَـمْ، قاتـلَ اللّـهُ الشّـرَهَ! ثُـمَّ حـرّمَ الدِّبـسَ على نفسـهِ طَـوالَ الحيـاةِ.

وأعانَتْـهُ هـذهِ الحادثـةُ علـى أنْ يفهـمَ طَـوْرًا مـنْ أطـوارِ أبـي العـلاءِ حقَّ الفهـمِ؛ ذلـكَ أنَّ أبـا العـلاءِ كانَ يتسـتَّرُ فـي أكلـهِ حتّـى علـى خادمـهِ؛ فقـدْ كانَ يـأكلُ فـي نَفَـقٍ تحـتَ الأرضِ، وكانَ يأمـرُ خادمَـهُ أنْ يُعـدَّ لـهُ طعامَـهُ فـي هـذا النَّفـقِ ثـمَّ يخـرجُ، ويخلـو هـوَ إلـى طعامِـهِ فيأخـذُ منْـهُ مـا يشـتهي. وقـدْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

زعمـوا أنَّ تلاميـذهُ تذاكـروا مـرَّةً بِطِّيـخَ حلـبٍ وجودَتَـهُ، فتكلَّـفَ أبـو العـلاءِ وأرسـلَ إلـى حلـبٍ مـن اشـترى لهُـمْ منْـهُ شـيئًا فأكلـوا، واحتفـظَ الخـادمُ لسـيّدِهِ بشـيءٍ مـنَ البِطّيـخِ وضعَـهُ فـي النَّفـقِ، وكأنَّـهُ لـمْ يضَعْـهُ فـي المـكانِ الَّـذي تعـوَّدَ أنْ يضـعَ فيـهِ طعـامَ الشَّـيخِ، وكـرِهَ الشَّـيخُ أنْ يسـألَ عـنْ حظِّـهِ مـنَ البِطّيـخِ، فلبـثَ البِطّيـخُ فـي مكانِـهِ حتّـى فسَـدَ، ولـمْ يذقْـهُ الشَّـيخُ.

فَهِـمَ صاحِبُنـا هـذهِ الأطـوارَ مـن حيـاةِ أبـي العـلاء حَـقَّ الفهـمِ؛ لأنَّـهُ رأى نفسَـهُ فيهـا، فكـم كانَ يتمنّـى طفـلًا لـو اسـتطاعَ أنْ يَخْلُـوَ إلـى طعامِـهِ، ولكنَّـهُ لـمْ يجـرُؤْ علـى أنْ يُعلِـنَ إلـى أهلِـهِ هـذهِ الرَّغبـةَ، علـى أنَّـهُ خـلا إلـى بعـضِ الطّعـامِ أحيانًـا كثيـرةً، ذلـكَ مـنْ شـهرِ رمضـانَ ومـنْ أيّـامِ المواسـمِ الحافلـةِ، حيـنَ كانَ أهلُـهُ يتَّخـذونَ ألوانًـا مـنِ الطّعـامِ حلـوةً، ولكنّهـا تـؤكلُ بالملاعـقِ فـكانَ يأبـى أنْ يُصيـبَ منْهـا علـى المائـدةِ، وكانـتْ أمُّـهُ تكـرهُ لـهُ هـذا الحِرْمـانَ، فكانَـتْ تَفْـردُ لـهُ طبقًـا خاصًّـا، وتُخَلِّـي بينَـهُ وبيـنَ حجـرةٍ خاصّـةٍ، يغلقُهـا هُـوَ مِـنْ دونـهِ حتّـى لا يسـتطيعَ أحـدٌ أن يُشـرِفَ عليـهِ وهـوَ يـأكلُ.

علـى أنَّـهُ عندمـا اسـتطاعَ أنْ يملـكَ أمـرَ نفسِـهِ اتَّخـذَ هـذهِ الخطّـةَ لـهُ نظامًـا، بَـدَأَ بِذَلِـكَ حيـنَ سـافرَ إلـى أوروبّـا لأوّلِ مـرةٍ، فتكلَّـفَ التَّعـبَ، وأبـى أنْ يذهـبَ إلـى مائـدةِ السَّـفينةِ، فـكانَ يُحْمَـلُ إليـهِ الطّعـامُ فـي غرفتـهِ، ثـمَّ وصـلَ إلـى فرنسـا فكانـتْ قاعدتُـهُ إذا نـزلَ فـي فنـدقٍ أوْ فـي أسـرةٍ يُحمَـلُ إليـهِ الطّعـامُ فـي غرفتِـهِ دونَ أن يَتكَلَّـفَ الذّهـابَ إلـى المائِـدةِ العامّـةِ، ولـمْ يتـركْ هـذهِ العـادةَ إلّا حيـنَ خَطَـبَ قرينتَـهُ، فأخرجَتْـهُ مـنْ عـاداتٍ كثيـرةٍ قـدْ أَلِفَهـا.

هـذهِ الحادثـةُ أَخَذَتْـهُ بألـوانِ الشّـدّةِ فـي حياتـهِ، جَعَلَتْـهُ مضـربَ المَثـلِ فـي حياتِـهِ، جَعَلَتْـهُ مضـربَ المثـلِ بيـنَ الَّذيـن عرفـوهُ حيـنَ تجـاوزَ حيـاةَ الأُسـرةِ إلـى الحيـاةِ الاجتماعيَّـةِ، كانَ قليـلَ الأكلِ، لا لأنَّـهُ كانَ قليـلَ المَيْـلِ إلـى الطّعـامِ؛ بـلْ لأنَّـهُ كانَ يَخْشـى أنْ يوصـفَ بالشَّـرهِ أوْ أنْ يتغامـزَ عليـهِ إخوتُـهُ، وقـد آلَمَـهُ ذلـكَ أوَّلَ الأمـرِ، ولكنَّـهُ لـمْ يلبـثْ أنْ تعـوّدَهُ حتّـى أصبَـحَ مـن العَسـيرِ عليـهِ أنْ يـأكلَ كمـا يـأكلُ النّـاسُ. كانَ يُسْـرِفُ فـي تصغيـرِ اللقّمـةِ، وكانَ لـهُ عَـمٌّ يغيظُـهُ منْـهُ كلّمـا رآهُ، فيغضـبُ، وينهـرُهُ، ويُلـحُّ عليـهِ فـي تكبيـرِ اللّقمـةِ، فيضحـكُ إخوتُـهُ، وكانَ ذلـكَ سـببًا فـي أنْ كَـرِهَ عَمَّـهُ كُرْهًـا شـديدًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كانَ يستحي أنْ يَشْرَبَ على المائدةِ مخافةَ أنْ يضطَرِبَ القدحُ من يدِهِ، أوْ ألّا يُحْسِنَ تناوُلَهُ حينَ يُقَدَّمُ إليهِ، فكانَ طَعامُهُ جَافًّا ما جَلَسَ عَلَى المائدةِ، حتّى إذا نَهَضَ عنهْا ليغسلَ يَدَيْهِ مِنْ حَنَفيّةٍ كانتْ هُناكَ شَرِبَ منْ مائِها ما شاءَ اللّهُ أنْ يَشْرَبَ، ولمْ يكنْ هذا الماءُ نَقيًّا دائمًا، وَلَمْ يَكُنْ هذا النَّوعُ من ريِّ الظمأِ ملائمًا للصّحةِ؛ فانتهى بِهِ الأمرُ إلى أنْ أصبحَ ممعودًا، وما استطاعَ أحدٌ أنْ يعرفَ لذلكَ سببًا.

ثمَّ حَرَّمَ على نفسِهِ منْ ألوانِ اللَّعبِ والعبثِ كلَّ شيءٍ، إلّا ما لا يكلّفُهُ عناءً، ولا يُعرِّضُهُ للضَّحكِ أوِ الإشفاقِ، فكانَ أحبَّ اللّعبِ إليهِ أنْ يجمعَ طائفةً منَ الحديدِ، وينتحي بها زاويةً منَ البيتِ؛ فيجمَعُها ويُفَرِّقُها، ويَقْرَعُ بعضَها بِبَعضٍ، يُنفقُ في ذلكَ ساعاتٍ، حتّى إذا سئمَهُ وقفَ على إخوتِهِ أوْ أترابِهِ وهمْ يلعبونَ، فشاركَهُم في اللّعبِ بعقلِهِ لا بيدِهِ، وكذلِكَ عرَفَ أكثرَ ألوانِ اللّعبِ دونَ أنْ يأخذَ منْها بحظٍّ، وانصرافُهُ هذا عنِ العبثِ حبَّبَ إليهِ لونًا من ألوانِ اللَّهوِ؛ هوَ الاستماعُ إلى القِصَصِ والأحاديثِ؛ فكانَ أحبُّ شيءٍ إليهِ أنْ يسمعَ إنشادَ الشّاعرِ، أوْ حديثَ الرّجالِ إلى أبيهِ، والنّساءِ إلى أمّهِ، ومنْ هُنا تعلَّمَ حُسْنَ الاستماعِ.

وكانَ أبوهُ وطائفةٌ من أصحابِهِ يحبّونَ القصصَ حُبًّا جَمًّا، فإذا صلَّوا العصرَ اجتمعوا إلى واحدٍ منْهم يتلو عليهِمْ قِصَصَ الغَزَواتِ والفُتوحِ، وأخبارَ عنترةَ والظّاهرِ بيبرسَ، وأخبارَ الأنبياءِ والنُّسَّاكِ والصّالحينَ، وكُتبًا في الوعظِ والسُّننِ، وكانَ صاحبُنا يقعدُ منهم مَزْجَرَ الكلبِ وهمْ عنْهُ غافلونَ، ولكنَّهُ لمْ يكنْ غافلًا عمّا يسمعُ، بلْ لمْ يكنْ غافلًا عمّا تَتركُهُ هذه القصصُ في نفوسِ السّامعينَ من الأثرِ، فإذا غربَتِ الشَّمسُ تفرَّقَ القومُ إلى طعامِهِمْ، حتّى إذا صلَّوُا العِشاءَ اجتمعوا فتحدّثوا طرفًا منَ اللّيلِ، وأقبلَ الشّاعرُ، فأخذَ ينشِدُهُمْ أخبارَ الهلاليّينَ والزّناتيّينَ، وصاحبُنا جالسٌ يسمعُ في أوّلِ اللّيلِ كما كانَ يسمعُ في آخرِ النّهارِ.

والنّساءُ في قرى مصرَ لا يُحْبِبْنَ الصَّمتَ، ولا يَمِلْنَ إليهِ؛ فإذا خلَتْ إحداهُنَّ إلى نفسِها ولمْ تجدْ منْ تتحدَّثُ إليهِ، تحدَّثتْ إلى نفسِها ألوانًا منَ الحديثِ، فغنَّتْ إنْ كانتْ فرحَةً، وعدَّدتْ إنْ كانتْ محزونةً، وكلُّ امرأةٍ في مصرَ محزونةٌ حينَ تريدُ.

وأَحَبُّ شيءٍ إلى نساءِ القُرى إذا خلوْنَ إلى أنفسِهِنَّ أنْ يذكُرْنَ آلامَهُنَّ وموتاهنَّ فيعدِّدنَ،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وكثيـرًا مـا ينتهـي هـذا التّعديـدُ إلـى البـكاءِ حقًّـا، وكانَ صاحبُنـا أسـعدَ النّـاسِ بالاسـتماعِ إلـى أخواتِـهِ وهـنَّ يتغنَّيْـنَ، وأمِّـهُ وهـيَ تعـدِّدُ، وكانَ غنـاءُ أخواتِـهِ يغيظُـهُ ولا يتـرُكُ فـي نفسِـهِ أثـرًا؛ لأنَّـهُ كانَ يجـدُهُ سـخيفًا لا يـدلُّ علـى شـيءٍ، فـي حيـنِ كانَ تعديـدُ أُمِّـهِ يهـزُّهُ هـزًّا عنيفًـا، وكثيـرًا مـا كانَ يُبكيـهِ، وعلـى هـذا النَّحـوِ حفـظَ صاحبُنـا كثيـرًا مـن الأغانـي، وكثيـرًا مـن التَّعديـدِ، وكثيـرًا مـن جِـدِّ القصـصِ وهَزْلـهِ، وحفـظَ شـيئًا آخـرَ لـمْ تكـنْ بينَـهُ وبيـنَ هـذا كلِّـهِ صِلَـةٌ؛ وهـيَ الأورادُ الَّتـي كانَ يتلوهـا جَـدُّهُ الشَّـيخُ الضَّريـرُ إذا أصبـحَ أوْ أمسـى.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ذكرياتٌ مدرسيّةٌ

عبدُ القادرِ المازني

سأقتصر في هذا الفصل على طائفة من الذِّكريات تخيَّرتها من عهدٍ كنت فيه تلميذًا، وعهدٍ تالٍ كنت فيه مُدَرِّسًا.

وسأكتفي بالمعالم الكبرى والخطوط الرَّئيسة الّتي تغني عن التفاصيل، ولست أرمي إلى غاية من هذا التَّصوير سوى ما يمكن أن يستفاد من مقابلة عهد بعهد ومواجهة ماض بحاضر. فمثلًا يمكن بسهولة أن تتصوَّروا حال التَّعليم الابتدائي إذا قلت: إنَّ تلميذًا كان معنا في المدرسة نال الشهادة الابتدائية فعيّن في السنة التالية مدرسًا لنا في السَّنة الرّابعة التي تعد لنيل الشَّهادة الابتدائيَّة، وأبلغ من هذا في الدّلالة أنَّه كان يدرس لنا ما كان يسمّى (الأشياء) وهي عبارة عن معارف عامَّة، وكان تدريسها يومئذ باللُّغة الإنجليزيَّة. وأرسم خطًّا آخر تتمُّ به الصّورة فأقول ما قلت في فصل آخر: إنَّ ناظرنا كان يقول عن نفسه إنَّه جاهل، جاهل، ولكنّه إداريّ!

والآن أنتقل إلى طائفة أخرى من الصّور للمدارس الثانويّة.

كان التَّعليم الثانويّ انتقالًا بأدقّ المعاني، فقد صار كلّ من في المدرسة إنجليزيًّا -الناظر والمدرسون والتعليم- ما عدا اللغة العربية.

وأنا إلى هذه اللّحظة لا أعرف كيف كنت أنجح في الامتحانات؟! وأكبر ظني أنّهم كانوا يترفّقون بنا، ويعطفون علينا، ويتساهلون معنا، ويتركوننا ننجح على سبيل الاستثناء. وأدع غيري، وأقتصر على نفسي فإنّي أعرف بها، فأقول: إنّي ما استطعت قطّ أن أفهم علوم الرّياضة، أو أن أقدر فيها على شيء، ومع ذلك كنت أنتقل من سنة إلى أخرى بلا عائق. وكان الأساتذة يختلفون: فمنهم الفظُّ ومنهم الرقيق. وأذكر أن أحدهم كان يذكّرني درسه بالكتّاب الّذي حفظت فيه القُرآن الكريم فقد كان يملي درس الجغرافيا، فإذا كان الدّرس التّالي طالبنا به محفوظًا عن ظهر قلب، وكان يقف أمامه التّلاميذ يتلون وهو يسمع، ثمّ يضع في كل ركن واحدًا من الحافظين ليمتحن زملاءه. وكنت لا أستطيع أن أحفظ شيئًا عن ظهر قلب فكنت أحبس بعد كل درس في الجغرافيا، حتى كرهتها وكرهت حياتي كلها

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بسببها.

وكان لنا مدرس آخر من أظرف خلق اللّه، وأرقّهم حاشية، وأعفّهم لفظًا، فكان إذا ساءه من أحدنا أمر وأراد أن يوبّخه، قال له: تهجّ كلمة بليد مثلًا أو غير ذلك، كراهة منه لإسناد الوصف إلى التّلميذ مباشرة. ولم يكن تدريس اللّغة العربيّة خيرًا من تدريسها في الوقت الحاضر، ولكنّا كنّا أقوى فيها من تلاميذ هذا الزّمان لا أدري لماذا؟! وكان المفتّش الأوّل للّغة العربيّة المرحوم الشّيخ حمزة فتح اللّه، وكان من أعلم خلق اللّه بها، وبالصّرف على الخصوص، وكان رجلًا طيبًا وقورًا مهيبًا، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرّس إليه فيقبل يده فيدعو له الشّيخ، ولا نستغرب نحن شيئًا من ذلك، بل نراه أمرًا طبيعيًّا جدًّا.

وأعتقد أنّ منظر أساتذتنا وهم يقبّلون يد الشّيخ حمزة كان أهمّ ما غَرس في نفوسنا حب معلّمينا وتوقيرهم، فإنّي إلى هذه الساعة أشعر بحنين إلى هؤلاء المعلّمين، ولا يسعني إلّا إكبارهم حين ألتقي بواحد منهم.

ومن لطائف الشّيخ حمزة أنّه كان يقول ملاحظاته للمعلّم على مسمع منّا، ولكنّه كان لا يكتب في تقريره إلى الوزارة إلّا خيرًا. وقد اتفق لي بعد أن تخرّجت في مدرسة المعلمين وعيّنت مدرّسًا في المدرسة السّعيديَّة الثانويّة أن جاء الشّيخ حمزة للتّفتيش، فاغتنمت هذه الفرصة، وقلت: (يا أستاذ) ما هو الاسم العربي لهذا الدّخان والتبغ؟ فقال انتظرني يا سيّدي حتى أنظر في (الكُنّاشَة)، وأخرج ممّا يلي صدره تحت القفطان كراسة ضخمة لا أدري كيف كانت مختبئة غير بادية، وقلّب فيها ثم أنشد هذا البيت:

كأنما حثحثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذي شت وطباق

ومضى عنّي، وفكرت في كلمة «الطباق» الّتي جاءني بها الشّيخ، فاستحسنتها، ورأيت أنّها على العموم خير من كلمة «تبغ» نُعرّب بها اللّفظ الإنجليزيّ أو الفرنسيّ (توباك أو توباكو).

ومن حوادث الشّيخ حمزة معي أنّي كنت أؤدّي الامتحان الشّفوي في الشّهادة الثانويّة، وكان هو رئيسًا للجان اللّغة العربيّة، فلما جاء دوري، اتفق أنه كان موجودًا، فلما انتهت المطالعة، وجاء دور المحفوظات، وكان لها مقرّر خصوصيّ، سألني ماذا أحفظ؟

وكنت في صباح ذلك اليوم قرأت خطبة قصيرة للنّبيﷺ فعلقت بذهني، وألهمني اللّه أن

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أقول إنّي أحفظ خطبة للنّبيﷺ. ففرح الشّيخ جدًّا، وخلع حذاءه، وصاح (قلي يا شاطر، اللّه يفتح عليك) وسترني اللّه فلم أخطئ، فاكتفى الشّيخ بهذا، وأعفاني من النّحو والصّرف والإعراب.

ولكنّه في مرّة أخرى كاد يضيِّع عليَّ سنة، وكنت طالبًا في مدرسة المعلّمين، وكانت لجنة الامتحان في اللّغة العربيّة برئاسته، فقال أحد إخواني بعد خروجه من الامتحان: إنّ الشّيخ حمزة يفتح كتاب النّحو والصّرف، ويطلب إلى الطّالب أن يتلو الفصل الّذي يقع عليه الاختيار، ولم نكن ندرّس نحوًا ولا صرفًا في المدرسة؛ لأن الدّراسة كانت مقصورة على الأدب فأيقنا الفشل، وجاء دوري فجلست أمامه، وناولني كتاب «مقدّمة ابن خلدون» فقرأت، ثمّ سألني عن العدوان، والفعلين عدا، واعتدى وانتقلنا للماضي المثنّى (واعتدِيا) للأمر، فسألني لماذا كان الماضي بالفتح والأمر بالكسر فلم أعرف لهذا سببًا، وقلت: إنّه لا سبب هناك سوى أنّ العرب نطقوا بهما هكذا، فدهش لهذا الجواب وقال: (ولكنّ لهذا سببًا)، قلت: (إنّ اللّغة العربيّة سبقت النّحو والصّرف، وكلّ هذه القواعد موضوعة بعدها، وما دمت أنطق كما كان العرب يفعلون فإنّ هذا يكفي ولا داعي للبحث عن سبب مختلق). فغضب، وظهر هذا على وجهه فلم أبال بغضبه، وحدّثت نفسي أنّه خير لي وأكرم أن أسقط بخناقة من أن تكون علّة سقوطي الجهل، وأصررت على رأيي، وكاد يحدث ما لا يحمد لولا أنّ المرحوم الشّيخ شاويش -وكان عضوًا في اللجنة- تدارك الأمر، فقد نظر في ساعته ثمّ التفت إلى الشيخ حمزة، وقال (العصر وجب يا مولانا). فنهض الشّيخ وهو يقول (أي نعم) وذهب للصّلاة، ونسيني، فكان في هذا نجاتي، وقد حفظت هذا الجميل للشّيخ شاويش، وكانت هذه الحادثة بداية علاقتي به.

ولم تكن الموادّ كثيرة أو طويلة في مدرسة المعلّمين، ويكفي أن أقول: إنه كانت لنا في الأسبوع ثماني ساعات لا نتلقّى فيها أيّ درس، فترك هذا التّخفيف وقتًا كافيًا للمطالعة الخاصة.. وكان أساتذتنا وناظرنا يشجعوننا عليها بكل وسيلة، ولا يفوّتهم مع التّشجيع والحثّ أن يوجّهونا، وينظّموا لنا الأمر، وأحسب أنّ هذا نفعنا جدًّا.

وقد صرت معلّمًا بعد ذلك، وظللت أشتغل بالتّعليم عشر سنين، خمسًا منها في الوزارة وخمسًا في المدارس الحرّة، وفي هذه السّنوات العشر لم أحتج أن أعاقب تلميذًا أو أوبِّخه

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أو أقول له كلمة نابية. ولم يقصر التّلاميذ في محاولة المعاكسة، ولكنّي كنت حديث عهد بالتّلمذة وبشقاوة التّلاميذ، فكنت أعرف كيف أقمع هذه الرّغبة الطبيعيّة في الشقاوة، وكانت طريقتي أن أتجاوز عن الذي لا ضير منه، فلا أشغل به نفسي والتلّاميذ، مثال ذلك: أن يحتاج التّلميذ إلى قلم أو نشّافة فيطلبها من جاره، ويكلّمه في ذلك، فلا أعدّ هذا الكلام من الّذي لا يباح، ولا أقيم ضجّة من أجله. وقد حدث يومًا وأنا مدرّس في المدرسة الخديويّة أن دخلت غرفة الصّفّ فألفيت على مكتبي كلّ أدوات الرياضة مرصوصة على نحو لا شكّ أنّه متعمد، وكان تلاميذي لا يجهلون كرهي للرّياضة، وكنت أنا لا أكتمهم أنّي أعدّ نفسي جاهلًا بها، وكان غرضهم من رصِّ هذه الأدوات أن يعابثوني عسى أن أثير الضّجّة الّتي يشتهونها، ولا يفوزون منّي بها، ولكنّي لم أفعل، بل اكتفيت بأن دعوت الفرّاش فحمل هذه الأدوات، ووضعها في مكانها، ثمّ بدأت الدّرس. واتّفق يومًا آخر أن دخلت الفصل فإذا رائحة كريهة لا تطاق، وكان الوقت صيفًا، والجوّ حارًّا جدًّا، فضاعف الحرّ شعوري بالتّنغيص من هذه الرّائحة الثّقيلة. وأدركت أنّها هي المادّة الّتي كنّا نضعها ونحن تلاميذ في الدّواة مع الحبر، فتكون لها هذه الرّائحة المزعجة. فقلت لنفسي: إنهم ثلاثون أو أربعون وأنا واحد، وإذا كانت الرّائحة الخبيثة تغثي نفسي فإنها تغثي نفوسهم معي أيضًا، فحالهم ليس خيرًا من حالي، والإحساس المتعب الذي أعانيه ليس قاصرًا عليَّ، ولست منفردًا به، وأنّهم الأغبياء؛ لأنّهم أشركوا أنفسهم معي وقد أرادوا أن يفردوني بهذه المحنة، والفوز في هذه الحالة خليق أن يكون لمن هو أقدر على الصّبر والاحتمال، فتجاهلت الأمر، وصرت أغلق النّوافذ واحدة بعد الأخرى؛ لأزيد شعورهم بالضّيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك، وقد كان. تصبَّرت وتشدَّدت، ودعوت اللّه في سري أن يقويني على الاحتمال، ومضيت في الدّرس بنشاط وهمّة لأشغل نفسي عمّا أعاني من كرب هذه الرّائحة الكريهة، وكنت أرى في وجوههم في أن يستأذنوا لفتح النّوافذ عسى أن تخفّ الرّائحة، ويلطف وقعها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نصوصُ الرَّأي

المَقالاتُ

المقالةُ

المقالـة هـي قطعـة نثريـة ذات طـول معتـدل، يتنـاول فيهـا الكاتـب بعـض القضايـا الخاصـة أو العامـة مـن وجهـة نظـره الخاصـة، ولذلـك تصنّـف المقالـة علـى أنهـا مـن نصـوصُ الـرّأي؛ لأنهـا فـي الغالـب تعبّـر عـن رأي كاتبهـا فـي الموضـوع الّـذي يتناولـه بالكتابـة.

وعلـى الرغـم مـن أنّ المقالـة نـوع حديـث مـن الكتابـة، إلا أن لهـا بـذورًا موغلـة فـي القـدم فـي الآداب القديمـة؛ إذ يمكـن أن نلتمـس بـذور هـذا الفـن فـي الأدب الصينـي القديـم فـي أقـوال الحكيـم (كونفوشـيوس)، وفـي الأدب اليونانـي فـي كتابـات (سـقراط) و(أفلاطـون) و(أرسـطو).

أمـا فـي الأدب العربـي القديـم فقـد ظهـرت بـذور المقالـة فـي الأدب العربـي منـذ القـرن الثانـي للهجـرة فـي الرسـائل الأدبيـة ومـا تحويـه مـن موضوعـات مثـل الإخوانيـات ومـا تتضمنـه مـن مناظـرات ومسـامرات وموضوعـات أخـرى تفـرّد بهـا الشـعر كالغـزل والمديـح والهجـاء والفخـر والوصـف رغـم الأسـلوب الإنشـائي والصنعـة اللفظيـة. وتعتبـر رسـالة «صفـة الإمـام العـادل» للحسـن البصـري التـي كتبهـا إلـى الخليفـة عمـر بـن عبـد العزيـز بطلـب منـه واصفًـا فيهـا الإمـام (الخليفـة) العـادل مثـلًا جيـدًا علـى المقالـة الأخلاقيـة الوعظيـة.

يقول الحسن البصري:

«اعْلَـمْ يـا أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِيـنَ أَنَّ اللّـهَ جَعَـلَ الإِمَـامَ الْعَـادِلَ قِـوّامَ كُلِّ مَائِـلٍ، وَقَصْـدَ كُلِّ جَائِـرٍ، وَصَـلاحَ كُلِّ فَاسِـدٍ، وَقُـوَّةَ كُلِّ ضَعِيـف، وَنَصَفَـةَ كُلِّ مَظْلُـوم، وَمَفْـزَعَ كُلِّ مَلْهُـوف. وَالإِمَـامُ الْعَادِل–يَـا أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِيـنَ– كَالرَّاعِـي الشَّـفِيقِ عَلَـى إِبِلِـهِ، الرَّفِيـقِ بِهَـا الَّـذِي يَرْتَـادُ لَهَـا أَطْيَـبَ الْمَرْعَـى، وَيَذُودُهَـا عَـنْ مَرَاتِـعِ الْهَلَكَـةِ، وَيَحْمِيهَـا عَـنِ السِّـبَاعِ، وَيُكِنُّهَـا عَـنْ أَذَى الحَـرَّ وَالْقَـر».

وتعتبـر (رسـالة عبـد الحميـد الكاتـب) إلـى الكتّـاب التـي تضـع قواعـد للكتابـة الديوانيـة ولأخـلاق الكاتـب قريبـة الشـبه بالمقالـة النقديـة الحديثـة. ورسـالة (سـهل بـن هـارون) إلـى بنـي عمـه فـي مـدح البخـل وذم الإسـراف مثـال علـى المقالـة الفكاهيـة. ورسـالة (الصحابـة) لابـن المقفـع مقالـة فـي سياسـة الدولـة وإدارتهـا. ورسـائل (الجاحـظ) وكتبـه نمـوذج حـي علـى المقالـة فـي الأدب القديـم. ورسـائل (أبـي حيـان التوحيـدي) وفصـول مقابسـاته، وكتابـه (الإمتـاع والمؤانسـة) نمـوذج

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

للمقالات الفلسفية التأملية والهجائية.

يقول أبو حيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة في حوار بينه وبين الوزير بن سعدان حول الوزير الصاحب بن عباد وما يُقال في ذمه: «إنّ الرَّجُلَ كَثيرُ المحْفوظِ، حاضِرُ الجَوابِ، فَصيحُ اللسانِ. . . إنّهُ يَمْدَحُ نَفسَه بشِعْرٍ ثُمّ يُعْطيه لمَنْ يُلْقيه كأنَما هُوَ شِعْرٌ قِيلَ فِيهِ مِنْ سِواه، فَهُوَ مُحِبٌّ للثَّناءِ لدَرَجَةِ الإسْراف، وهُوَ مَزيجٌ من عَقْلٍ وحُمْق».

كل هذه الأمثلة محاولات يمكن أن تدرج تحت أدب المقالة.

أمّا المقالة في العصر الحديث فقد ارتبطت بظهور الصحافة، ونشأت في حضنها، وقد ذكر محمود نجم للمقالة أربعة أطوار، هي:

الطور الأول: يضم كُتَّاب الصحف الرسمية، مثل رفاعة رافع الطهطاوي، وميخائيل عبد السيد، وعبد اللّه أبو السعود، ومحمد أنسي، وتمتدّ حتّى الثورة العرابية. وقد نشروا مقالاتهم في «الوقائع المصرية» و«وادي النيل» و«الوطن» و«روضة الأخبار» و«مرآة الشرق»، وتناولوا المواضيع السياسية، وتميز أسلوبهم بكثرة استخدام المحسنات البديعية والزخرف اللفظي.

الطور الثاني: تأثر بنشأة الحزب الوطني الأول، وبروح الثورة الّتي سبقت الحركة العُرابية، وبالأدباء السوريين الذين استقروا في مصر، ولعبوا دورًا كبيرًا في تطوير المقالة. من أبرز كُتَّاب هذا الطور: أديب إسحق، وسليم النقاش، وسعيد البستاني، وعبد اللّه نديم، ومحمد عبده، وإبراهيم المويلحي، ومحمد عثمان جلال، وعبد الرحمن الكواكبي، وبشارة تقلا. ومن أهم الصحف الّتي كتبوا فيها نذكر «الأهرام» و«مصر» و«الفلاح» و«الحقوق»، وقد تناولت مقالاتهم مواضيع اجتماعية، وقد تحللت من الصنعة اللفظية.

الطور الثالث: ظهرت في هذا الطور مدرسة صحفية حديثة، نشأت في عهد الاحتلال الانكليزي لمصر، من أبرز روادها: علي يوسف، ومصطفى كامل، وعبد العزيز جاويش، وولي الدين يكن، وسليم سركيس، ومحمد رشيد رضا، وخليل مطران، وأحمد لطفي السيد، كما ظهرت صحف ناطقة باسم أحزاب سياسية، فكان الزعيم مصطفى كامل الناطق باسم الحزب الوطني ينشر مقالاته في جريدة «اللواء»، وكان أحمد لطفي السيد يمثل حزب الأمة، وينشر مقالاته السياسية والفكرية في جريدة «الجريدة».

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الطور الرابع: المدرسة الحديثة الّتي تبدأ بالحرب العالمية الأولى وبأحداث ثورة 1919 المصرية، وقد ظهرت في هذه الفترة صحف تركت أثرها في كتابة المقالة مثل جريدة «السفور» لعبد الحميد حمدي، و«الاستقلال» لمحمود عزمي، وقد شارك في تحريرها طه حسين، وجريدة «السياسة» لمحمد حسين هيكل، وكانت ناطقة باسم حزب الأحرار الدستوريين، وجريدة «البلاغ» لعبد القادر حمزة، وجريدة «الأسبوع» لإبراهيم عبد القادر المازني، وقد تناولت المقالة في هذا الطور مواضيع سياسية، وتميز أسلوبها بالوضوح والدقة.

وواضح أنّ هذه الأطوار تركّز على تطور المقالة في مصر، وقد أشار محمود نجم نفسه إلى أنّ المقالة الصحفية في لبنان كانت أسرع تطورًا من المقالة في مصر.

ومنذ ذلك الوقت قطعت المقالة، على اختلاف أنواعها، شوطًا كبيرًا، فصار لكل بلد كُتَّابه، وتنوّعت موضوعات المقالة، وقضاياها، وتطورت أساليبها، وصارت المقالة من أكثر أشكال الكتابة شيوعًا وانتشارًا.

ولا شكّ أنّ لكتابة المقالة أصولًا يلتزم بها الكُتّاب، منها: تحرّي الدقة في نقل المعلومات، والموضوعية في عرض وجهات النظر، والصدق والعدالة، وعدم التحيّز، واللغة السليمة المشرقة الواضحة.

كما أنّ المقالة قد تتنوّع بحسب الغرض من كتابتها، فالمقالة الإقناعية ستختلف بالتأكيد عن مقالة سردية يحكي فيها الكاتب عن موقف مرّ به ليشير، بعد ذلك، إلى أمر يود أن يلفت نظر القارئ إليه؛ ففي الأولى سيستخدم الكاتب الأدلة والحجج لدعم وجهة نظره التي يود أن يقنع الكاتب بها، أما في الثانية فسيستخدم البناء القصصي، وهكذا.

وعلى الرغم من التنوّع اللانهائي لمضامين المقالات وطرائق عرضها، إلا أنّ الأصالة تعدّ شرطًا أساسيًّا من شروط المقالة الناجحة، ونعني بالأصالة أن تعكس المقالة روح كاتبها، وفكره، فهي ليست حشدًا من المعلومات، وليست نقلًا حرفيًّا للوقائع، بل هي وجهة نظر خاصة، تستحق أن تُقرأ، وقد نالت هذا الاستحقاق من مصداقية كاتبها، ونزاهته، وثقافته.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

العتابُ صابونُ القلوبِ!

ميخائيل نعيمة

هـذا مَثَـلٌ شـائعٌ تتناقلُـهُ الألسـنُ مـنْ أقـدمِ الأزمـانِ، وهـوَ كغيـرِهِ مـنَ الأمثـالِ يعبّـرُ تعبيـرًا جميـلًا عـنْ حكمـةٍ عمليَّـةٍ اكتسـبَتْها البشـريَّةُ بالاختبـارِ الطَّويـلِ علـى مـدى الأجيـالِ، والحكمـةُ فيـهِ أنَّ اثنيـنِ تنافـرَ قلباهُمـا لسـببٍ مـنَ الأسـبابِ، إذا هُمـا اجتمعـا فيمـا بعـدُ، وتبـادلا وجهـاتِ النَّظـرِ فـي الخـلافِ الَّـذي بينَهمـا، توصّـلا فـي النِّهايـةِ إلـى التّفاهـمِ والتّقـاربِ. فكأنَّهمـا بالعتـابِ قـدْ غَسـلا مـا علـقِ فـي قلـبِ كلٍّ منهُمـا ضـدَّ الآخَـرِ مـنْ أدرانٍ. فـكانَ العتـابُ لقلبيهمـا مـا يكونُـهُ الصّابـونُ عـادةً للقطعـةِ القـذرةِ، واليـدِ الوَسِـخَةِ، والجـرحِ القائـحِ، والمنديـلِ المبلّـلِ بالعـرقِ.

والعتـابُ لكـيْ يكـونَ بحـقٍّ صابـونَ القلـوبِ، لا بـدَّ مـنْ أنْ يتبطَّـنَ عـن نيّـةٍ صادقـةٍ فـي الوصـولِ إلـى تفاهـمٍ وتقـاربٍ، وإلّا كانَ بـارودًا لا صابونًـا. فمـا أكثـرَ مـا يأتـي العتـابُ توسـيعًا للخَـرْقِ وزيـادةَ بِلّـةٍ فـي الطّيـنِ! وإذا النّفـورُ البسـيطُ ينقلـبُ عـداوةً ضاريـةً، وإذا الشّـقّةُ الضّيّقـةُ بيـنَ قلبيـنِ متنافريـنِ تغـدو هاويـةً سـحيقةً يتعـذَّرُ مـدُّ جسـرٍ فوقَهـا. وهكـذا، فقولُهُـم إنَّ «العتـابَ صابـونُ القلـوبِ» قـولٌ يتضمَّـنُ شـرطًا بـلْ شـروطًا، فـلا يجـوزُ أنْ يجـريَ علـى إطلاقِـهِ، ولكنَّـهُ يسـتقيمُ معنـاهُ علـى الإطـلاقِ إذا نحـنُ فهِمْنـا بالعتـابِ محاسـبةً يُجريهـا اثنـانِ برغبـةٍ صادقـةٍ، ونيَّـةٍ طاهـرةٍ؛ لتصفيـةِ مـا بينَهمـا مـن حسـابٍ. ثـمَّ إذا نحـنُ توسَّـعنا فـي فهمِـهِ فجعلنـاهُ كذلـكَ محاسـبةً بيـنَ الإنسـانِ ونفسِـهِ، مثلمـا هـوَ محاسـبةٌ بيـنَ إنسـانينِ أوْ جماعتيـنِ مـن النّـاسِ.

وكيفمـا كانَ الأمـرُ فالَّـذي يهمُّنـي مـنَ المثـلِ هـوَ اعترافُـهُ العلنـيُّ بـأنَّ القلـوبَ فـي حاجـةٍ إلـى «صابـونٍ». ومعنـى ذلـكَ أنَّهـا عُرضَـةٌ للأقـذارِ علـى غـرارِ مـا هـيَ الوجـوهُ والـرُّؤوسُ والأيـدي والأرجـلُ وباقـي ظاهـرِ البـدنِ، وعلـى غـرارِ مـا هـيَ الثِّيـابُ الَّتـي نرتديهـا، والمناديـلُ الَّتـي نمسـحُ بهـا عَرَقَنـا، وننظِّـفُ أنوفَنـا، والأدواتُ الَّتـي نستعمِلُهـا للطَّهـوِ والأكلِ والشُّـربِ، وغيرُهـا وغيرُهـا مـنَ الأشـياءِ الَّتـي نمـلأُ بهـا مساكنَنـا والَّتـي إذا لـمْ نتداركْهـا مـنْ حيـنٍ إلـى حيـنٍ بالمـاءِ والصّابـونِ، أوْ بالخِرقَـةِ والمكنسَـةِ، ركبَتْنـا الآفـاتُ والحشـراتُ، وفاحَـتْ منّـا، ومـنْ مسـاكنِنا روائـحُ النَّتـنِ والعفَـنِ.

وإنّـهُ لفـي مُنتهـى الغرابـةِ حقًّـا أنْ تـرى النّـاسَ – المتمدّنيـنَ منْهُـمْ علـى الأخـصِّ– يتهالَكـونَ فـي

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تنظيفِ أبدانِهِم وملابسِهِم ومساكنِهِم، ويحرِصونَ أشدَّ الحرصِ على أن يكونَ كلُّ ما يأكلونَ ويشربونَ خاليًا من الغِشِّ والوسخِ، في حينِ لا يأبهونَ بالقواذيرِ الَّتي في قلوبِهِمْ. فكأنَّ قلوبَهم ليستْ منهُم، وكأنَّ ما فيها من قذارةٍ لا يتَّصلُ بهمْ من قريبٍ أوْ مِنْ بعيدٍ. فواحدُهُم يُصعَقُ خِزيًا ويتمنّى لو تنشَقُّ الأرضُ وتبتلعُهُ إذا أنتَ أبصرْتَ قملةً ترعى في رأسِهِ، أوْ بقّةً تدرجُ على وسادَتِهِ، أوْ شعرةً في فنجانِ قهوةٍ يقدِّمهُ لَكَ، أوْ سوادًا تحتَ ظفرِهِ، ولكنَّهُ لا يُبالي على الإطلاقِ بالثَّعابينِ والعقاربِ والدّيدانِ يُرَبّيها في قلبِهِ فتنهشُهُ نهشًا، ولا بالجِيَفِ المكدَّسةِ في أفكارِهِ، ولا بالعفَنِ تحملُهُ قطراتُ دَمِهِ إلى قلبِهِ، ومنْ هناكَ توزِّعُهُ في كلِّ ناحيةٍ من نواحي جسمِهِ.

ويبالغُ بعضُهُمْ في النّظافةِ والأناقةِ، فيستحِمُّ أكثرَ منْ مرّةٍ في النّهارِ، ولا يطيقُ ذرّةَ غبارٍ على ثوبِهِ أوْ حذائِهِ، ولا يهنأُ لهُ نومٌ إلّا بينَ ملاءتينِ طهّرتْهُما الصّابونةُ والشّمسُ والهواءُ، أمّا أنّه يسيرُ بينَ النّاسِ وفي قلبِهِ مزابلُ، وفي فكرِهِ أكداسٌ منَ الغبارِ، وأمّا أنَّه يأوي إلى فراشِهِ النَّظيفِ بروحٍ تلبَّدَ فيها الوسخُ فذلكَ لا يقلقُهُ في النّهارِ، ولا يزعجُهُ في اللّيلِ.

ويمرضُ أحدُهمْ فيبادرُ إلى فحصِ دمِهِ؛ ليعرفَ إذا كانَ ملوّثًا بجرثومَةٍ منَ الجراثيمِ الَّتي تُسبِّبُ طائفةً منَ الأمراضِ الفتّاكةِ كالتَّيفوئيدِ، والملاريا، والسّلِ، وفقرِ الدّمِ، وغيرِها، حتّى إذا عرفَ نوعَ الجرثومةِ عالجَها بالدَّواءِ الَّذي يظنُّ أنَّهُ يقضي عليها، فالجراثيمُ في الدَّمِ هيَ أوساخٌ لا بدَّ منَ القضاءِ عليها إذا نَحْنُ شئْنا أنْ يبقى الجسمُ سليمًا، وإذن فالدَّمُ النّقيُّ هوَ شرطٌ أساسيٌّ منْ شروطِ العافيةِ وسلامةِ البدنِ، ولكنَّ الطِّبَّ الَّذي أدركَ هذهِ الحقيقةَ ما أدركَ بعدُ حقيقةً أهمَّ منْها بكثيرٍ، وهيَ أنَّ الدَّمَ قابلٌ للتّلوثِ بجراثيمَ أشدَّ هولًا وفتكًا منَ الجراثيمِ الَّتي تنقّفُ منْها الأمراضُ، وهذهِ الجراثيمُ لا تُبصَرُ (بالمكروسكوب)، ولا تُستطاعُ معالجتُها بأيٍّ منَ العقاقيرِ.

ما مِنْ نيَّةٍ ننويها، أوْ شهوةٍ نشتهيها، إلّا يتلقّاها الدَّمُ في الحالِ، فيمشي بها إلى القلبِ الَّذي يعودُ فيوزِّعُها على سائرِ الجسدِ معَ كلِّ نبضةٍ منْ نبضاتِهِ، وهذهِ النّياتُ والأفكارُ والشّهواتُ منْ شأنِها أنْ تتركَ رواسبَ في القلبِ، بعضُها يتحوّلُ قذارةً تتزاوجُ، وتتوالدُ فيها الجراثيمُ القتّالةُ، وبعضُها يغدو للدَّمِ بمثابةِ النّورِ للعينِ، والأريجِ للأنفِ، والشّهدِ للّسانِ.

إنَّ دمًا تشحنُهُ مكرًا ونِفاقًا وبغْضًا وجَشعًا وحَسدًا وثأرًا وما إليها، يستحيلُ أنْ يكونَ دمًا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نقيًّا، والقلبُ الَّذي ينبضُ بهذا الدَّمِ قلبٌ قذرٌ منْ غيرِ شكٍّ، وذلكَ القلبُ ما لمْ يُغْسلْ بصابونِ الصّدقِ والاستقامةِ والمحبّةِ والرِّضا والتّسامحِ والغفرانِ كانَ بؤرةَ فسادٍ للجسدِ الَّذي يحملُهُ، وما أكثرَ ما تأتينا الأمراضُ منْ دمٍ أفسدْناهُ بنيّاتِنا وأفكارِنا وشهواتِنا الفاسدةِ! فأحرِ بنا، قبلَ أنْ نفحصَ الدَّمَ لنعرفَ ما فيهِ منْ جراثيمَ خبيثةٍ! أنْ نتفقّدَ القلبَ؛ لنعرفَ بماذا شحنّاهُ منْ خبيثِ الميولِ والنيّاتِ والأفكارِ والشَّهواتِ. ويقيني أنَّ النّاسَ لو حرَصوا على نظافةِ قلوبِهِمْ حرصَهُم على نظافةِ أبدانِهِم لأصبحوا في غِنًى عنِ الطِّبِّ والأطباءِ، وعنِ العقاقيرِ والصّيدليّاتِ.

أمَا قيلَ منْ قديمٍ إنَّ «السِّرَّ في السُّكانِ لا في المكانِ»؟ فما بالُنا نهتمُّ بالمكانِ وتجميلِهِ وتنظيفِهِ، أمّا السُّكانُ فنهملهُمْ كأنَّهم ليسوا من الأهميّةِ على شيءٍ؟ ما بالُنا نُغالي في العنايَةِ بالبدنِ الَّذي ليسَ أكثرَ منْ مسكنٍ، ولا نُلقي بالًا إلى سُكّانِهِ؟ وهلْ سكّانُ البدنِ غيرُ الأحاسيسِ والمشاعرِ والميولِ والأحلامِ والأفكارِ والشّهواتِ الَّتي لا تنفكُّ تتوالدُ في كلِّ لحظةٍ منْ وجودِنا؟ وهذهِ بعضُها نقيٌّ وطاهرٌ وجميلٌ كالمحبَّةِ والدّعةِ ونكرانِ الذّاتِ والصّدقِ والرّأفةِ والغفرانِ. فعلينا أنْ نصونَهُ نقيًّا طاهرًا وجميلًا إذا نحنُ شِئْنا أنْ نحيا حياةً نقيَّةً وطاهرةً وجميلةً. وبعضُها قذِرٌ وبشعٌ، كالبُغْضِ والكبرياءِ والرِّياءِ والقسوةِ والحقدِ، فعلينا أنْ نغسلَ قلوبَنا منهُ.

ألا ليتَنا نختَتِمُ كلَّ يومٍ من أيامِ حياتِنا بمحاسبةٍ دقيقةٍ نجريها معَ أنفسِنا، فلا نستسلمُ للنّومِ إلّا بعدَ أنْ نغسلَ قلوبَنا- قبلَ وجوهِنا- منْ كلِّ ما تجمّعَ فيها منْ أقذارٍ في خلالِ النّهارِ: فلا تغمضُ أجفانُنا على كُرْهٍ لأيّةِ إنسانٍ سواءٌ أكانَ مبعثُ ذلكَ الكرهِ اختلافًا في مذهبٍ دينيٍّ أمْ سياسيٍّ، أمْ في الذّوقِ أمْ في المصلحةِ، ولا على حسدٍ أوْ ضغينةٍ لأيّةِ إنسانٍ، فالكُرْهُ والحسدُ والضَّغينةُ - مهما يكنْ مبعثُها - أوساخٌ لا يليقُ بالقلبِ المؤمنِ بحقِّهِ في الحياةِ أنْ يُغذِّيَها بدمِهِ، لأنَّها في النِّهايةِ تُفسدُهُ.

ألا ليتَنا نختَتِمُ كلَّ عامٍ منْ أعوامِ عمرِنا بمحاسبةٍ شاملَةٍ عنْ كلِّ ما ربحناهُ أوْ خسِرناهُ منْ محبَّةٍ وصداقةٍ وإيمانٍ ومعرفةٍ ومناعةٍ روحيّةٍ في خلالِ ذلكَ العامِ، حتّى إذا ما أطلَّ علينا العامُ الجديدُ استطَعْنا أنْ نستقبلَهُ بقلوبٍ مغسولةٍ منْ أدرانِ الضّغائنِ والمخاوفِ والمخازي، ثمَّ استطعْنا أنْ نقولَ لسائرِ الأكوانِ وللنّاسِ أجمعينَ: كلَّ عامٍ وأنتمْ بخيرٍ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الدُّولُ بينَ الابتكارِ أو الاندثارِ *

صاحبُ السّموِّ الشّيخُ محمدُ بنُ راشدٍ آلِ مكتومٍ

في الكتابِ الأخيرِ للتّنافسيّةِ الدّوليّةِ الصّادرِ عنِ المعهدِ الدّوليِّ للتّنميةِ الإداريّةِ بسويسرا، تمَّ تصنيفُ حكومةِ الإماراتِ الحكومةَ الأكثرَ كفاءةً عالميًّا، ولا أُذيعُ سِرًّا عندما أقولُ: إنَّ السّببَ الرّئيسَ لتفّوقِ أدائِنا الحكوميِّ هوَ أنّنا خلالَ سنواتٍ طويلةٍ لمْ نتعاملْ معَ مؤسّساتِنا الحكوميّةِ على أنّها جهاتٌ حكوميَّةٌ، بلْ على أنّها مؤسَّساتٌ خاصّةٌ تُنافسُ القطاعَ الخاصَّ، وتعملُ بعقليَّتِهِ نفسِها، وتتبنّى أفضلَ ممارساتِهِ، وتقاسُ أعمالُها وخِدْماتُها بمعاييرِهِ نفسِها، بلْ ذهبْنا أبعدَ منْ ذلكَ، وبدأْنا نقيسُ سعادةَ متعامِلينا، ونُصنِّفُ مراكزَ خدْماتِنا وفقَ أنظمةِ النّجومِ الفُندقيّةِ المُتعارفِ عليها عالميًّا، وأثبتتِ التّجربةُ نجاحَها، حيثُ ارتفعَ أداءُ مؤسسّاتِنا، وحقَّقْنا كثيرًا منْ أهدافِنا، ولعلّنا نناقشُ ذلكَ بشيءٍ منَ التّوسُّعِ في القِمّةِ الحكوميّةِ القادمةِ.

ولكنَّ شركاتِ القطاعِ الخاصِّ تمرُّ بدوراتٍ في أعمالِها؛ فهيَ تبدأُ صغيرةً، ثمَّ تنمو، وتنطلقُ وتكبُرُ، ثمَّ يأتي مَنْ يُنافِسُها ويُطلقُ منتجاتٍ أفضلَ منْ منتجاتِها، فيتراجعُ نموُّها، ويتضاءلُ حجمُها، وتقلُّ أهميّتُها، ويضعفُ تأثيرُها، وقدْ تخرجُ منْ دائرةِ المنافسةِ، وهذا ما تُثبتُهُ كثيرٌ منَ الدّراساتِ، فأكبرُ 500 شركةٍ عالميًّا في عامِ 1955 لمْ يبقَ منها اليومَ إلّا 11٪ فقطْ، أمّا الـ89٪ الباقيةُ فقدْ خرَجَتْ تمامًا منْ دورةِ الحياةِ والتّأثيرِ، بل الأكثرُ إدهاشًا في الموضوعِ أنَّ متوسّطَ عُمْرِ الشّركاتِ في تلكَ القائمةِ سابقًا كان 75 عامًا، أمّا اليومُ، وفي عالَمٍ سريعِ التّغيُّرِ والتَّفاعُلِ، فإنّ متوسَّطَ أعمارِ الشَّركاتِ في هذهِ القائمةِ هوَ 15 عامًا فقطْ ؛ لأنَّ المنافسةَ اشتدّتْ، والمنتجاتِ تغيّرتْ، والمجتمعاتِ تطوّرتْ.

والسُّؤالُ هوَ: هلْ يمكِنُ تطبيقُ التّفكيرِ نفسِهِ على الحكوماتِ؟ هلْ تَشيخُ الحكوماتُ والدّولُ وتتأخّرُ معَ مرورِ الزَّمنِ؟ هلْ تبدأُ قويّةً وتكبُرُ، ثمَّ يأتي مَنْ يُزيحُها مِنْ مراكزِها فتتراجَعُ، ويقلُّ نموُّها حتّى تخرجَ منْ دائرةِ المنافَسَةِ؟ لا أعتقدُ أنَّ أحدًا يمكِنُ أنْ يختلفَ معيَ على الإجابةِ: نَعَمْ الحكوماتُ تَشيخُ، وتَشيخُ معَها دُوَلُها وشُعوبُها أيضًا، وتتراجَعُ أهميَّتُها، ويقلُّ تأثيرُها، فتُصبحُ خارجَ دائرةِ المنافسةِ والاعتبارِ، أوْ لِنَقُلْ بعبارةٍ أُخرى خارجَ دائرةِ التّاريخِ.

ولكنْ لِنكُنْ إيجابيّينَ –معَ الاستمرارِ في تطبيقِ نظريّتِنا في التَّعاملِ معَ الحكوماتِ كشركاتٍ–

* جريدة البيان، 04 فبراير 2015.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ولنركِّزْ على الـ11٪ من الشّركاتِ الَّتي بقيَتْ في القائمةِ، ولنسألْ أنفُسَنا كيفَ استطاعَتِ البقاءَ في المنافسةِ؟ وما السِّرُ في طولِ شبابِها وتجدّدِ طاقاتِها؟ نسألُ هذا السُّؤالَ حتّى تَبقى دُولُنا وشُعوبُنا أيضًا ضِمنَ سِباقِ التّنافسِ الدَّوليِّ، أوْ لَنَقُلْ لتَبْقى في سباقِ الحضارةِ الإنسانيّةِ، وضِمْنَ تاريخِ الأممِ والشُّعوبِ الَّتي تُشكِّلُ العالَمَ اليومَ، وتَصيغُ مستقبلَهُ.

لا أشكُّ لحظةً واحدةً في قُدُراتِ عقولِنا البشريَّةِ، فقد خلَقَنا اللّهُ لِعِمارةِ هذهِ الأرضِ، نحنُ خُلفاءُ اللّهِ في أرضِهِ، وركّبَ فينا سُبحانَهُ منَ الذّكاءِ والقدراتِ الذّهنيّةِ والدَّوافعِ النّفسيّةِ ما يجعلُنا صالحينَ ومؤهّلينَ لهذهِ المهمّةِ العظيمةِ، مهمّةٌ تحتاجُ عقولًا متطوِّرةً ومتعلّمةً ومتجدّدةً ومبدعةً ومبتكرةً.

لوْ لمْ يبتكرِ الإنسانُ الزّراعةَ لما قامتْ حضارةٌ، ولوْ لمْ يكتشفْ فوائدَ النّارِ لما تطوّرَتْ تِلكَ الحضارةُ، ولوْ لمْ يبتكرِ العَجَلَةَ أوِ الكهرباءَ أوِ الإضاءَةَ أوِ المحرِّكاتِ أوْ غيرَها لما تقدَّمتِ الإنسانيّةُ، ولوْ لمْ يبتكرِ الإنسانُ (الإنترنتَ) أوِ الهاتفَ الذّكيَّ لما وصلْنا إلى ما نحنُ فيهِ اليومَ. سرُّ تجدُّدِ الحياةِ، وتطوُّرِ الحضارةِ، وتقدُّمِ البشريّةِ هوَ في كلمةٍ واحدةٍ: الابتكارُ! وأستغربُ مِنْ بعضِ الحكوماتِ الَّتي تعتقدُ أنَّها استثناءٌ منْ هذهِ القاعدةِ. الابتكارُ في الحكوماتِ ليسَ ترَفًا فكريًّا، أوْ تحسينًا إداريًّا، أوْ شيئًا دِعائيًّا؛ الابتكارُ في الحكوماتِ هوَ سرُّ بقائِها وتجدُّدِها، وهوَ سِرُّ نَهضةِ شعوبِها وتقدّمِ دولِها.

إذا لمَ تبتكرِ الحكوماتُ في طرائقِ التَّعليمِ مثلًا، وتُعدُّ جيلًا جديدًا لزمانٍ غيرِ زمانِها فحتمًا ستشيخُ تلكَ الحكوماتُ، وحتمًا سَتتأخَّرُ شعوبُها. في دراسةٍ حكوميّةٍ أميركيّةٍ أُجريتْ مُؤخَّرًا تبينَ أنَّ 65٪ من الطّلّابِ في مرحلةِ رياضِ الأطفالِ سيعملونَ في وظائفَ غيرِ موجودةٍ حاليًّا، بلْ سيتمُّ استحداثُها. وفي دراسةٍ لجامعةِ (أكسفورد) تبيّنَ أنَّ 47٪ منَ الوظائفِ الحاليّةِ في جميعِ المجالاتِ الرَّئيسةِ ستَخْتَفي بِسببِ التّقدّمِ التّقنيِّ والتّكنولوجيِّ حيثُ ستحلُّ الأجهزةُ محلَّ البشرِ، وذلكَ خلالَ عَقدٍ منَ الآنَ فقطْ! والسّؤالُ هوَ: كيفَ نُجهّزُ أجيالَنا وأبناءَنا لذلكَ الوقتِ؟ وكيفَ نُعِدُّ دُولَنا للمُنافسةِ ليسَ الآنَ، ولكنْ بعدَ عَقدٍ أوِ اثنينِ منَ اليومِ؟ الإجابةُ تكمُنُ في الابتكارِ، وأنْ نُعلّمَ أجيالَنا مهاراتِ التّفكيرِ الإبداعيِّ ومهاراتِ التّحليلِ والابتكارِ ومهاراتِ التّواصلِ والتّفاعلِ، وإلّا فإنَّنا نُخاطِرُ كحكوماتٍ، بأنْ تتأخّرَ شعوبُنا، وتتأخّرَ نهضتُنا، أوْ بكلمةٍ أخرى أنْ تَشيخَ دُوَلُنا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إذا أردْنا أنْ نكونَ حكوماتٍ مبتكِرةً فلا بُدَّ أنْ نُفكّرَ كشركاتٍ مبتكِرةٍ. وهُنا سؤالٌ لا بُدَّ أنْ نطرحَهُ على أنفسِنا أيضًا: ما هوَ الأهمُّ للحكوماتِ؟ أنْ تستمرَّ في الصَّرفِ بشكلٍ مكثّفٍ على البنيةِ التّحتيّةِ منْ شوارعَ وطرقاتٍ وأنفاقٍ وجسورٍ وغيْرِها؟ أمْ أنْ تهتمَّ بالصّرفِ على البنيةِ التَّحتيّةِ غيرِ المرئيّةِ منْ تغييرٍ في الأنظمةِ، وتطويرٍ في التّعليمِ والمهاراتِ، وبناءٍ للتَّطبيقاتِ، وإجراءِ الأبحاثِ والدّراساتِ، ودعمِ الابتكاراتِ؟

تُخبرنا الدّراساتُ بأنَّ أكبرَ 500 شركةٍ عالميَّةٍ قبلَ 40 عامًّا كانتْ أصولُها المرئيّةُ تمثِّلُ 80٪ من إجمالي الأصولِ، لكنِ اليومَ أصبحَتْ الأصولُ غيرُ المرئيّةِ كالأبحاثِ والدّراساتِ والاختراعاتِ تمثِّلُ أكثرَ منْ 80٪ منْ إجمالي الأصولِ في قائمةِ الشَّركاتِ الـ500 الأولى عالميًّا. وأنا أقولُ: إذا أرادَتِ الحكوماتُ أنْ تبقى في دائرةِ المنافسةِ العالميَّةِ وألاّ تشيخَ فلا بُدَّ أيضًا أنْ تحذوَ حَذوَ تلكَ الشّركاتِ، وأنْ تبدأَ بإعادةِ التّفكيرِ في ميزانيّاتِها وأينَ تصرِفُ أموالَها؛ فتقليدُ القطاعِ الخاصِّ لا يكونُ فقطْ في الخِدْماتِ، بلْ حتّى في طرائقِ صرفِ الميزانيّاتِ وأولويّاتِها.

وليسَ سرًّا أنَّ حكوماتِ أميركا وأوروبا تصرِفُ مجتمعَةً سنويًّا أكثرَ منْ 250 مليارَ دولارٍ منَ الأموالِ الحكوميَّةِ على الأبحاثِ والتّطويرِ؛ لتبقى في مواقعِ الرّيادةِ العالميّةِ، وليسَ خافيًا على أحدٍ أيضًا أنَّ سرَّ تطوُّرِ دولٍ مثلِ سنغافورة وماليزيا وكوريا الجنوبيةِ خلالَ فترةٍ قصيرةٍ هوَ تأجيلُ الصّرفِ على البنيةِ التَّحتيّةِ، وتركيزُها الكبيرُ على تطويرِ التّعليمِ وبناءِ مهاراتِ ومعارفِ شعوبِها، أيْ البنيَةِ غيرِ المرئيَّةِ. بلْ إنَّ دولةً مثلَ بريطانيا تصرِفُ منْ ميزانيّتِها سنويًا على البنيةِ التّحتيّةِ غيرِ المرئيّةِ –كاستحداثِ الأنظمةِ والتَّدريبِ والأبحاثِ والتّطويرِ– أكثرَ ممّا تصرفُهُ على البنيةِ التَّحتيّةِ المرئيّةِ منْ شوارعَ وأنفاقٍ ومبانٍ وغيرِها (124 مليارَ جنيهٍ مقارنةً بـ 93 مليارَ جنيهٍ حسبَ أرقامِ 2009).

عندما تكونُ الحكوماتُ مبتكِرَةً فإنّ بيئةَ الدَّولةِ تكونُ كلُّها مبتكرةً، وعندما تُشجّعُ البيئةُ على الإبداعِ والابتكارِ تنطلِقُ طاقاتُ النّاسِ نحوَ آفاقٍ جديدةٍ، وتتفتَّقُ مواهبُهُمْ، ويصبحُ تحقيقُ أحلامِهِمْ وطموحاتِهِمْ مُمكنًا، وهذا أحدُ أسرارِ نجاحِ الدُّولِ الَّتي تشجِّعُ شعوبَها على الابتكارِ. وفي العالَمِ الَّذي نعيشُ فيهِ اليومَ، والَّذي أصبحَتْ فيهِ حركةُ العقولِ والمواهبِ والمعلوماتِ مفتوحةً كما لمْ يحدثْ في تاريخِ البشريّةِ منْ قبلُ، أصبحَتْ مدنُ العالَمِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

المختلفةُ تتنافسُ لتوفيرِ البيئةِ الأذكى والأكثرِ إبداعًا؛ لاستقطابِ هذهِ المواهبِ والاستفادةِ منْها؛ لبناءِ قوَّتِها وتميُّزِها وزيادةِ تنافُسيَّتِها.

الحكوماتُ المبتكرةُ هيَ حكوماتٌ جاذبةٌ للمواهبِ، فعّالةٌ في الأداءِ، متجدِّدةٌ في الأنظمةِ والسّياساتِ والخدماتِ. الحكوماتُ المبتكرةُ هيَ القاطرةُ الأساسيّةُ لنهضةِ الشُّعوبِ، وتقدّمِ الدّولِ وارتفاعِ شأنِها. الحكوماتُ المبتكرةُ تُطلِقُ طاقاتِ الشّعوبِ، وترفعُ منْ قيمةِ عقلِ الإنسانِ، وتحقّقُ الحكمةَ الرَّبّانيَّةَ في أنْ نكونَ خلفاءَ اللّهِ في أرضهِ.

الابتكارُ هوَ أنْ تكونَ أوْ لا تكونَ: أنا حكومةٌ مبتكرةٌ، إذًا أنا حكومةٌ موجودةٌ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

(الفيس بوك) والعقلُ الجمعيُّ *

د. موزة أحمد راشد العبّار

مـا أكثـرَ الأحاديـثَ والرّوايـاتِ والتّفاعـلاتِ الّتـي تـدورُ حَـوْلَ مواقـعِ التّواصـلِ الاجتماعـيِّ! وخاصّـةً «الفيـس بـوك» بسـببِ تأثيـرِه المباشـرِ فـي الحيـاةِ الاجتماعيّـةِ علـى الصُّعُـدِ جميعِهـا: المحليّـةِ، والإقليميّـةِ والدوليّـةِ.. نتيجـةَ الكثافـةِ البشـريّةِ الّتـي تطـلُّ يوميًّـا، وعلـى مـدارِ السّـاعةِ علـى موقـعِ «الفيـس بـوك» الّـذي تحـوّلَ إلـى أكبـرِ موقـعٍ علـى الشّـبكةِ الدوليّـةِ المعلوماتيّـةِ «الإنترنـت»، بـلْ صـارَ أضخـمَ منصّـةٍ رقْميّـةٍ اجتماعيّـةٍ... ونقـولُ: «اجتماعيّـةٍ»، بسـببِ تمـدّدِ أعـدادِ الباحثيـنَ عـن فـرصٍ للتّواصـلِ الاجتماعـيِّ معَ أقاربَ ومعـارفَ وأصدقـاءَ، ينتشـرونَ علـى سـطحِ الكـرةِ الأرضيّـةِ، ويعيشـونَ فـي القـارّاتِ الخمسِ..وتفصـلُ بينَهـم آلافُ الكيلومتـراتِ، لكنّهـم عبـرَ هـذا الموقـعِ المدهـشِ يتلاقـونَ.. يتحـاورونَ. ويشـاهدُ بعضُهـم بعضًـا علـى نحـوٍ لـم يكـنْ يـدورُ فـي خاطـرِ أحـدٍ. وتشـيرُ التّقاريـرُ المنشـورةُ إلـى أنَّ عـددَ مسـتخدمي «فيـس بـوك» يبلـغُ نحـوَ مـا يقـاربُ ملياري مسـتخدمٍ نشـطٍ، وأنَّ إيـراداتِ هـذا الموقـعِ المثيـرِ للجـدلِ، لا تقـلُّ عـن 2.9 مليـار دولارٍ للعـامِ، يأتـي معظمُهـا مـن الإعلانـاتِ التّجاريّـةِ والدّعائيّـةِ..

لقـدْ أصبـحَ موقـعُ (Facebook) محـطَّ أنظـارِ ملايينِ البشـرِ، إذْ يتيـحُ لهـمْ فـرصَ مشـاهدةِ الصّـورِ، وتعـرّفَ تفاصيـلِ حيـاةِ الآخـرِ، وقـراءةَ الكتـبِ، ومتابعـةَ المواقـعِ الجغرافيّـةِ والخرائـطِ. وهكـذا صـارَ (فيـس بـوك) خـلالَ أعـوامٍ قليلـةٍ تجربـةً اجتماعيّـةً إلكترونيّـةً متكاملـةً، بـلْ صـارَ قاعـدةَ بيانـاتٍ واسـعةً تحفـلُ بالعديـدِ منَ الصّـورِ والسِّـيَرِ الذاتيّـةِ، عـن النّـاسِ مـن جنـوبِ إفريقيـا عبـورًا لأسـتراليا وصـولًا إلـى (كـراكاس) وأعالـي مرتفعـاتِ (كلمنغـارو) فـي تنزانيـا علـى حـدودِ كينيـا..

وهـذا الانتشـارُ اللّافـتُ للنّظـرِ لموقـعِ «الفيـس بـوك»، حوّلَـهُ إلـى جـوازِ سـفرٍ دولـيٍّ عابرٍ للقـارّاتِ، دونَ أدنـى حاجـةٍ للحصـولِ علـى تأشـيراتِ دخـولٍ.. وبموجـبِ هـذا الجـوازِ الافتراضـيِّ أصبـحَ بالإمـكانِ الدّخـولُ إلـى مواقـعَ اجتماعيّـةٍ أخـرى تمكّـنُ التّواصـلَ والتّقـاربَ بيـنَ النّـاسِ.. كلِّ النّـاسِ.!

فـي مقـالٍ مترجـمٍ لـ(بـي جيـه فـوغ) الباحـثِ الاجتماعـيِّ فـي جامعـةِ (سـتانفورد) الأميركيـةِ، أبـانَ: أنّـه يـدرسُ الكيفيّـةَ الّتـي يؤثّـرُ بهـا موقـعُ «الفيـس بـوك» فـي السّـلوكِ الإنسـانيِّ لـدى الأفـرادِ

* جريدة البيان: 4 مايو 2016.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والجماعـاتِ، بغـضِّ النّظـرِ عـن فـوارقِ النّـوعِ أوِ الجنـسِ أوِ الأصـلِ العرقـيِّ.. فتبيّـنَ لـه وكأنّ «الفيس بـوك» صـارَ أشـبهَ بسـفينةِ «تيتانـك»، يصعـدُ إليهـا نصـفُ مليـارِ شـخصٍ.. يتّسـعُ المركـبُ لهـم جميعًـا.

وبصعودِهـم يبـدؤونَ الدّردشـةَ والتّعـارفَ وتبـادلَ الآراءِ والأفكارِ بشـتّى لغـاتِ العالـمِ.. ويضيفُ: فـي مثـلِ هـذا التّجمّـعِ الغوغائـيِّ تتناغـمُ وتتلاقـى وجهـاتُ النّظـرِ فـي العديـدِ مـن القضايـا الكونيّـةِ.. كإصحـاحِ البيئـةِ، ومكافحـةِ القرصنـةِ الدّوليّـةِ، وسـبلِ التّصـدّي للكـوارثِ، ومجابهـةِ جرائـمِ المعلوماتيّـةِ والملكيّـةِ الفكريّـةِ.

وهنـاك حقـوقُ المـرأةِ والنّـوعِ الاجتماعـيِّ.. وهكـذا يتخلّـقُ «عقـلٌ جمعـيٌّ» مـن جـراءِ تفاعـلِ عقـولِ أفـرادٍ ينتمـونَ إلـى جنسـيّاتٍ وثقافـاتٍ مختلفـةٍ، لكنّهـم يعيشـونَ ويتقاسـمونَ همومًـا مشـتركةً.. كالإحسـاسِ بالإحبـاطِ والشّـعورِ بالعدميّـةِ والضّيـاعِ والدّونيّـةِ.. بسـببِ البطالـةِ وتفشّـي أمـراضٍ اجتماعيّـةٍ عـدّةٍ، كالشّـعورِ بالوَحْـدةِ، والاغتـرابِ، وغيـرِه.

لقـدْ أتـاحَ هـذا الموقـعُ فرصًـا لـم تكـنْ معروفـةً، ولا وجـودَ لها إلّا خـلالَ الأعـوامِ العشـرةِ الماضيةِ، وهـي السـنواتُ الّتـي انقضَـتْ علـى إنشـاءِ هـذا الموقـعِ المدهـشِ.. وهنالـك شِـبْهُ إجماعٍ علـى رأيٍ مفـادُهُ: أنَّ (FaceBook) اسـتطاعَ خـلالَ هـذِهِ السّـنواتِ أنْ يسـتحدثَ نسـيجًا اجتماعيًّـا لـم يكـنْ لـه وجـودٌ، بـلْ أعـادَ تشـكيلَ الواقـعِ الاجتماعـيِّ مـن منظـورِ «ديجيتـال».. أيْ رقْمـيٌّ كونـيٌّ.. وذلـك بخلْـقِ رؤيـةٍ جديـدةٍ للصّـورةِ الرّقْميّـةِ.. فلـم تعـدْ ثمّـةَ حاجـةٌ إلـى «تحميـضِ» الفيلـمِ المصـوّرِ، بـلْ صـارَ بالإمـكانِ عبـرَ شـبكةِ (الفيـس بـوك)، تحميـلُ (Loading) أكثـرَ مـن ثلاثـةِ مليـاراتِ صـورةٍ علـى الموقـعِ كلَّ شـهرٍ، يمكـنُ بثُّهـا فـي ثـوانٍ إلـى أيِّ مـكانٍ فـي العالـمِ باسـتخدامِ الهواتـفِ النّقّالـةِ أوِ الهواتـفِ الذكيّـةِ..

لقـدْ أحـدثَ هـذا الموقـعُ ثـورةً فكريّـةً وثقافيّـةً وعلميّـةً، بـلِ اسـتطاعَ تجـاوزَ مراحـلَ مـنَ التّطـوّرِ الاجتماعـيِّ إلـى الأبـدِ عبـرَ طريـقٍ للمراحـلِ الحضاريّـةِ الّتـي كانَ بوسـعِ الإنسـانِ المضـيُّ فـي اتّجاهِهـا.

ولـمْ يعـدِ (الفيـس بـوك) أكبـرَ موقـعٍ لتبـادلِ الصّـورِ علـى شـبكةِ (الإنترنـت) فحسـبْ، بـلْ صـارَ بوسـعِ النّـاسِ التّواصـلُ والتّرابـطُ والتّفاهـمُ معَـهُ بالصّـورةِ.. فلـم تَعُـدْ ثمّـةَ حاجـةٌ للفـردِ للسـفرِ إلـى شـاطئِ (البهامـا) لالتقـاطِ صـورٍ للحظـةِ غـروبِ الشّـمسِ علـى شـاطئِ المحيـطِ.. بـلْ باسـتطاعتِه

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أنْ يـرى بوضـوحٍ كلَّ مرافـقِ (الكاريبـي) السّـياحيّةِ، وكأنّـه كانَ يتجـوّلُ فـي أرجائِهـا قبـلَ سـاعةٍ.

وهكـذا ذهـبَ موقـعُ «الفيـس بـوك» بالنّـاسِ إلـى أبعـدِ مـا كانـوا يحلمـونَ بِـهِ، وصـارَ تجـاوزُ المكانِ والزّمـانِ رهنًـا بالضّغـطِ علـى شاشـةِ «أيِّ هاتـفٍ ذكـيٍّ، إذْ صـارَ «الفيـس بـوك» أكبـرَ موقـعٍ اجتماعيٍّ علـى الشّـبكةِ المعلوماتيّـةِ.. وصـارَ ضروريًّـا البحـثُ عـن تعريـفٍ جديـدٍ للأميّـةِ الحضاريّـةِ، فلـم يعـدِ الإنسـانُ أميًّـا إذا لـم يعـرفِ القـراءةَ والكتابـةَ.. بـلْ صـارَتِ الأميّـةُ الرّقْميّـةُ حالـةً تسـتوجبُ إمحـاءً.

والسّـبيلُ الأمثـلُ أنْ يتـمَّ نشـرُ مراكـزَ لمحـوِ الأميّـةِ الرّقْميّـةِ، لمـن يريـدُ القضـاءَ علـى التّخلّـفِ الحضـاريِّ أوِ التّخلّـفِ الرّقْمـيِّ إذا صـحَّ التّعبيـرُ.. ومـنْ ثَـمَّ ينضـمُّ إلـى مجتمـعِ المعرفـةِ.

لقـدِ اسـتطاعَ هـذا الموقـعُ أنْ يغيّـرَ فـي السّـلوكِ المجتمعـيِّ لملاييـنَ مـن سـكانِ هـذا الكوكـبِ، باسـتحداثِ مفاهيـمَ للسـياحةِ الاجتماعيّـةِ عبـرَ السّـفرِ إلـى اللّامـكانِ واللّازمـانِ.. وبسـببِ هـذِهِ النِّقلـةِ الرّقْميّـةِ المذهلـةِ، تحـوّلَ النّـاسُ وبسـرعةٍ فائقـةٍ مـن عالـمِ «الإنترنـت» الّـذي لا تعـرفُ فيـه مـن أنـتَ، إلـى عالـمٍ تعـرفُ فيـه الشّـبكةُ المعلوماتيّـةُ بالضّبـطِ مـن أنـتَ.. ومـعَ كلِّ هـذا الزّخـمِ، يقـولُ لنـا القُـرآنُ الكريـمُ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (الإسـراء: 85) صـدقَ اللّـهُ العظيـمُ..

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الطّبيعةُ مدرسةٌ دائمةٌ *

رشدي المعلوف

المدرسةُ الّتي أعني هُنا ليستِ الجامِعةَ، وإنْ تكنِ الجامعةُ ضروريّةً لتنظيمِ العقلِ، وإكسابِ الطَّريقةِ، وإعطاءِ الاختصاصِ، وبِلْورَةِ الشّخصيّاتِ بالمقابلةِ، وتبادلِ الآراءِ، ونسجِ الصّداقاتِ. وهيَ ليستِ الحياةَ الاجتماعيّةَ، على ما في تِلكَ منْ دروسٍ وامتحاناتٍ، وإنْ أتَتْ على يدِ أسوإِ الأساتذةِ أحيانًا.

المدرسةُ الّتي أعني، هيَ الّتي ينبغي أنْ نتّخذَها اليومَ وسيلةً للتّقربِ إلى اللّهِ.

المدرسةُ الّتي أعني هيَ الطَّبيعَةُ، المدرسةُ الدّائمةُ، مدرسةُ المدارسِ، ونبعُ الينابيعِ عندَ التّحدّثِ عن مِناهلِ المعرفةِ. فالطّبيعةُ هيَ المدرسةُ الّتي ينبغي أنْ تسبقَ كلَّ مدرسةٍ، وترافقَ كلَّ مدرسةٍ، وتستمرَّ بعدَ كلِّ مدرسةٍ؛ لأنَّها المدرسةُ الّتي تُعَلِّمُ كلَّ إنسانٍ كلَّ شيءٍ. ويتعلّمُ من خلالِها؛ لكيْ يحقّقَ إنسانيّتَهُ، ويصبحَ صديقَ الطَّبيعةِ كما أرادَهُ اللّهُ أنْ يكونَ.

وما أحبُّ أنْ أقولَهُ لكمْ، أيّها الطّامحونَ بإخلاصٍ إلى إكمالِ شخصيّاتِكُمْ، وإلى خدمةِ بلادِكُمْ ومدنيّتِكُمْ عنْ طريقِ تزويدِها بأُناسٍ قدِ اكتملتْ إنسانيّتُهُمْ، وتلكَ أكبرُ خدمةٍ، هيَ أنْ تسجِّلوا أسماءَكُمْ في مدرسةِ الطَّبيعةِ.

فالطَّبيعةُ تُقَدِّمُ في كلِّ لحظةٍ إلى كلِّ طالبِ معرفةً فوقَ ما قدّمتْ لـ(إسحق نيوتن) حتّى عرفَ نظامَ الجاذبيّةِ، وفوقَ ما قدّمتْ لـ(دوناتللو) حتّى اعتُبِرَ مُكتَشِفَ الكنزِ الأكبرِ في نظرِ أعظمِ نهضةٍ إنسانيّةٍ عرفها التّاريخُ.

انظروا إلى الشَّجرةِ كيفَ تعطي ثمارَها بصمتٍ ونعمةٍ، دونَ أنْ تسألَ منِ الّذي أخذَ. انظروا إليها كيفَ تتطلّعُ دائمًا إلى فوقٍ، وكيفَ يزيدُ ارتفاعُها بنسبةِ ما يزيدُ عمقَها.

انظروا إلى الزّهرةِ كيفَ تبدو دائمًا جميلةً، دونَ أنْ تتكبّرَ، ودائمًا أنيقةً دونَ أنْ تُباهي، وكيفَ تكونُ ألوانُها أبدًا منسجمةً، دونَ أنْ يكونَ فيها تعنّتٌ أو ادّعاءٌ. وكيفَ يضوعُ طيبُها باستمرارٍ دونَ أنْ يتَّخذَ صفةَ «الهجومِ»..

---

*) بتصرف

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تأمّلوا حشمةَ البنفسجةِ، وطهارةَ الزّنبقةِ، وتواضُعَ الأقحُوانِ، ورقَّةَ البيلسانِ، وتأمّلوا الجوَّ النّاعمَ الّذي تخلقُهُ الوردةُ.

تعلّموا منَ القممِ كيفَ يكونُ الوقارُ، ومنْ جذوعِ الأشّجارِ كيفَ يكونُ الرّسوخُ في الخيرِ، ومنْ جذورِها كيفَ تكونُ التّضحيةُ في سبيلِ الغيرِ.

تعلّموا منَ الأوراقِ كيفَ يكونُ السِّحْرُ في تحويلِ النّارِ إلى حياةٍ وفيءٍ، ومنَ السّنابلِ كيفَ يكونُ العطاءُ والوفاءُ.

تعلّموا منَ النّخلةِ ماذا تفعلونَ، ومنَ النّملةِ كيفَ تَدْأَبونَ، ومنَ الفراشةِ إلى أينَ تذهبونَ، ومنَ القُبَّرَةِ كيفَ تنظرونَ إلى الحياةِ، تعلّموا منَ النَّسرِ كيفَ يكونُ فرضُ الاحترامِ. ومنَ النّسمةِ كيفَ يكونُ شمولُ المحبّةِ، ومنَ الأنهارِ كيفَ تكونُ الخدمةُ، ومنَ الأمواجِ كيفَ تكونُ المثابرةُ، ومنَ الفُصولِ كيفَ يكونُ النِّظامُ.

تعلّموا منَ الجبالِ فضيلةَ الصّمودِ، ومنَ الآفاقِ نعمةَ الصّلاةِ، ومنَ البِحارِ روعةَ التّسامحِ والغفرانِ.

تعلّموا منَ النّورِ كيفَ تكونُ الصّراحةُ، ومنَ الظُّلمةِ كيفَ يكونُ العمقُ، ومنَ القَمرِ كيفَ تعكسونَ على غيرِكُمْ ما تأخذونهُ ممّا هوَ جميلٌ ونافعٌ، ومنَ الهدأةِ كيفَ تكونونَ مصدرَ وحيٍ وتأمّلٍ. ومنَ الفجرِ كيفَ تجلِبونَ للآخرينَ الأملَ والبهجةَ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كيفَ أنقذتْني الكتابةُ *

سلطان العميمي

الكلِّمةُ أوكسجينُ الحياةِ لذلكَ، عندما سألوني لماذا أكتبُ؟ أجبتُهُمْ: كي أتنفَّسَ وأعيشَ، وأمدَّ غيري بالفرصةِ نفسِها.

أقولُ هذا دونَ أن أفصِلَ الكتابَةَ عن القراءةِ، فالكتابةُ بحاجةٍ إلى وَقودٍ مستمرٍّ، وأحدُ المصادرِ الّتي تمدُّ الكاتِبَ بالطّاقةِ المتجدّدةِ هو القراءةُ، وكلّما قرأْتَ أكثَرَ، كتبْتَ أكثَرَ؛ لتشكِّلَ كتاباتُكَ وقودًا لكتاباتِ غيرِكَ.

لقدْ عشتُ حياةً جديدةً معَ كلِّ كتابٍ قرأْتُهُ، ومعَ كلِّ معلومةٍ قرأْتُها واستفدْتُ منْها، أدركتُ قيمةَ الكتابةِ وأهمّيتَها أكثَرَ، وأدركتُ أنَّ مساحةَ الجهلِ في داخلي تمَّ مسحُها؛ لتحلَّ مساحةٌ من الضّوءِ، وأنَّ أرضًا جديدةً في داخلي تمَّ استصلاحُها وزراعتُها بمعلوماتٍ وأفكارٍ جديدةٍ.

لقْد أنقذَتْني القراءةُ من الضّياعِ، ومنْ تسليمِ عقلي وأفكاري لِمَنْ لا يحترمُ ذاتي وإنسانيَّتي واحتياجاتي الحقيقيّةَ، وعنْدما دخلتُ عالمَ الكتابةِ، كُنتُ أضعُ في ذهني جَيِّدًا ضرورةَ ردِّ الجميلِ لكلِّ مَنْ أنقذَني من الجهلِ، بإكمالِ مشوارِ الكتابةِ معهُم، ومشاركتِهم عناءَ المحافظةِ على الإنسانيّةِ من أشكالِ الجهلِ والهمجيّةِ كافّةً.

عندما دخلتُ عالمَ القراءةِ، امتلكْتُ عيونَ الآخرينَ، ونظرْتُ من خلالِها إلى الحياةِ من زوايا جديدةٍ، مررتُ بأحاسيسِهِمْ، وأنقذَني كثيرٌ من الكتُبِ منَ الوقوعِ في فخِّ الحزنِ، وألقْتْ بي كلِّماتُ كُتّابٍ كثيرينَ في بحورٍ منَ السّعادةِ والأملِ والتّفاؤلِ، لذلكَ أردْتُ أنْ أهبَ لغيري عينيَّ اللّتينِ تشكّلانِ زاويةَ رؤيتي للحياةِ، فكتبْتُ.

كتبْتُ كي أجعلَ الأشياءَ أكثَر وضوحًا، وأقربَ إلى حجمِها الحقيقيِّ، لا كما نتصَوَّرُ أحيانًا أنَّها أكبرُ أوْ أصغرُ من حجمِها في الواقعِ، أمّا تلكَ التّفاصيلُ الّتي يمرُّ عليها النّاسُ دونَ انتباهٍ أوْ يتحاشونَ الحديثَ عنْها، فقدِ اقتربْتُ منْها أكثرَ، وكتبْتُ عنْها عَلَّني أوفّرُ عليهم عناءَ البحثِ عن وصفٍ أوْ تفسيرٍ لها، أوْ أخفّفُ عنهمْ شيئًا منَ الحزنِ الّذي رمَتْ بهِ ظروفُ الحياةِ نحوَهُمْ، علّني أزرعُ نبتةَ تفاؤلٍ في أرضِهم، فأنا أؤمنُ أنّه لا توجدُ أرضٌ غيرُ صالحةٍ

* أسطورة الكتابة: كتاب ينقذ طفلًا، مجموعة من الكتّاب، الدار العربية للعلوم الناشرون، ط1، 2015م. ص: 69-72

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

للزّراعـةِ، وكلُّ مـا نحتاجُـه هـو معرفـةُ طبيعـةِ هـذهِ الأرضِ، وكيفيّـةُ اسـتصلاحِها.

لذلـكَ أتمنّى منكَ أنـتَ أيضًـا أنْ تكتبَ؛ لتكتشـفَ أنَّ الكتابَةَ ليسـتْ إلّا وجهًـا منْ أوجُـهِ الصّداقةِ، فكتاباتُكَ سـتصِلُ إلـى أشـخاصٍ قـدْ يعجبُهُـمْ مـا كتبْـتَ؛ لتصبـحَ صديقًـا جديـدًا لهُـمْ ولأفكارِهِـمْ، يعرفونَـهُ أكثَـر ممّـا يعرفُهُـم، وهكـذا حـالُ مـنْ يؤلِّـفُ كتابًـا، إنَّـه كمـنْ يطلِـقُ كتابَـهُ كحمامـةٍ، تُرَفْرِفُ بأوراقِهـا وأفكارِهـا وصياغاتِهـا، فتتلقَّفُهـا أيـدي النّـاسِ وعيونُهـم وعقولُهـم؛ لتحلِّـقَ فيهـا ومَعَهـا، وقـدْ تحـلُّ علـى أغصـانِ تفكيرِهِـم وتعشِّـشُ، أوْ لا تجـدُ مقـرًّا لهـا فتغـادِرُ، وقـد يتأمّلـونُ فـي بـادئِ الأمـرِ وجـهَ غـلافِ هـذا الكتـابِ كمـا يتأمّلـونَ شـخصًا يرونَـهُ لأوّلِ مـرَّةٍ، أوْ يتوقّفـونَ أمـامَ عنوانِـهِ، ثـمَّ يتصفَّحـونَ أوراقَـهُ؛ ليبحثـوا عـنْ خبايـاهُ ومكنوناتِـهِ، وفـي حقيقـةِ الأمـرِ هـمْ يبحثـونَ عنْـكَ أنـتَ أيّهـا الكاتِـبُ، عـنْ أفـكارِكَ ورؤيتِـكَ.

اكتـبْ، وتذكّـرْ أنَّـكَ تخلُـقُ عالَمَـكَ الخـاصَّ، الَّـذي تدعـو القُـرّاءَ للدّخـولِ فيـهِ مـنْ أوسـعِ أبوابـهِ، فتسـمحُ لهـمْ بالجلـوسِ والاسـترخاءِ، مُسَـلِّمًا إيّاهـمْ مفاتيـحَ أبـوابِ التّفكيـرِ والنِّقـاشِ.

عنْ أيِّ مفاتيحَ أتحَّدثُ؟

أتحَّـدثُ عـنْ مفاتيـحِ الكلِّمـاتِ والصّياغـاتِ والأفـكارِ، سَـلّمْهُمْ مـا قـدْ يفتـحُ الأبـوابَ والنّوافـذَ المُغلَقـةَ فـي داخلِهِـم، فهنـاكَ شـمسٌ مشـرقةٌ خلـفَ الجدرانِ، وهنـاكَ مـنَ البشـرِ مَـنْ يظـنُّ أنّـهُ لا وجـودَ لهـذهِ الشّـمسِ إلّا فـي الخيـالِ، أَثبِـتْ بكلِّماتِـكَ لأولئـكَ اليائسـينَ أنَّ ثَمّـةَ نـورًا وهـواءً فـي الخـارجِ، يمكـنُ معهمـا التّنفّـسُ ورؤيـةُ الأشـياءِ بألوانِهـا الحقيقيّـةِ، وأنَّهـم قـادرونَ علـى التّحـرُّرِ مـنَ السّـجونِ التّـي بنَوهـا فـي داخِلِهِـمْ، وحبَسـوا أنفسَـهُم فيهـا.

اكتـبْ كـي تلـوِّنَ حيـاةَ البشـرِ، كـي تلـوّنَ ضحـكاتِ الكبـارِ والصّغـارِ، كـي تجعـلَ لحظاتِهـمْ أكثـرَ إشـراقًا.

اكتـبْ كـي تقـولَ للعالَـمِ إنّـكَ قـادرٌ علـى أنْ تمنـحَ المحبَّـةَ والسّـلامَ للجميـعِ، وإنّـكَ ضـدُّ الحـربِ، ضـدُّ الكراهيـةِ، ضـدُّ الحـزنِ، ضـدُّ الجهـلِ واليـأسِ، فهـذهِ الأشـياءُ لا تعمّـرُ أوطانًـا، بـلْ تدمّرُهـا، وتدمّـرُ الإنسـانَ معَهـا، ويبقـى العِلْـمُ والكتـابُ مـنْ أهـمِّ الأدواتِ التّـي تُبنـى بهـا الأوطانُ والإنسـانُ معًا .

إنَّ الكتابـةَ أحـدُ أفضـلِ طرائـقِ التّعبيـرِ عـنِ الإنسـانِ الّـذي يسـكنُ فـي داخلِـكَ، وعندمـا تكتـبُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كلِّماتٍ ذاتَ تأثيرٍ إنسانيٍّ، فإنَّكَ تصبحُ كَمَنْ يلقي بسَطْلِ ماءٍ على نارٍ صغيرةٍ، وعندما تؤلّفُ كتابًا، فإنَّكَ تصبحُ كمَنْ يدفعُ باختراعٍ يحولُ دونَ اشتعالِ النّيرانِ في مكانٍ ما.

هلْ تعلمُ إذًا أنَّ كتابَتَكَ يمكِنُ أنْ تنقذَ أشخاصًا منَ الموتِ؟

في كلِّ يومٍ يوجَدُ أشخاصٌ، يموتُ في داخِلِهِمُ الأملُ بغدٍ أجملَ، وأشخاصٌ يموتُ الفرَحُ في نفوسِهِمْ؛ لينبتَ محلَّهُ اليأسُ والحزنُ، ولكنْ بكتابَتِك يمكنُكَ أنْ تحييَ ذلكَ الأملَ فيهم، إنَّهم في أمسِّ الحاجةِ إلى منْ يكتبُ إليهِم وعنْهم، منْ يحكي حكاياتٍ تواسي حكاياتِهِم أوْ توازيها، منْ يرمي إليهِم بحبلِ نجاةٍ، أوْ حتّى بقشّةٍ يتعلّقونَ بها.

بكلماتِكَ يمكنُكَ أنْ تبنيَ جسورًا تعبُرُ بها نحوَ الآخرِ لإنقاذِهِ، أوْ يعبرُ الآخرُ منْ خلالِها نحوَكَ ونحوَ العالَمِ؛ ليعيشَ بشكلٍ أجملَ.

بكلماتِكَ يمكنُكَ أنْ تساعدَ في تغييرِ لغةِ التّخاطبِ بينَ البشرِ؛ لتصبحَ أكثرَ تهذيبًا وتشذيبًا، وأكثرَ احترامًا للإنسانيَّةِ، وأكثرَ قدرةً على الغوصِ بعمقٍ في حقيقةِ الأشياءِ، وأكثرَ تمكّنًا في فهمِ البشرِ وطريقةِ تفكيرِهِم وتعامُلِهِم معَ الحياةِ الّتي يتمنَّونَ الخلودَ فيها.

إنَّ الكتابةَ جزءٌ منَ الخلودِ والدَّيمومةِ، والكتابُ الّذي تكتُبُهُ يشكّلُ نبْتَةً لكتابٍ آخرَ قدْ يظهرُ على يدِكَ أوْ يدِ غيرِكَ، قدْ تطولُ فترةُ ولادَتِهِ أوْ تقْصُرُ، لكنّهُ في الأحوالِ جميعِها سيبقى حيًّا في كتاباتِ الآخرينَ، لا يتوقّفُ عنِ التّوالُدِ، وعَصِيًّا على الفَناءِ.

الأعمدةُ الصّحفيّةُ

العَمودُ الصّحفيُّ

يعدّ العمود الصّحفيّ من أكثر أشكال الكتابة الصحفية انتشارًا، ومقروئية؛ وذلك لأنه يجمع بين قصر المساحة وواقعية القضايا الّتي يتحدث عنها، وملاصقتها لمشكلات المجتمع، وقضايا الناس.

ولذلك فالعمود الصّحفيّ من أهم المصادر الّتي تمنح القارئ فكرة واسعة عن طبيعة المجتمع، وأهم قضاياه الحيويّة، فهو يشبه المرآة في أنه يعكس ما تمور به الحياة في مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية معينة.

ويمكن تعريف العمود الصّحفيّ بأنه نوع خاص من نصوصُ الرّأي، ينشر بانتظام في صحيفة أو مجلة في مكان ثابت، وتحت مسمى ثابت، وبمساحة ثابتة لا تتغير، ويعبّر عن فكر كاتبه، وشخصيته، وتوجهاته، ويكون الهدف منه –في الغالب– توعية القراء، أو مناقشة فكرة أو قضية يراها الكاتب مهمة.

ولعلّ أكثر ما يتميّز به العمود الصّحفيّ أنه ملتصق بكاتبه، يُسَمّى باسمه في الغالب، ولذلك تكتسب الأعمدة الصحفية مكانتها من مكانة كاتبها، وما اشتهر به من فكر نَيِّرٍ، وموضوعية في عرض القضايا ومناقشتها، وامتلاك لناصية اللغة وأسرارها. ولذلك صار من المتعارف عليه في عالم الصحافة والنشر أنّ العمود الصّحفيّ يعبّر عن رأي كاتبه، وليس شرطًا أن يعبّر عن موقف الصحيفة.

ولذلك يعرّف بعضهم العمود الصحفي بأنه «حوار شخصي بين كاتبٍ وَقُرّائه، يعبر الكاتب من خلال هذا الحوار عن اتجاهاته النفسية، ومكنوناته الداخلية، ويبدو واقعيًّا وصريحًا وذاتيًّا، ويروي ذكرياته وخبراته وتجاربه، ويقدم نصائحه» .

وبسبب ارتباط العمود الصّحفيّ بكاتبه، وانتظامه في الظهور في الصحيفة أو المجلة كل يوم أو كل أسبوع فإنّ نوعًا من علاقة المودّة والتقدير تنشأ بين الكاتب وقرائه، خاصة حين يحرص الكاتب على المصداقية في الطرح، والموضوعية في المعالجة، وأن يكون عادلًا وصادقًا، وأمينًا وحريصًا على أن ينقل للقراء خلاصة تجربته أو فكره من دون تحيّز أو ميل.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وأهم سمات العمود الصحفي أنه يعبّر عن فكرة واحدة مركزة، وأنه ينقل للقارئ خلاصة تجربة الكاتب، ومواقف مرّ بها انطلاقًا إلى الفكرة التي يود الكاتب أن يعبر عنها ويقنع القارئ بها. وغالبًا ما يستعين الكاتب فيه بالأقوال والحكم والأمثال والاقتباسات.

ويمكن تقسيم الأعمدة الصفحية إلى نوعين كبيرين، هما:

1. **الأعمدة المتخصصة**: وهي التي يقتصر اهتمامها على مجال واحد فقط، كالمجال السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الثقافي، أو الرياضي، أو الفني.
2. **الأعمدة العامة**: وهي التي يكتب صاحبها في معظم القضايا، وينوّع في الموضوعات التي يتناولها.

أما من حيث اللغة وأسلوب التناول فإنّ الأعمدة تتنوّع بتنوّع كتّابها، فبعضهم يعتمد الأسلوب الجاد الرصين، وبعضهم يميل إلى الأسلوب الساخر، وبعضهم يميل إلى الافتتاح بالأسئلة، وبعضهم يحبذ البدء باقتباس أو ذكر موقف شخصي. وعلى الرغم من أنّ باب الاختلاف والتنوّع مفتوح على مصراعيه للكتّاب إلا أنّه يفضّل أن تكون لغة الكتابة لغة بسيطة، تعتمد على الجمل القصيرة، وتبتعد عن التعقيد والتقعّر؛ لأنها موجهّة -في الغالب- لكل شرائح المجتمع. ومع ذلك فإنّ التمسك بأصول الكتابة، والحرص على التدقيق والصحة اللغوية يعدّ أمرًا يميّز كاتبا عن كاتب.

إنّ قراءة الأعمدة الصحفية ومتابعتها عن كثب تزيد من وعي القارئ، وتكشف له الكثير مما يحدث في مجتمعه، وتجعله على علم بمجريات الأمور، وتضعه أمام تنويعات من وجهات النظر والأفكار والتجارب.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

شَعْرَةٌ يَراها العالَمُ *

مهرةُ بنتُ أحمدَ

يتحدَّثُ كبارُ السِّنِّ عنْ قصَّةِ ضيفٍ كانَ يتناولُ الطَّعامَ لَدى أحدِ البُخلاءِ، فاسْتوقَفَ البخيلُ ضيفَهُ وهوَ يَهمُّ بوضْعِ اللُّقمةِ في فيْهِ، وقالَ لَهُ: احذَرْ؛ فهناكَ شعرَةٌ في لُقمتِكَ، فأنزَلَ الضَّيفُ لقمتَهُ منْ يدِهِ، وقالَ للبخيلِ: إذن فأنتَ تنظُرُ إلى لُقمتي، وتراقِبُني كيفَ آكُلُ، لا باركَ اللّهُ فيكَ، ولا في طعامِكَ، وقامَ حالِفًا ألّا يعاودَ الجلوسَ على مائدتِهِ بعدَ اليومِ.

نَعَمْ، فقدْ كانَ مُجَرَّدُ النَّظرِ إلى لقمةِ الضَّيفِ عندَ تناوُلِهِ الطَّعامَ يُعَدُّ منَ الأفعالِ المُشينَةِ، والكبائرِ الَّتي قدْ يُعيَّرُ بها الشَّخْصُ لسنينَ طويلةٍ، بلْ كانَ أجدادُنا يطفئونَ القناديلَ، أوْ ينقِصونَ نورَها بعدَ تقديمِ الطَّعامِ لضيوفِهِمْ؛ ليأكلَ الجميعُ براحتِهِمْ، وبالمقدارِ الَّذي يشبعُهُمْ، دونَ خجلٍ أوْ تحفُّظٍ، أمّا اليومُ فَنُشْعِلُ جميعَ الأضواءِ الموجودةِ، مُضيفينَ أضواءَ العَدَساتِ و(فلاشَ السَّنابِ شات)، غيرَ آبهينَ بوجودِ بعضِ منْ يستنكرونَ أوْ يستغربونَ هذهِ الطَّريقةَ غيرَ المهذَّبةِ في الضّيافةِ، ونلحظُ تكاثُرَ هذهِ الظّاهرةِ وتناميها في شهرِ الصَّومِ والموائدِ الرَّمضانيَّةِ العامِرَةِ، فلا تفلتُ حتّى صحونُ الطَّعامِ المُهداةُ إلى الفقراءِ أوِ الجيرانِ منَ العدساتِ.

تُخبرُني إحداهُنَّ وهيَ تضحكُ، فتقولُ: «أعرِفُ ما الَّذي سيُهديهِ لنا جيرانُنا منْ طعامٍ قبلَ وصولِ الهديَّةِ؛ لأنَّني أتابعُ حساباتِهِمْ عَلى السَّنابِ»، فباللّهِ عليكُمْ أليسَ مَعيبًا أنْ نتركَ تقاليدَنا الرّائعةَ، وإرْثَ أولئكَ الأجدادِ الأكارِمِ الَّذينَ كانتْ تُغضِبُهُمْ شعرَةٌ، ونرْمي كلَّ تلكَ القِيَمِ لأجلِ الشُّهرَةِ؟ لاسيَّما وأنَّنا لَسْنا وحدَنا مَنْ ننظُرُ إلى الشَّعرةِ في لُقمةِ ضيوفِنا اليومَ، وإنَّما نصوِّرُ تلكَ الشَّعرةَ، ونرسِلُها لِمَنْ حولَنا، وللعالَمِ أجمعَ.

* الرُّؤيَةُ، 13 يونيو 2016.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مَتى تَخْتَفي ظاهِرَةُ (السّيلْفي) *

أحمدُ الحديديُّ

(السّيلفي) كما تُعرِّفُها الموسوعاتُ هيَ: «الصّورةُ الذّاتيَّةُ» أوِ «الصّورةُ المُلتقَطَةُ ذاتيًّا»، وهيَ عبارةٌ عنْ صورةٍ شخصيَّةٍ يلتقِطُها صاحبُها لنفسِهِ باستخدامِ هاتفٍ ذكيٍّ مُجهَّزٍ بكاميرا رقْميَّةٍ، ومنْ ثَمَّ ينشُرُها على الشَّبكاتِ الاجتماعيَّةِ؛ لتسجيلِ حضورِهِ في مكانٍ مُعيَّنٍ، أوْ إلى جانبِ أشخاصٍ معيَّنينَ، أوْ للتَّعبيرِ عنْ حالةٍ نفسيَّةٍ مُعيَّنَةٍ.

يتساءلُ بَعْضُهمْ عنْ سببِ انتشارِ ظاهرةِ (السّيلفي) بهذِهِ الطَّريقةِ السَّريعَةِ بينَ النّاسِ جميعِهِمْ. لعلَّ ذلكَ يرجِعُ إلى عَفويَّتِها، وعدمِ وجودِ الطّابعِ الرَّسميِّ بها، والأهمُّ أنَّ صاحبَها هوَ مَنْ يلتقِطُها، وبالتّالي يشعرُ بأنَّها مِنْ صُنْعِ يديْهِ.

هناكَ آراءٌ معارِضَةٌ لهذهِ الظّاهرةِ الغريبَةِ، والَّتي تؤكِّدُ أنَّها تشيرُ إلى الإصابةِ باضْطِرابٍ نفسيٍّ لَدى «مُدْمِنيها»، وهوَ ما قدْ يرتبِطُ بنوعٍ مِنَ النَّرْجِسيَّةِ المَرَضِيَّةِ، والأغربُ هوَ ما أشارتْ لَهُ بعضُ الدِّراساتِ مِنْ أنَّ نسبَةَ مُدْمنيها تصلُ إلى 17 في المئةِ لَدى الرِّجالِ، بينَما لا تتعَدّى 10 في المئةِ لدى النِّساءِ.

لكنْ يبرزُ السُّؤالُ: مَتى تختَفي ظاهرَةُ (السّيلفي) مِنْ حياتِنا؟ الإجابةُ ببساطَةٍ عنْدما نَمَلُّ مِنْ هواتِفِنا الذَّكيَّةِ الَّتي اقتَحَمَتْ حياتَنا الاجتماعيَّةَ والنَّفسيَّةَ، وحوَّلَتْنا إلى كائناتٍ فردِيَّةٍ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ، كلُّ ما نهتَمُّ بِهِ هوَ الالتِصاقُ بهذِهِ الهواتفِ؛ كيْ نَرُدَّ عَلى الآخرينَ، ونوثِّقَ حياتَنا، وننقُلَها لهُمْ دونَ أنْ نراعيَ مشاعرَ الخُصوصيَّةِ الَّتي كُنّا نتَمتَّعُ بها منْ قبْلُ. هذهِ الظّاهرةُ ستختَفي عنْدما يتخَلّى كلٌّ مِنّا عنْ نَرْجِسيَّتِهِ، ويذوبُ في المجتمعِ بطريقةٍ حقيقيَّةٍ، وليسَ افتراضيَّةٍ كَما يحدثُ الآنَ.

* الرُّؤيَةُ، 10 يونيو 2016.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

اعترافاتٌ في عامِ القراءةِ *

عبدُاللّهِ الشّويخُ

أعترِفُ بأنَّني أَرتَبِكُ، وأُحْرَجُ منْ وضْعِ علامَةِ القراءةِ في بدايةِ الكتابِ لسبَبٍ لا أفهمُهُ، هلْ منَ العيبِ أنْ يكونَ القارئُ في الصَّفحاتِ الأولى؟ مازلْتُ أُخَبِّئُ الكتابَ في حقيبةِ السَّفرِ حتّى وُصولي إلى عددٍ جيِّدٍ منَ الصَّفحاتِ، يجعلُني أضعُ علامَةَ القراءةِ بفخرٍ في مُنتصفِ الكتابِ؛ وكأنّي أقولُ أنا هُنا.. أنتَ لَسْتَ مُحْدَثَ نِعمةٍ أدبيَّةٍ، ولَسْتَ قارِئًا طارِئًا جذبَتْهُ شجرةُ ميلادٍ مختلِفَةٍ جاءَتْ هذا العامَ وقدْ تزيَّنتْ بالكُتُبِ!

أعترفُ بأنَّني لا أستطيعُ قراءةَ كتابٍ لايزالُ مُلْصَقُ السِّعْرِ مُثْبَتًا عَلى غلافِهِ الخَلفيِّ؛ ودائمًا ما أقومُ بعمليّاتِ – جَرّاحٍ – ورقيَّةٍ غايَةٍ في الدِّقَّةِ لإزالةِ مُلْصَقِ السِّعْرِ، ولا أشعُرُ بالرّاحَةِ طالَما بقِيَ شيءٌ منْ أثرِ الصَّمْغِ، أعبثُ بِهِ باستمرارٍ إلى أنْ أُنْهِيَ الكِتابَ.. لا أعرِفُ لِماذا أيضًا، ولكنَّني أعتقدُ بأنَّ عقليَ الباطِنَ الَّذي يُخزِّنُ تلكُمُ الكُتُبَ يرى أنَّهُ مِنَ المُعيبِ أنْ نُقدِّرَ أثمانَها بسعرٍ منْ أرقامٍ عدَّةٍ.

أعترِفُ بأنَّني لَمْ أحبَّ الكتبَ الإلكترونيَّةَ قطُّ، ومازلْتُ أعشقُ العبارَةَ المُمِلَّةَ: «ملمَسُ ورائحَةُ الورقِ».

أعترِفُ بأنَّني لاأزالُ أقفُ كطفلٍ أمسكَتْهُ المعلِّمةُ وهوَ يأكلُ قبلَ موعِدِ الفُسْحَةِ حينَ أطلبُ إلى إحدى المكتباتِ المشارِكَةِ في معارضِ الكتابِ أنْ تمنَحَني قصَّةً للجَيْبِ سواءٌ أكانتْ مرسومَةً كـ«ميكي»، أمْ مكتوبةً كـ«المغامرونَ الخمسةُ»، أحسُّ بأنَّ البائعَ يعرِفُ عنّي كثيرًا حينَما أطلبُها لأبنائي الصِّغارِ الَّذينَ لنْ تصِلَ إليهِمْ أبدًا!

أعترِفُ بأنَّني أشعرُ بالارتباكِ كلَّما أنهيْتُ كتابًا؛ فمِنْ جهةٍ أريدُ الاحتفاظَ بِهِ؛ لتكونَ عندي مكتبةٌ جميلةٌ تشبِهُ تلكَ المكتباتِ العصريَّةَ على أغلفةِ (كاتالوجاتِ) شركاتِ الأثاثِ، ومنْ ناحيةٍ أخرى أريدُ أنْ يقرأَها أصدقائي؛ كيْ نجدَ أمرًا آخرَ للحديثِ فيهِ على مقْهًى كُنّا نحلُمُ بأنَّهُ سيكونُ مقهًى للمُثقَّفينَ ذا ناصيةٍ؛ فذهبَ المثقَّفونَ وبقيَتِ النّاصيَةُ!

أعترِفُ بأنَّني كثيرًا ما أخذْتُ الكتبَ إلى أحْلامي، فأضعُ نفْسي مكانَ بطَلِ الرِّوايةِ، وأمارِسُ

* الإماراتُ اليومَ، 31 يناير 2016.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كلَّ ما لا أستطيعُ عملَهُ في الواقِعِ؛ حتّى أنامَ بأحلامٍ ورديَّةٍ، وغلافٍ ممزَّقٍ، وصفحاتٍ صفراءَ، وعلامةِ قراءةٍ لا تستحي منْ صفحاتِها الأولى!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كاتبٌ وراءَ كاتبٍ وراءَ كاتبٍ *

خالد السّويدي

أعتقدُ أنَّهُ مِنْ غيرِ المَنطقيِّ أبدًا أنْ يتحوَّلَ نصفُ أفرادِ المجتمعِ إلى كُتّابٍ ومؤلِّفينَ، وعندما لا يكونُ هناكَ مَنْطِقٌ فَبالتَّأكيدِ أنَّ هناكَ عِلَّةً وخلَلًا، إذْ إنَّ ظاهرةَ عشراتِ المُؤلِّفينَ الَّذينَ ظَهروا لَدينا فجأةً مِنْ حيثُ نَدري ولا نَدري جديرةٌ بالدِّراسَةِ، وإنْ كُنْتُ أظُنُّ أنَّها لا تحْتاجُ إلى دراسَةٍ بِقَدْرِ ما هيَ تَخَبُّطٌ وموضَةٌ و«برستيج» مِنْ بابِ نَخوضُ مَعَ الخائضينَ، وَ«حَشْرٌ مَعَ النّاسِ عيدٌ»!

ظهرَ كُتّابٌ، وما هُمْ بكُتّابٍ، يبحثونَ عَنِ الشُّهْرَةِ السَّريعَةِ بأسْهلِ الطُّرُقِ، الكُتُبُ الَّتي قرؤوها في حياتِهِمْ تُعَدُّ عَلى أصابعِ اليدِ الواحِدَةِ، وربَّما لَمْ يقرَؤوا أيَّ كتابٍ، واكْتَفوا بِتَصَفُّحِها بِنَظْرَةٍ سريعةٍ، فَتَوَهَّموا أنَّهمْ قرّاءٌ ومثقَّفونَ يمتلكونَ القُدْرَةَ على الكتابةِ والتَّأثيرِ.

ليسَ كُلُّ مَنْ أصدَرَ كِتابًا يُمكِنُ تَصنيفُهُ بالأديبِ، ولا كُلُّ مَنْ شاركَ في ندوةٍ يمكنُ اعتبارُهُ مثقَّفًا مِنَ المُؤثِّرينَ، ولا يمكنُ لأيّةِ شهيرٍ في مجالٍ آخرَ لا صلَةَ لهُ بالثَّقافَةِ أنْ يتحَوَّلَ إلى كاتبٍ، هذهِ الألقابُ لا تُعْطى ولا تُمنَحُ بقدرِ ما تُكْتَسَبُ مِنْ إبداعاتِ الشَّخصِ، وإسهاماتِهِ الثَّقافيَّةِ والأدبيَّةِ وغيرِها، على مَرِّ السِّنينَ.

أنْ تتحوَّلَ إلى كاتِبٍ وأديبٍ ليسَ بسهولَةٍ، كأَنْ تمتلكَ مِصباحَ علاءِ الدّينِ السِّحريِّ لتَطْلُبَ إلى مارِدِ المِصباحِ أنْ تتحوَّلَ إلى أديبٍ يتحدَّثُ عنْهُ الملايينُ. يقولُ الأديبُ توفيقُ الحكيمِ: «الأديبُ الحقُّ هوَ الَّذي يجعلُكَ تُدرِكُ عُمقًا جديدًا كُلَّما أعدْتَ قراءةَ الكتابِ».

الكتابةُ والكتبُ نافذةٌ على ثقافاتٍ مختلفةٍ، نتعلَّمُ منْها الدُّروسَ والعِبَرَ، ونطّلعُ فيها على تجاربِ غيرِنا، نأخذُ ما يفيدُ، ونتركُ ما لا ينفعُ، قدْ نجدُ فيها كثيرًا من الأشياءِ الَّتي لا توافقُ هَوانا، تخدِشُ حياءَ بعضٍ منّا، نرفُضُها رغمَ أنَّها جزءٌ منَ الواقعِ والحقيقةِ، كذلِكَ في مجتمعاتِنا الخليجيَّةِ هناكَ أمورٌ صعبةٌ، يتطَرَّقُ لها بعضُنا في كتابتِهِ بطرائقَ مختلفةٍ، إنَّما الكاتِبُ الذَّكيُّ وحدَهُ مَنْ يستطيعُ أنْ يوصِلَ فكرَتَهُ للمتلقّي مهما كانتْ جُرْأَتُها.

---

*) الإماراتُ اليومَ، 10 مايو 2016.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لكلِّ مجتمعٍ خصوصيَّتُهُ، ففي بعضِ المجتمعاتِ ليسَ منَ العيبِ أنْ يمشيَ الشَّخصُ عاريًا، وفي مجتمعاتٍ أخرى منَ الصَّعبِ جدًّا أنْ يتجوَّلَ أحدُهُمْ بسروالٍ قصيرٍ؛ لِذا منَ الضَّروريِّ جدًّا أنْ نَعِيَ ماذا نكتبُ؟ ولِمَنْ نكتبُ؟ وما الهدفُ ممّا نكتبُ؟ يقولُ شاعرُ المَهْجَرِ (ميخائيلُ نعيمةُ): كمْ مِنْ أُناسٍ صَرَفوا العُمْرَ في إتقانِ فنِّ الكتابةِ؛ ليذيعوا جهلَهُمْ لا غيرَ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

النّصوصُ المعلوماتيّةُ

النّصوصُ المعلوماتيّةُ

تُعَـدُّ معرفـة نـوع النـص المقـروء مـن أهـم الإسـتراتيجيات الّتـي تسـاعد القـارئ علـى فهـم النصـوص، والتنبّـه إلـى النقـاط الجوهريـة فيهـا، والتعمـق فـي أفكارهـا ومضامينهـا؛ فقـراءة قصيـدة مـن الشِّـعر تختلـف عـن قـراءة قصـة، وهـذه تختلـف عـن قـراءة نـص معلوماتـي، فلـكل نـوع مـن النصـوص الطريقـة الّتـي تناسـبه، وتناسـب الغايـات الّتـي مـن أجلهـا كُتِـبَ، وبسـببها يقرؤهـا القُرّاء.

ويعـد النـص المعلوماتـي مـن أكثـر النصـوص انتشـارًا وتنوّعًـا فـي عصرنـا الحاضـر، ومعظـم النـاس يعتمـدون عليـه فـي حياتهـم اليوميـة فـي أبسـط الأمـور وأكثرهـا تعقيـدًا؛ فعلـى سـبيل المثـال لا الحصـر، كلنـا نحتـاج أن نعـرف حالـة الطقـس، أو مواعيـد الصـلاة، أو مواعيـد الرحـلات فـي المطـارات للمسـافرين، أو موقـع مؤسسـة مـا نـود أن نزورهـا، فمثـل هـذه الجـداول والخرائـط تسـمى نصوصًـا معلوماتيـة، فمـا النـص المعلوماتـي؟ ومـا الفـرق بينـه وبيـن سـائر النصـوص؟

النـص المعلوماتـي: هـو أي نـصٍّ هدفـه أن يُقـدّم معلومـات للقـارئ بطريقـة مباشـرة وواضحـة، تتصـف بالدقـة، وتعتمـد علـى الأدلـة العلميـة والحقائـق. ولأن هـدف النـص المعلوماتـي هـو تقديـم المعلومـات فإنـك سـتجده فـي مجـالات العلـوم والفنـون كلّهـا، كالفيزيـاء، والكيميـاء، والطـب، والرياضـة، والصحـة، والبيئـة، والجغرافيـا، والتاريـخ، واللغـة، والرسـم، وتطويـر الـذات، وغيرها.

وهـذا لا يعنـي أنّ النـص المعلوماتـي هـو النـوع الوحيـد الـذي يقـدم معلومـات للقـارئ، ولكـنّ النـص المعلوماتـي ليـس لـه أي هـدف إلا تقديـم المعلومـات، بخـلاف النصـوص الأخـرى. ولكـي تتضـح الفـروق بيـن النـص المعلوماتـي وغيـره مـن النصـوص يحسـن أن نتحـدث عـن التصنيـف العـام للنصـوص، حيـث تنقسـم إلـى نصـوص خياليّـة (Fiction) ونصـوص غيـر خياليّـة (Non-Fiction)

1. **النَّصُّ الخياليُّ**:

هـذا المصطلـح هـو ترجمـة لكلمـة (Fiction)، وهـي مشـتقة مـن كلمـة لاتينيـة تعنـي «يُشَـكَّل» أو «يُصَنَّـع»، ويشـير إلـى تأليـف أدبـي متخيّـل ومبتـدَع، وهـو مصطلـح يعبّـر عـن الفـن القصصـي بأشـكاله المختلفـة: الروايـة، والروايـة القصيـرة، والقصـة القصيـرة، مـع أنّ هنـاك مـن يـرى أنّ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مصطلح (Fictional) يشمل كل ما هو أدبي، أو كل الأجناس الأدبية مثل الشعر والدراما وألوان السرد إلى جانب الرواية والقصة.

فهذا العمل هو من خيال الكاتب، حتى لو اعتمد على وقائع من الحياة، أو من التاريخ، وهدفه في الغالب الإمتاع والمشاركة.

2. **النَّصُّ غير الخياليِّ:**

هو ترجمة لمصطلح (Non-Fiction) بالإنجليزية، بمعنى أنه خال من الخيال، ويشير إلى كل النصوص التي تعتمد على الحقائق والوقائع والأدلة. وليس للخيال دور فيها، وهدفها في الغالب تقديم معلومات للقارئ حول موضوع ما. وتحت النصوص غير الخياليّة تندرج النصوص المعلوماتية بأشكالها كافّة، كما تندرج أيضًا نصوص السِيّر، الذاتيّة والغيرية، والكتابات الفلسفية والتاريخية والجغرافية، وغيرها كثير.

ويمكن توضيح هذا التقسيم في الشكل الآتي:

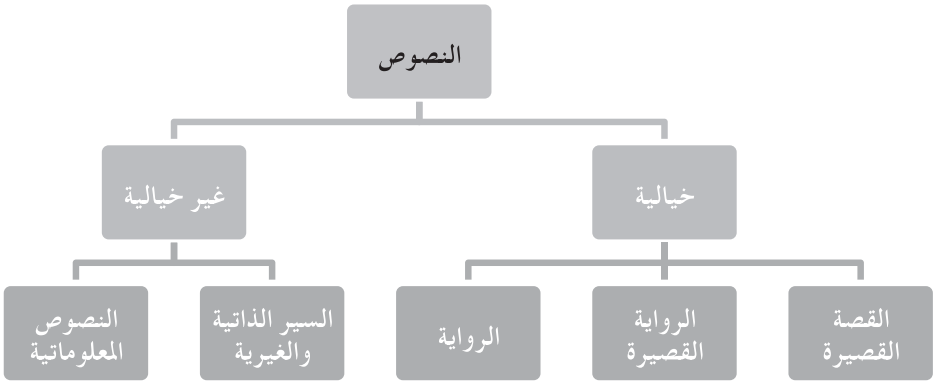

ولكي نوضح الفرق بين النص المعلوماتي والنصوص الأخرى التي تندرج تحت مسمى «نص غير خيالي» يمكن أن نعقد هذه المقارنة البسيطة بين النص المعلوماتي ونصوص السّيرة الأدبية مثلًا، فعلى الرغم من أنّ كليهما يندرجان تحت قسم النصوص غير الخياليّة إلا أن معظم نصوص السّيرة الأدبية تبنى بناء يشبه بناء القصة والرواية، فتعتمد على الشخصيات، ووجود إطار زماني ومكاني، وأحداث، وتشويق وغيرها.،وتكتب بأسلوب سردي -في الغالب- يشبه أسلوب كتابة القصص. أما النصوص المعلوماتية فتقتصر فقط على تقديم المعلومات؛ فلو أننا أردنا أن نكتب نصًّا معلوماتيًّا عن الشيخ زايد بن سلطان -رحمه اللّه فإننا سنقتصر على ذكر

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الحقائق فقط، تاريخ ومكان ميلاده، فترة حكمه، أخلاقه، إنجازاته، سنة وفاته، وهكذا. ولكن إذا أردنا أن نكتب عنه سيرة أدبية فإننا سنعنى بتقديم صورة دقيقة عن شخصيته، واهتماماته، وأفكاره، وكيف كان يرى العالم، وبعض المواقف المؤثرة في حياته، وبعض الحكايات التي تعكس حكمته، وقربه من شعبه، وحرصه على توحيد الكلمة.. وهكذا.

إنّ النص المعلوماتي غير معني من قريب أو بعيد بالتأثير في القارئ تأثيرًا عاطفيًّا، بل هو يصب كل تركيزه على المعلومة، والتحقق من صحتها، والحرص على أن تصل إلى القارئ من مصادر موثوقة، وأن تقدم له في شكل واضح وبسيط، يساعده على تمثّلها وتنظيمها وتذكرها.

وأكثر ما تجد النصوص المعلوماتية في المعاجم، والموسوعات، والأطالس، وكتب التعليم، والكتب المدرسية على اختلافها، والخرائط، والمقالات العلمية الّتي تنشر في المجلات، كما نرى في مجلة (ناشيونال جيوغرافيك) على سبيل المثال.

وأهم ما يميّز النصوص المعلوماتية اعتمادها على الحقائق والأرقام، ونتائج الدراسات العلمية، ولذلك يعتمد تقييم النص المعلوماتي على الصحة والدقة في نقل المعلومات، والتوثيق العلمي الّذي يحيل إلى المصادر، وعلى الجِدّة والتحديث، فلا ينقل النص نتائج دراسات قديمة، ويترك الحديثة منها.

ولكتابة النصوص المعلوماتية أصول وطرائق معتمدة، فلا يجوز للكاتب أن يتصدى لكتابة نص معلوماتي من دون أن يلتزم بهذه الأصول التزامًا تامًّا. وقد تطوّرت طرائق كتابة النصوص المعلوماتية في العصر الحديث، وصار المؤلفون يعتمدون على وسائل كثيرة تساعد القارئ على فهم المعلومات، وتنظيمها، وحفظها، وتذكرها، كالجداول، والقوائم، والأشكال والرسومات التوضيحية، والصور.

إنّ قراءة النصوص المعلوماتية تتطلب من القارئ الانتباه، والتدقيق، وإعادة تنظيم المعلومات بما يناسب أغراضه الخاصة، وهي من أكثر المهارات أهمية للطلاب، خاصة في المرحلة الجامعية.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

التّسوّقُ الإلكترونيُّ*

يجبُ أنْ تكونَ مستعِدًّا للمستقبلِ في العالمِ الرّقْميِّ، وذلكَ بإعادةِ النّظرِ إلى الاحتمالاتِ الجديدةِ في عالمٍ تتحطّمُ فيه عوائقُ التّجارةِ، وانتقالِ رؤوسِ الأموالِ بسببِ التّكنولوجيا الرّقْميّةِ، إذِ الوصولُ إلى الأسواقِ إلكترونيًّا يتزايدُ دونَ تكلفةٍ أو حواجزَ.

فقدْ منحَ ظهورُ الشّبكةِ المعلوماتيّةِ (الإنترنت) الفرصةَ للتّجارةِ الإلكترونيّةِ، حيثُ أدركَ المورّدونَ والعملاءُ الفوائدَ الّتي تعودُ إلى التّكلفةِ والوقتِ في التّعاملِ مباشرةً عن طريقِ (الإنترنت)، وذلكَ بتوفيرِ بياناتٍ حديثةٍ عبرَ كُلِّ قناةٍ للمبيعاتِ.

كما أضحتْ للقدرةِ على نقلِ المعلوماتِ وتبادلِها قيمةٌ أكبرُ منَ المنتَجِ نفسِه، وذلك معَ وجودِ فروقٍ جوهريّةٍ في مواصفاتِ المنتجاتِ أو الخدماتِ أو جودتِها أو أسعارِها. إنَّ السّهولةَ الّتي يتمُّ بها تبادلُ المعلوماتِ في هذا العالمِ الرّقْميِّ قد غيَّرَ تمامًا من قيمةِ المنتجاتِ منَ البدايةِ إلى النّهايةِ؛ ممّا ساعدَ على ظهورِ سوقِ الوسطاءِ الّذينَ ينقلونَ المعلوماتِ أوِ الوكالاتِ الخاصّةِ في خدماتِها.

إنَّ إستراتيجيّةَ مؤسّساتِ التّسوّقِ الإلكترونيّةِ تركّزُ دائمًا على العميلِ، وتأتي بعدَ ذلك التّكنولوجيا، وهيكلُ العملِ القائمِ على تحليلِ الرّغَباتِ والحاجاتِ الحاليّةِ والمستقبليّةِ، وكيف ستتغيرُ توقّعاتُ العملاءِ في المستقبلِ، إذِ المؤسّسةُ النّاجحةُ في الأسواقِ الإلكترونيّةِ هي الّتي تنظرُ إلى مستقبلِها من وجهةِ نظرِ عملائِها؛ وذلكَ لأنَّ الخدْماتِ الّتي ترضي العملاءَ هي الّتي تَفيدُ المؤسّسةَ منها في النّهايةِ، والمخطّطُ الآتي يوضّحُ خطواتِ هذه الإستراتيجيّةِ:

خطوات الإستراتيجية
التَّركيز على العملاء، وتصنيفهم في مجموعات.
تحديد رغبات كلّ مجموعة، وما تحتاجه.
تحديد أفضل عمليّة لتوصيل أفضل قيمة للعميل.
مراجعة واقع المؤسسة الحالي (النقد الذاتي) لتحديد التغيرات الضرورية.

*) سلسلةُ الإدارة المثلى/ التحول إلى إلكترونية العمل. مكتبة لبنان ناشرون، ط:الأولى 2002

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وإذا التزمَـتِ المؤسّسـاتُ بالخطـواتِ الإسـتراتيجيّةِ السـابقةِ الذّكـرِ فـإنَّ الفوائـدَ الّتـي تحقّقُهـا الأسـواقُ الرّقْميّـةُ لا تقتصـرُ علـى مؤسّسـاتِ العمـلِ، وإنّمـا هـي شَـراكةٌ متبادلَـةٌ مـعَ العميـلِ، والرّسـمُ البيانـيُّ الآتـي يوضّـحُ ذلـك:

وتتمثّلُ إدارةُ قـوّةِ البيـعِ التّكامليّـةُ فـي السّـوقِ الرّقْميّـةِ الّتـي غالبًـا ما تتعلّـقُ بالانتقالِ منَ الاستفسـارِ المبدئـيِّ للعميـلِ إلـى تلقّـي الطّلـبِ، وتتضمّـنُ هـذه العمليّـةُ معرفـةَ السّـعرِ، والكميّـةِ المطلوبـةِ، وتأكيـدَ وجـودِ المطلـوبِ، أو أجـورَ نقلِهـا، أو تخصيـصَ مبالـغَ للعمولـةِ، وهـذا يتطلّـبُ تطبيقـاتٍ إلكترونيّـةً تخلـقُ تكامـلًا بيـنَ الوظائـفِ المنفصلـةِ؛ لتكـونَ عمليّـةً مترابطـةً تتّصـلُ بانسـيابيّةٍ مـعَ نظـمِ إدارةِ العلاقـةِ بالعميـلِ، وإدارةِ تخطيـطِ مـواردِ السّـوقِ الرّقْميّـةِ للحصـولِ علـى أفضـلِ أداءٍ ممكـنٍ، مـا يوفّـرُ للعميـلِ الجهـدَ والوقـتَ، وأكبـرَ قسـطٍ مـن ثمـنِ السّـلعةِ، ويغـرسُ الثّقـةَ بالسّـوقِ، ويدعـو إلـى الاطمئنـانِ لنجـاحِ العمليّـةِ برمّتِهـا.

إنَّ عمليّـةَ البيـعِ الإلكترونـيِّ عمليّـةٌ معقّـدةٌ جـدًّا، ويمكـنُ تيسـيرُها بانتشـارِ القنـواتِ وبرامـجِ التّسـوّقِ أمـامَ العميـلِ، وتوفيـرِ الخدمـةِ الذّاتيّـةِ لـه أينمـا كانَ، وبـأيِّ وسـيلةٍ، سـواءٌ أكانَـتْ حاسـوبًا أم هاتفًـا محمـولًا، وبتكييـفِ المنتَـجِ مـعَ حاجتِـهِ، وتحديـدِ كلِّ خطـوةٍ مطلوبـةٍ فـي عمليّـةِ البيـعِ، والإجابـةِ عـنِ استفسـاراتِهِ، وسـرعةِ الـرّدِ عليهـا، وتوضيـحِ بُعْـدَيِ العمليّـةِ الزّمانـيِّ والمكانـيِّ بَـدءًا وانتهـاءً، وإعلامِـه بتأخّـرِ الطّلـبِ وأسـبابِهِ، والاعتـذارِ عـنْ ذلـك، إنْ حصـلَ، وتخييـرِه بإتمـامِ الصّفقـةِ أو إلغائِهـا دونَ أيِّ خسـارةٍ لقيمتِهـا المدفوعـةِ سـلفًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والمخطّطُ الآتي يرسمُ حلولًا لتجاوزِ العمليّةِ المعقّدةِ لإدارةِ المبيعاتِ:

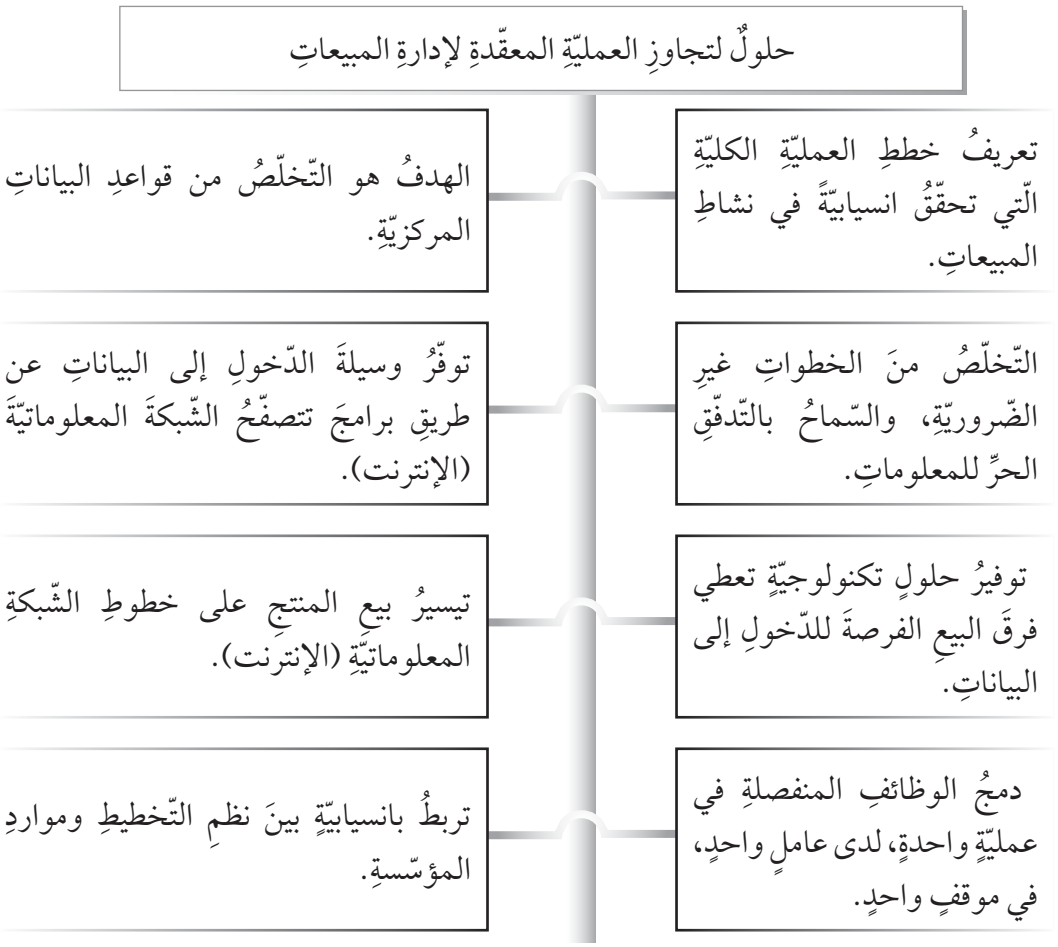

إنَّ النّجاحَ في السّوقِ الرّقْميّةِ يتطلّبُ منَ المؤسّسةِ أنْ تجيبَ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ:

» مَنْ همْ عملائي المستهدفونَ؟ وما مدى معرفتي بهمْ؟
» كيفَ أحظى بولاءِ العميلِ، وأحتفظُ بهِ؟
» مَنْ همُ المنافسونَ الحاليّونَ والمحتمَلونَ؟
» كيفَ ستصلُ خِدماتي ومنتجاتي إلى العملاءِ؟
» كيفَ ستستمرُّ التّكنولوجيا في تغييرِ السّوقِ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وللإجابةِ عن هذه الأسئلةِ يجبُ أنْ تتوفّرَ في المؤسّسةِ الميزاتُ الآتيةُ:

1. التّركزُ على الميزةِ التّنافسيّةِ الّتي تجعلُ المؤسّسةَ مختلفةً عن منافسيها الّذين قد يتفوّقونَ عليها في رخصِ القيمةِ، أو سرعةِ التّوصيلِ، معَ التّساوي في الجَودةِ.
2. التّسويقُ الجيّدُ للعلامةِ التّجاريّةِ الخاصّةِ بالمؤسّسةِ.
3. تشكيلُ إدارةٍ نشيطةٍ في بناءِ العَلاقاتِ، باختيارِ موظّفينَ لديهم مهاراتُ اتّصالٍ عاليةٌ، إذْ همُ الرّابطُ الأساسيُّ بينَ مستخدمي النّظامِ الدّاخليينَ والخارجينَ.
4. اختيارُ شريكٍ خارجيٍّ جيّدٍ، يعزّزُ نشاطَ المؤسّسةِ، وتتوافقُ نظُمُه معَ نظُمِها، بأقلِّ ما يمكنُ منَ الأخطاءِ، ما يحقّقُ تكاملَ الشّركاءِ، ولا يمكّنُ الجمهورَ الدّاخليَّ أو الخارجيَّ التّمييزَ بينَهم.
5. تزكيةُ العملاءِ للمؤسّسةِ، بتقديمِها ما يتوقّعونهُ وفوقَ ما يتوقعونَهُ، ممّا يحقّقُ للمؤسّسةِ (القيمةَ المضافةَ)؛ لتكونَ أفضلَ سوقٍ يجذبُ أكبرَ جمهورٍ منَ العملاءِ.

أنواعٌ مختلفةٌ من عروضِ القيمةِ المُضافةِ على الشّبكةِ المعلوماتيّةِ (الإنترنت)

نموذجُ العملِ	مقترحُ القيمةِ للعميلِ
وسيطُ المعلوماتِ	يقدّمُ للعميلِ موقعًا تقفُ عندَهُ مرّةً واحدةً به كلُّ المعلوماتِ المطلوبةِ، ويوفّرُ سهولةً في الاستخدامِ والنّتائجِ السّريعةِ.. وتوفيرِ التّكاليفِ.
وسيطُ الصفقاتِ	يقدّمُ عمليّةً موحّدةً لإيجادِ المُنتَجِ والمقارنةِ والاختيارِ والشّراءِ، أو خدمةً على خطِّ الشّبكةِ المعلوماتيّةِ، كما يوفّرُ السّرعةَ والتّكلفةَ معًا.
قائدُ الفئاتِ	يحدّدُ قائدُ السّوقِ العرضَ الجديدَ للقيمةِ المضافةِ، وتجديدَ خبرةِ العميلِ باستمرارٍ، وتوفيرَ أفضلِ خبرةٍ كليّةٍ للعميلِ.
مركزُ المجتمّعِ	يصمّمُ في الشّبكةِ المعلوماتيّةِ موقعًا لاجتماعِ العملاءِ، فيتبادلونَ الأفكارَ والمعلوماتِ، ويوفّرُ طريقةً سهلةً، وعضويّةً جديدةً في المجتمعِ المعلوماتيِّ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إنَّ الوفاءَ بمتطلّباتِ العملاءِ، وتحقيقَ الوعودِ في أوقاتِها، والسّماحَ لهم بمعرفةِ سيرِ حركةِ التّسليمِ، وعلمَهم بكلِّ شيءٍ من بدايةِ عمليّةِ التّسوقِ إلى نهايتِها أخذَ يحقّقُ ازدهارًا للتّسوقِ الإلكترونيِّ، ونموًّا في الأسواقِ الرّقْميّةِ، وتنوّعًا في عروضِها التّجاريّةِ. كما أضحى إنسانُ القرنِ الحادي والعشرينَ -تاجرًا، أو عميلًا، أو وسيطًا، أو حتّى فضوليًّا- وهو في منزلِه، وبيدِه هاتفُه المحمولُ، يرشفُ فنجانَ قهوتِهِ المفضلةِ، يُمارسُ نشاطًا تجاريًّا، وإلى زمنٍ قريبٍ كانَ يُمضي الأيامَ والشّهورَ حتّى يحقّقَ بعضًا ممّا يحقّقُهُ اليومَ في سويعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ. لقدْ أصبحَ العالمُ بينَ يديهِ بفضلِ فانوسِ علاءِ الدّينِ السّحريِّ، وأيُّ فانوسٍ سحريٍّ ينتظرُ الأجيالَ القادمةَ؟!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الأملُ والطُّموحُ

لماذا أنتَ تُصلّي، وتصومُ، وتحجُّ، أوْ تقومُ بعبادتِكَ؟ لأنَّ هُناكَ وعدًا من اللّهِ أنْ تدخُلَ الجنّةَ، أوْ لأنَّ هُناكَ وعودًا أُخرى تأملُ أنْ تحوزَها مِنْ خلالِ دِينِكَ. هذا الوعدُ لَمْ تَرَهُ، وَلَمْ تَلْمَسْهُ، ولَمْ تشمَّهُ، وكما جاءَ في الأحاديثِ الشّريفةِ أنَّ الجنّةَ لا يُمكِنُ لكَ أوْ لأيِّ أحدٍ أنْ يتخيّلَها، عِوَضًا عن الإحساسِ بها في الدُّنيا. وتعزيزُ هذا النّوعِ مِنَ الأملِ هو دافِعٌ هائلٌ في تحريكِ الإنسانِ إلى درجةِ التّضحيةِ بالنّفسِ مِنْ أجلِها، وهذِهِ خاصيّةٌ إنسانيّةٌ ترتبطُ بالمُخِّ مُباشرةً.

ولتأكيدِ أنّ الأملَ هو الدّافِعُ إلى العملِ أُجريَتْ تجربةٌ على القرودِ، وكانَتْ كالآتي:

حينما يضغطُ القِردُ على مِقبَضٍ عددًا من المَرّاتِ يحصلُ على جائزةِ (الطّعام)، وقد قاسَ العُلَماءُ نسبةَ (الدّوبامين) في المُخِّ بالتّعلّمِ المدفوعِ الأجرِ، (ومادّةُ الدّوبامين مادّةٌ كيميائيّةٌ تتفاعلُ في الدِّماغِ لِتؤثِّرَ على كثيرٍ من الأحاسيسِ والسّلوكاتِ، بما في ذلكَ الانتباهُ، والتّوجيهُ، وتحريكُ الجسمِ)، فلاحظوا أنَّ النّسبةَ ترتفعُ قبلَ أنْ يبدأَ القِردُ بالضّغطِ على المقبضِ، وليسَ عندَ استلامِ الجائزةِ.

و(الدّوبامين) ينطلِقُ في المُخِّ بسببِ توقُّعِكَ الحصولَ على السّعادةِ، وليسَ بعدَ حصولِكَ عليها، وهذا فارِقٌ مُهمٌّ، أيْ أنّ السّعادةَ تحصلُ عليها حينما يكونُ هُناكَ طموحٌ للحصولِ على الجائزةِ، وليسَ حينَ الحصولِ عليها.

قرّرَ العُلَماءُ تغييرَ التّجربةِ قليلًا، فبدلًا مِنْ أنْ يَعطوا القردَ الجائزةَ في كُلِّ مرّةٍ يضغطُ فيها على المقبضِ أعطوهُ الجائزةَ خمسينَ بالمئةِ مِنَ المرّاتِ الّتي يضغطُ بها على المقبضِ، وبشكلٍ عشوائيٍّ، ولَمْ يَدْرِ القردُ في أيِّ المُحاولاتِ سيحصلُ على الجائزةِ. واكتشفَ العُلَماءُ أنَّ ضَخَّ كميّةِ (الدّوبامين) في المُخِّ ترتفعُ بشكلٍ أكبرَ بكثيرٍ مِنَ السّابقِ، وهي أكبرُ ممّا لَوْ حصلَ على الجائزةِ في كُلِّ مرّةٍ؛ في التّجربةِ الأولى ضَمِنَ القردُ الجائزةَ، وفي التّجربةِ الثّانيةِ كانَتْ نسبةُ الضّمانِ 50٪.

والسّببُ في زيادةِ نسبةِ (الدّوبامين) يعودُ إلى كَوْنِ النّتيجةِ غيرَ مضمونةٍ، فَرُبّما تحدثُ، وَرُبّما لَنْ تحدُثَ، وحسبَ ما يقولُ (د. روبرت سابولسكي) العالِمُ في عِلْمِ الأعصابِ: «أنتَ أدخَلْتَ كلمةَ (رُبّما) في المُعادلةِ، وكلمةُ (رُبّما) تُسَبِّبُ الإدمانَ بشكلٍ كبيرٍ».

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

هـذا الشّـيْءُ ينطبـقُ علـى الإنسـانِ تمامًـا حسـبَ مـا ذَكَـرَ (د. روبـرت سابولسـكي)، إذْ يقـولُ: إنّـهُ حينَمـا تفصِـلُ بيـنَ الجائـزةِ والعمـلِ، وتجعـلُ بينَهُمـا فارقًـا زمنيًّـا فـإنَّ مسـتوياتِ (الدّوبامين) ترتفـعُ عنـدَ الإنسـانِ، وتخيّـلْ أنّـكَ تبـدأُ بالمدرسـةِ مِـنَ الصِّغَـرِ، ولديـكَ طمـوحٌ كبيـرٌ أنْ تُصبِـحَ شـيئًا مـا فـي المُسـتقبلِ فـي مـكانٍ تُحبُّـهُ.

الإنسـانُ يسـتطيعُ أنْ يُبقـي علـى مُسـتوياتِ (الدّوبامين) فـي المُـخِّ عاليـةً جـدًّا انتظـارًا للجائـزةِ فـي المُسـتقبلِ البعيـدِ جـدًّا، وهـذا هـو أحـدُ الفـروقِ بيـنَ الإنسـانِ والحيـوانِ، فالإنسـانُ ينتظـرُ طويـلًا علـى أمـلِ الحصـولِ علـى الجائـزةِ، بينَمـا لا تتحمّـلُ الحيوانـاتُ مُـدّةً بالطّـولِ نفسِـهِ.

وهـذا مـا جعـلَ الإنسـانَ يُراقِـبُ النّجـومَ، ويحـاوِلُ فهمَهـا علـى مَـرِّ التّاريـخِ، إذْ إنَّ الإنسـانَ قـد طُبِـعَ علـى حُـبِّ الاكتشـافِ، فهـو يتحـرَّكُ علـى الأرضِ والبحـرِ وفـي السّـماءِ، يُسـافِرُ، ويقطـعُ المسـافاتِ الشّاسِـعةَ، إمّـا مَشـيًا علـى الأقـدامِ، وإمّـا باسـتخدامِ الحيوانـاتِ، أو السّـيّاراتِ، أو الطّائـراتِ، أوْ غيرِهـا، يغـوصُ فـي أعمـاقِ البحرِ؛ ليكشِـفَ أسـرارَها، وَيُحطِّـمَ الجُسَـيماتِ الصّغيرةَ مِـنْ أجـلِ اكتشـافِ مـا بِداخِلِهـا، والنَّظَـرِ إلـى السّـماءِ فـي عُمـقِ الكـونِ لِيَسـبُرَ أغـوارَهُ، إنّهـا مُحاولـةُ الاكتشـافِ والأمـلِ والطّمـوحِ الّتـي تُشـعِرُهُ بالسّـعادةِ، وتجعلُـهُ يعمـلُ كـي يُحقِّـقَ طموحاتِـهِ العاليـةَ البعيـدةَ المنـالِ، فالأمـلُ إذًا دافِـعٌ إلـى العمـلِ.

وصـدقَ مَـنْ قـالَ: «إذا كُنْـتَ تُريـدُ أنْ تَبنـي سـفينةً فـلا تحشـد الرِّجـالَ لجمـعِ الحطـبِ، ولا لتقسـيمِ العمـلِ وإصـدارِ الأوامـرِ، بـلْ عَلِّمْهُـم الاشـتياقَ لاتّسـاعِ البحـرِ، وإلـى لانهائيّتِـهِ»، وهكـذا يُفَضّـلُ أنْ نُعامِـلَ الإنسـانَ حينمـا نُريـدُ منـه أنْ يقـومَ بمهمّـةٍ، وعلينـا أنْ نُحفِّـزَهُ، وأنْ نُشـعِلَ خيالَـهُ، فكلّمـا اتّسـعَتْ عنـدَهُ فُسـحةُ الأمـلِ عَمِـلَ أكثـرَ، وأثمـرَت النّتائـجُ.

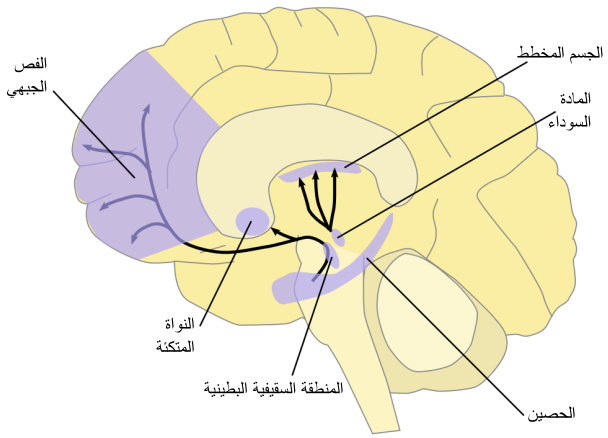

مسارات الدّوبامين

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كيفيّةُ تقديرِ الذّاتِ *

عائشة نوفل

إنَّ تقديرَ الذّاتِ يَعني أنْ تنظُرَ لِذاتِكَ نظرةَ تقديرٍ، نظرةً ملؤُها الثِّقَةُ، وأنْ تُعطي مكانةً مُميّزةً للذّاتِ الشّخصيّةِ بعيدًا عن الغرورِ. ولكي يتمكّنَ المرءُ مِنْ تقديرِ ذاتِهِ عليهِ أنْ يعرفَ قُدراتِهِ وَإمكاناتِهِ، فقد تكونُ القُدراتُ هائلةً إلّا أنّها تحتاجُ للتّنميةِ، وبالعملِ الجادِّ والهمّةِ العاليةِ تغدو تنميةُ القُدراتِ الشّخصيّةِ أمرًا مُمكِنًا، فَهُناكَ في شَخصيّةِ كُلِّ فردٍ نِقاطُ قوّةٍ، وَنِقاطُ ضعفٍ، وَلِمَعرفتِها بدقّةٍ ينبغي على المرءِ أنْ يدوِّنَ ذلكَ باستمرارٍ، ويسألَ مَنْ يثقُ بِهِمْ فيما يرونَهُ فيهِ، ولا يراهُ هوَ في نفسِهِ، فقد يُغفِلُ بعضَ النِّقاطِ السّلبيّةِ الّتي تتخلّلُ شَخصيّتَهُ، وَتُعيقُهُ عنِ النّجاحِ، في حينِ يتمكّنُ الآخرون الّذين يعرفونَهُ جَيِّدًا، أوْ يعيشونَ معَهُ مُلاحظتَها بسهولةٍ، وإذا ما تمَّ لَفْتُ انتباهِ المرءِ لهذِهِ السّلبيّاتِ وَنِقاطِ الضّعفِ، فإنَّ أوّلَ خطوةٍ في تغييرِها هيَ إدراكُها، فَمَنْ لا يُدرِكُ أنَّ التّدخينَ ضارٌّ -مَثَلًا- لَنْ يترُكَهُ، ولَنْ يُحاوِلَ الإقلاعَ عَنْهُ.

وَمِنْ بعدِ الإدراكِ تأتي الإرادةُ، فالإرادةُ سِرُّ النّجاحِ، وعلى المرءِ أنْ يُصَمِّمَ أنْ يكونَ ناجِحًا وَمُتَميّزًا، مهما كلَّفَهُ الأمرُ، فَبِسَببِ الإرادةِ تشكّلَ العالَمُ مِنْ حولِنا، فإرادةُ (توماس أديسون) هي الّتي أضاءَتْ لنا ما حولَنا، والأمثلةُ لا حصرَ لها في قوّةِ الإرادةِ والتّصميمِ التَي أنتجَها السَّلَفُ الصّالِحُ والعُظَماءُ وأصحابُ البصماتِ، ثُمَّ يأتي تغييرُ النّقاطِ السّلبيّةِ تلوَ التّصميمِ، ولا بُدَّ مِنْ إدخالِ عاداتٍ إيجابيّةٍ تحلُّ محلَّها للمساعدةِ على التّخلّصِ منها، فَمَنْ كانَتْ نِقاطُ ضعفِهِ هي الانفعالُ والعصبيّةُ، فلا بُدَّ من تدريبِ نفسِهِ على تركِها، وإدخالِ عادةِ الهدوءِ والصّمتِ وضبطِ الأعصابِ في أثناءِ الموقفِ الّذي يستدعي استفزازَهُ، ويثيرُ حنقَهُ، وَبهذِهِ الطّريقةِ يتمُّ التّقليلُ من نِقاطِ ضعفِ الشّخصيّةِ.

أمّا النِّقاطُ الإيجابيّةُ في الشّخصيّةِ، كالقيادةِ -مَثَلًا- أوْ سُرعةِ الحفظِ، أوِ الصّفاتِ الأخلاقيّةِ الحَسنَةِ، وغيرِها، فلا بُدَّ مِنْ تعزيزِها وتقويتِها؛ لتغدوَ أفضلَ ممّا هي عليهِ، وبهذا يعلو تقديرُ المرءِ لذاتِهِ، وتزدادُ نظرتُهُ الإيجابيّةُ لنفسِهِ، فتقديرُ الذّاتِ هوَ بدايةُ طريقِ التّميّزِ والتّمييزِ، فأصحابُ البَصماتِ العظيمةِ قدّروا ذواتَهُمْ في البدايةِ، وآمنوا بِقُدراتِهِمْ، ووثقوا مِنْ أحلامِهِمْ

* 2014/11/2

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وأهدافِهِمْ، وَعزَّزوها بالعملِ الدّؤوبِ والهمّةِ العاليةِ، وبذلِكَ تركوا أَثَرًا إيجابيًّا ملموسًا على أرضِ الواقعِ، وَخَلّدوا ذِكْرَهُمْ بتخليدِ إنجازاتِهِمْ، ولذا يجبُ على المرءِ أنْ يُحدِّدَ غاياتِهِ كي يصلَ إلى مُرادِهِ.

إنّ المرءَ يستطيعُ تقديرَ ذاتِهِ بعدّةِ طرائقَ أُخرى، حيثُ ينهجُ نهجًا سليمًا واضِحًا أمامَهُ، ويتّخِذُ مَثلًا أعلى لذاتِهِ في كُلِّ جانبٍ من جوانبِ الحياةِ، والأفضلُ أنْ يكونَ مَثلًا حيًّا، يستطيعُ أنْ يراهُ، أوْ يتعلّمَ مِنْهُ في كُلِّ جانبٍ من جوانبِ الحياةِ، كالجانبِ الدّينيِّ أوِ الماليِّ أوِ الثّقافيِّ أوِ المِهْنيِّ أوِ الشّخصيِّ، وغيرِها.

إنَّ بناءَ الصّورةِ الذّاتيّةِ الإيجابيّةِ عن النّفسِ، وتعزيزَ قُدراتِها، والإيمانَ بأهدافِها يدفعُها إلى تقديرِ ذاتِها، والثّقةِ بها، فصورةُ الفردِ الدّاخليّةُ تتغلّبُ على أيِّ شيءٍ آخرَ، وقد يستمدُّ المرءُ قوّتَهُ مِنْ قدوتِهِ الذّاتيّةِ، حيثُ يُركِّزُ على أفعالِ قدواتِهِ، وَيُقارِنُ نفسَهُ؛ ليغدوَ أفضلَ، كما يُقارِنُ سلوكَهُ بسلوكِهِمْ، وأخيرًا يُركِّزُ على الصّورةِ الذّاتيّةِ المُستقبليّةِ لِنَفسِهِ، فيسألُ نفسَهُ: ماذا، وَمَنْ أُريدُ أنْ أكونَ؟ وعليهِ أنْ يُجيبَ عن هذا التساؤلِ بوضوحٍ تامٍّ، وبدقّةٍ، وأنْ يُحدِّدَ المُدّةَ الزّمنيّةَ اللّازمةَ للوصولِ إلى هدفِهِ.

ومن الجديرِ بالذِّكْرِ أنَّ كتابةَ نِقاطِ قوّةِ الشّخصِ وَتغيُّرِهِ الإيجابيِّ، وَتعليقَها في مكانٍ يراهُ يوميًّا أكثرَ مِنْ مرّةٍ، كأنْ تكونَ على حائطٍ أوْ مِرآةٍ، وغيرِ ذلكَ، يُساعِدُ على بناءِ صورةٍ داخليّةٍ حَسنةٍ، وتحسينِ تلكَ السّلبيّةِ الّتي تتخلّلُها قلّةُ الثّقةِ بالنّفسِ وبالقُدراتِ الموجودةِ وبالإمكاناتِ المُتاحَةِ، وبالتّالي قلّةُ التّقديرِ الذّاتيِّ.

إنّ قيمةَ المرءِ الذّاتيّةَ تعلو بالإنجازاتِ، وإنْ قَلَّتْ، فعلى المرءِ أنْ يُعِدَّ إنجازاتِهِ باستمرارٍ، وأنْ يتعلّمَ كُلَّ يومٍ شيئًا جديدًا، وألّا يُكثِرَ مِنْ ترديدِ سلبيّاتِهِ وَفشلِهِ في تجاربِهِ السّابقةِ، فذلكَ يجعلُهُ أكثرَ إحباطًا، وأقلَّ تقديرًا لذاتِهِ، ويجلِبُ شعورَ الفشلِ الّذي عاشَهُ في تلكَ التّجاربِ إلى اللّحظةِ الآنيّةِ بقوّتِهِ نفسِها، فلو أحصى المرءُ إنجازاتِهِ مُنْذُ إدراكِهِ الحياةَ لوجدَها لا حصرَ لها.

كما يجبُ عليهِ أنْ يتقبّلَ ذاتَهُ كما هوَ في الأشياءِ الّتي لا يُمكِنُهُ تغييرُها، كَشَكلِهِ وَلونِهِ واسمِهِ وأهلِهِ، وغيرِها من الأمورِ القَدريّةِ الّتي كتبَها اللّهُ تعالى عليهِ، بلْ عليهِ أنْ يكونَ مُتَقبِّلًا لها بشدّةٍ، وَمُتَصالِحًا معَها، وَمُحِبًّا، وغيرَ مُحارِبٍ لِقَدَرِها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لـذا، فـإنَّ الخطـواتِ الأولـى لتقديـرِ الـذّاتِ هـي الرِّضـا عـن تلـكَ المُقـدّراتِ، وَحُـبُّ الـذّاتِ كمـا هـي، والسّـعيُ لتطويرِهـا وتنميتِهـا، حيـثُ إنَّ كُرهَهـا لا يـؤدّي إلـى تحسـينِها البتّـةَ، والسُّـخْطَ علـى مـا لا يُمكِـنُ تغييـرُهُ لا يجلِـبُ خيـرًا للـذّاتِ أبـدًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تاريخُ الأعدادِ

يُعَدُّ القَرنانِ الثّالثُ والرّابعُ للّهجرةِ (التّاسعُ والعاشرُ للميلادِ) قرنينِ ذهبيّنِ للرّياضياتِ لدى العربِ المسلمينَ الّذينَ سعَوا لحفظِ هذا العِلْمِ وترقيتِهِ، في وقتٍ كانتْ أوروبا فيهِ غارقةً في حقبةٍ منَ الانحطاطِ العلميِّ. وقدْ كانَ منْ فضلِ هؤلاءِ المسلمينَ أيضًا أنّهم حفظوا تراثَ اليونانِ القديمِ في الرّياضياتِ، فترجموهُ، وأضافوا إليهِ، ثمَّ قاموا بنشرِهِ مرّةً أخرى في أصقاعِ العالَمِ. كانتْ خطوتُهُمُ الكبيرةُ الأولى أنّهم أشاعوا نظامًا جديدًا للأعدادِ، وجدوا أنّهُ يتّسعُ لكلِّ العمليّاتِ الحسابيّةِ، وفيهِ إمكاناتٌ لا تنتهي للتّعبيرِ عنْ كلِّ النُّظُمِ الرّياضيّةِ المطلوبةِ.

وقبلَ ذلكَ كانَ الأوربيّونَ يستعملونَ الأعدادَ الرّومانيةَ للتّعبيرِ عن حاجاتِهِمُ المتّصلةِ بالحسابِ، لكنَّ تلكَ الرّموزَ كانَتْ قاصرةً جدًّا، بلْ يكادُ يستحيلُ إمكانُ استعمالِها في عملياتِ الضّربِ أوِ القسمةِ أوِ الجمعِ بأعدادٍ كبيرةٍ، فضلًا عنْ أنّها لا تشتملُ على عنصرٍ عدديٍّ يُعدُّ أهمَّ اختراعٍ رياضيٍّ على الإطلاقِ، ونعني بهِ رمزَ (الصّفرِ) الّذي يُعدُّ عندَ كثيرٍ منْ مؤرِّخي الرّياضياتِ الخطوةَ الكبرى الّتي كانَ للحضارةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ فضلُ تطويرِها ونشرِها؛ فكانتِ السَّبيلَ إلى أنْ تكونَ المفتاحَ إلى حلِّ كثيرٍ منَ المعضلاتِ الرّياضيّةِ، وإلى أنْ تكونَ مركزَ نظامِ الرّموزِ العدديّةِ في الرّياضيّاتِ منذُ وضعِها إلى اليومِ.

لقدِ اقتبسَ العربُ المسلمونَ رموزَ الأعدادِ في الأصلِ من حضارةِ الهندِ، ولعلّها في تلكَ الحضارةِ ما كانتْ رموزًا للأعدادِ، بلْ هيَ نوعٌ من الحروفِ على نحوِ ما يشيرُ ابنُ النّديمِ في (الفهرستِ)، فكانَتْ خطوةُ الرّياضيّينَ المسلمينَ الكبرى أنّهمْ استعملوها للتّعبيرِ عنِ الأعدادِ، مبتعدينَ عنِ الرّموزِ القديمةِ الّتي هيَ حروفُ العربيّةِ نفسُها الّتي كانتْ تعبّرُ عندَهُم عنْ قيمٍ عدديّةٍ، فضلًا عنْ قيمِها الحرفيّةِ، وهيَ مرتّبةٌ على النّحوِ الآتي:

الآحادُ	أ	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
	1	2	3	4	5	6	7	8	9
العشراتُ	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
	10	20	30	40	50	60	70	80	90

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

المئاتُ	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
	100	200	300	400	500	600	700	800	900
الآلافُ	غ								
	1000								

ومنْ طريفِ ما في هذهِ الرّموزِ (أيِ الحروفِ العربيّةِ) أنَّ الشُّعراءَ استعملوها في كتابةِ أشعارٍ تتضمّنُ تاريخًا معيّنًا، فكانوا يوردونَ كلمةً أوْ عبارةً أوْ جملةً، تعبّرُ عنْ تاريخٍ ما، ويؤرّخونَ لهُ.

ويشيعُ بينَ النّاسِ أنَّ الأعدادَ الغربيّةَ هيَ الأعدادُ العربيّةُ، وأنَّ الأعدادَ العربيّةَ هيَ أعدادٌ هنديّةٌ، والحقيقةُ أنَّ العربَ اقتبسوا حروفًا هنديّةً للتّعبيرِ عن الأعدادِ، وسهّلَ لهُمْ دمجَها برموزِ الكتابةِ العربيّةِ أنّها تشتملُ على استداراتٍ وانحناءاتٍ شبيهةٍ بما في رموزِ الكتابةِ العربيّةِ، ثمَّ سوّغَ ذلكَ أيضًا أنّها تُكتبُ من جهةِ اليمينِ على نحوِ ما اعتادَ الكتّابُ العربُ، وكُتُبُ (البتانيِّ –من القرنِ الثّاني) و(البيرونيِّ) تشهدُ على هذا الاستعمالِ، ثمَّ جرى أنِ اقتبسَ الغربيّونَ هذهِ الأعدادَ منَ العربِ، لكنّهم جعلوها مطاوعةً لطرائقِ كتابتِهم من اليسارِ إلى اليمينِ، فظهرَتْ عندَنا الرّموزُ الغربيّةُ للأعدادِ الّتي جرى عليها بَعْدَ حينٍ تطويرٌ وتنظيمٌ جعلَها على ما هيَ عليه الآنَ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

القِطاعاتُ السّبعةُ الأكثرُ استفادةً مِنَ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ في المُستقبلِ

(أدريان بريدجوتر) *

يتطوّرُ الذّكاءُ الاصطناعيُّ بوتيرةٍ سَريعةٍ، واستخدامُهُ في الصِّناعاتِ المُختلفةِ على وَشكِ أَنْ يُعيدَ صياغةَ الطّريقةِ الّتي تتعامَلُ بِها الشَّركاتُ معَ موظَّفيها والأَيدي العامِلَةِ لَديها؛ وَلِذا علينا أَنْ نتعرَّفَ جيِّدًا الإمكاناتِ الّتي قد يُسفِرُ عنها استخدامُ «ذَكاءِ الآلةِ» في الأعمالِ الحديثةِ.

كانَ هذا أحدَ الموضوعاتِ المُدرجَةِ على جَدوَلِ أعمالِ القِمّةِ العالَميّةِ للحكوماتِ 2016 في دُبيٍّ في إِطارِ نقاشاتِ القِمَّةِ حولَ الذّكاءِ المَعلوماتيِّ والمُستَقبليِّ، فَمَن الّذي سَيستفيدُ مِنْ هذِهِ التّكنولوجيا أَوَّلًا؟ وَما القِطاعاتُ الّتي يُتَوقَّعُ لَها تَحقيقُ أَقصى استفادَةٍ مِن الذّكاءِ الاصطناعيِّ؟

ولابُدَّ أَنْ نُشيرَ إلى السِّمَةِ الأكثرِ أهميّةً في الذّكاءِ الاصطناعيِّ، ألا وهيَ القضاءُ على الأعمالِ الرّوتينيّةِ الرَّتيبَةِ، بِمَعنى أَنَّ الذّكاءَ الاصطناعيَّ قد يُساعِدُ في تقليصِ وظائفِ المستوى الأَساسيِّ والأَدوارِ الّتي يتمحورُ حولَها أيُّ عَملٍ، فَبَدْءًا مِنْ قِطاعِ الإنشاءاتِ إلى التّرفيهِ وَإِنتاجِ الغِذاءِ تتضمَّنُ العَمليّاتُ جميعُها عددًا مُحَدّدًا مِنَ المُساعِدينَ والمُتَدرِّبينَ والمُعاوِنينَ، وهي وظائِفُ تتطلَّبُ القليلَ مِنَ المهارَةِ، وَهُنا سَيظهَرُ الأَثَرُ الأَكبَرُ لاستخدامِ الذّكاءِ الاصطناعيِّ.

1. المَجالُ القانونيُّ:

يعملُ في هذا المجالِ كثيرٌ مِنَ المُبتدئينَ والمسؤولينَ عَنِ المهامِّ البسيطةِ، فَمِهنةُ المُحاماةِ لا تَضمُّ المُحامينَ والقُضاةَ والمُستشارينَ الحكوميّينَ فَحسْبُ، وَرغمَ أَنَّ الكثيرينَ مِنْ هؤلاءِ المُبتدئينَ قد يحصلونَ على مُسَمّياتٍ وَظيفيّةٍ تَبدو في ظاهِرِها مُهمّةً مثلَ «مُساعِدِ المُحامي»، إلا أنّ العملَ الّذي يقومُ بِهِ هؤلاءِ الأفرادُ يتضمّنُ قَدرًا هائِلًا مِنَ الرَّتابَةِ، فَهُمْ يقضونَ ساعاتٍ في دراسَةِ مئاتِ الخطاباتِ وَموادِّ الدَّعاوى القضائيّةِ، وفي عَمليّةِ التّوثيقِ، وسوفَ يؤدّي الذّكاءُ الاصطناعيُّ هذِهِ الوظيفةَ على الوَجْهِ الأَكملِ إذا استطَعْنا توجيهَ بَرامجِ «الكشفِ الإلكترونيِّ عَن البياناتِ» إلى البياناتِ الّتي تَتطلَّبُ المُعالجَةَ السَّريعةَ.

وفي ظِلِّ ما تتضمّنُهُ المعلوماتُ القانونيّةُ اليومَ مِنَ الرّسائلِ الإلكترونيّةِ وَمَقاطِعِ (الفيديو)، بَلْ والمعلوماتِ الواردةِ مِنْ شَبكاتِ التّواصلِ الاجتماعيِّ، أَصبحَتْ هذِهِ الوظيفةُ تفوقُ طاقةَ

* مُتخصّصٌ في شؤونِ تطويرِ البَرمجيّاتِ وَإِدارةِ المشاريعِ والتّكنولوجيا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

العقلِ البَشريِّ، ولذلكَ يأتي استخدامُ الذّكاءِ الاصطناعيِّ لِأَداءِ هذِهِ المهامِّ الرّوتينيّةِ بهدفِ التّقليلِ مِنْ هذِهِ المَشقّةِ، وزيادةِ سرعة النّتائجِ واتِّساقِها، فَمَنْ مِنّا قد لا يرغبُ في ذلكَ؟

2. الإعلانُ:

تسعى شركاتٌ مثلَ (إنتل) و(سوفتوير إيه جي) الألمانيّةِ، و (آي بي إم) وغيرِها مُنذُ فترةٍ إلى استخدامِ الذّكاءِ الاصطناعيِّ في مَجالَي التّسويقِ والإعلانِ.

وقد ظهرَتْ هذِهِ التّكنولوجيا في صورةِ «واجهاتٍ دعائيّةٍ» إلكترونيّةٍ مدعومةٍ بِـ (كاميرا) لِعَرضِ الإعلاناتِ، فعِندَما تلتقطُ (الكاميرا) صورةَ رَجُلٍ أمامَها فإنّها تَعرِضُ إعلانًا عَنْ إحدى السّيّاراتِ، وعندَما تلتقطُ صورةَ أُنثى فسوفَ تَعرِضُ إعلانًا عَنْ أَحدِ العطورِ، على سبيلِ المثالِ.

وبعيدًا عنْ فِكرَةِ التّنميطِ القائمةِ على النّوعِ الاجتماعيِّ، وغيرِ المَقبولةِ هُنا، فإنَّ هذِهِ التّقنيّةَ تُعدُّ تَقدُّمًا كبيرًا في مَجالِ الحَملاتِ الإعلانيّةِ إذا ما تَمَّ تَطويرُها بالشَّكلِ المُناسِبِ، وبالطَّبعِ سوفَ تُثيرُ هذِهِ التّقنيّةُ مسألةَ الحديثِ عن الخصوصيّةِ؛ لأنَّ (الكاميرا) لَنْ تقتصِرَ على كَشْفِ النّوعِ الاجتماعيِّ للفَردِ فَحسبُ، بَلْ ستكشِفُ عَن السِّنِّ والخَلفيّةِ العِرقيّةِ، وَرُبّما عَن الحالةِ المزاجيّةِ أيضًا.

ولكنْ، هَلْ نَودُّ الإفصاحَ عَن تِلكَ المعلوماتِ؟ رُبّما تكونُ الإجابةُ «نَعمْ»، ولكنْ عَلينا أَنْ نعملَ وفقَ مَبادِئَ وتَوجيهاتٍ نَضعُها الآنَ وَنَحنُ لا نزالُ في مراحلِ التّطويرِ الأولى.

3. الأسواقُ الماليّةُ:

لا شَكَّ أنَّ الأسواقَ الماليّةَ هي القِطاعُ المِثاليُّ لِتَطبيقاتِ الذّكاءِ الاصطناعيِّ، فَحجمُ التّداولِ الماليِّ يَشهدُ ارتفاعًا مُتزايدًا، وهو ما تُصاحِبُهُ زيادةٌ هائِلَةٌ في المعلوماتِ الفرعيّةِ ذاتِ الصِّلةِ، ونحنُ نُدرِكُ اليومَ أَنَّ بياناتِ التّداولِ لا تقتصِرُ على السِّعرِ الحاليِّ للسِّلعَةِ أَو القوّةِ الشِّرائيّةِ لِلْعُمْلَةِ، إذْ تدخلُ في ذلكَ أيضًا النِّقاشاتُ الهاتفيّةُ والبريدُ الإلكترونيُّ ومقاطِعُ (الفيديو) ذاتُ الصِّلَةِ بأيّةِ عَمليّةِ تَداولٍ مُحتمَلَةٍ، وهذِهِ البياناتِ كُلُّها يُمكِنُ تَعقُّبُها أيضًا.

وَيُمكنُنا استخدامُ تقنيّاتٍ تَتضمّنُ تحليلَ النّصوصِ التّحذيريّةِ وَمُعالجةَ اللُّغَةِ الطّبيعيّةِ لتحليلِ تِلكَ البياناتِ وَفَهمِها ضمنَ سياقِها، فَفَهْمُ معنى البياناتِ داخِلَ السّياقِ الّذي وردَتْ فيهِ هو المحورُ الّذي يدورُ حولَهُ الذّكاءُ الاصطناعيُّ، وَمِنْ هُنا سوفَ نتجاوزُ مرحلةَ الحديثِ عَنْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صُنْعِ القراراتِ لِنَنتقِلَ إلى مرحلةٍ أُخرى هي التّفكيرُ القائمُ على الأدلّةِ والقراراتِ المُستندةِ إلى الأحداثِ.

4. الرّعايةُ الصّحيّةُ:

الذّكاءُ الاصطناعيُّ في الرّعايةِ الصّحيّةِ لا يَعني تَصميمَ (الرّوبوتات) لتقديمِ الرّعايةِ إلى المرضى أَوْ تَطويرِ أجهزةِ استشعارٍ تَتنبّأُ بالأعراضِ الأولى لحالاتِ الاكتئابِ، فَكُلُّ هذِهِ الأمورِ لاتزالُ في المراحلِ التّجريبيّةِ. وَبَدلًا مِنْ ذلكَ يُستخدمُ الذّكاءُ الاصطناعيُّ في تحليلِ تَسلسُلاتِ (الجينوم) البَشَريِّ للتّنبّؤِ بالطّفراتِ والوقايةِ مِنَ الأمراضِ.

وَيُعَدُّ تطبيقُ (AiCure) مثالًا حَيًّا على ما نُطلِقُ عليهِ أساليبَ (العلاجِ الخاضعِ للمُلاحظةِ المُباشرةِ) عبرَ استخدامِ الهواتفِ الذّكيّةِ، فالمريضُ يُصوِّرُ نفسَهُ بتقنيّةِ (الفيديو) في أثناءِ تناولِ الدّواءِ، بينَما يستخدمُ التّطبيقُ تقنيّةَ التّصويرِ للتّأكُّدِ على امتصاصِ الجسمِ للدّواءِ، كما يتمُّ إنشاءُ مُحتوىً تَثقيفيٍّ وَتغذيةٍ راجعةٍ آنيّةٍ وَأَدواتٍ تحفيزيّةٍ أُخرى حسبَ حاجَةِ كُلِّ مريضٍ. وَصحيحٌ أنَّ المَريضَ يسمحُ لِجهازِ (كمبيوتر) مُزَوَّدٍ بخاصيّةِ الذّكاءِ الاصطناعيِّ أَنْ يُراقبَهُ، لكنَّ هذا الأمرَ يَصُبُّ -أَساسًا- في مصلحةِ المريضِ نفسِهِ.

5. السّيّاراتُ ذاتيّةُ القيادةِ:

لاتزالُ تكنولوجيا السّيّاراتِ ذاتيّةِ القيادةِ في مَراحِلِها الأولى، ولاشَكَّ أنّها تتطلَّبُ آلاتٍ لَدَيْها قَدْرٌ معقولٌ مِنَ الذّكاءِ، بَدْءًا مِنْ أجهزةِ استشعارِ الحركةِ إلى (الكاميرات) المُزوّدةِ بخاصيّةِ الإدراكِ المكانيِّ؛ لتصنيفِ «عقولِ» السّيّاراتِ ذاتيةِ القيادةِ ضِمْنَ فئةِ التّعلّمِ الآليِّ وَواجهةِ التّواصُلِ البَشريِّ الحاسوبيِّ.

وَلِضمانِ الأمانِ في أَثناءِ السَّيرِ عَلينا الوصولُ إلى المَرحلةِ الّتي لا تقتصرُ فيها أجهزةُ (الكمبيوتر) المُشغّلةُ للسّيّاراتِ على إدراكِ العواملِ الماديّةِ المُحَدّدةِ حولَها، بَلْ والعواملِ غيرِ المُحدّدةِ الّتي يصعبُ التّنبّؤُ بها، والنّاتجةِ عن الأفعالِ العشوائيّةِ للسّائقينَ البَشَريّينَ الّذين سَيشاركونَها الطّريقَ في البدايةِ على الأَقلِّ.

6. «روبوتات النّانو» والتّكنولوجيا الحيويّة:

سُمّيَتْ «روبوتات النّانو» بهذا الاسمِ نِسبةً إلى حَجمِها، (فالنّانو) يَعني واحِدًا مِنَ المليارِ،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وهكـذا (فالنّانومتـر) يُسـاوي واحِـدًا علـى مليـارٍ مِـنَ المِتـرِ.
و«روبوتـات النّانـو» عِبـارةٌ عـن «روبوتـات» بالغـةِ الصِّغـرِ، ويمكِـنُ إدخالُهـا إلـى مَجـرى الـدَّمِ لإعـادةِ بَرمجـةِ (الجينـات)، أو العمـلِ كَخلايـا بيضـاءَ فائقـةِ الـذّكاءِ بمـا يُعـزِّزُ مِـنَ الحِفـاظِ علـى حالتِنـا الصّحيّـةِ
وَتُطلـقُ علـى هـذِهِ التّقنيّـةِ أسـماءُ مُختلفـةٌ مثـلَ (النانويـد)، و(النانايـت)، وأجهـزةِ (النانـو)، و(النانومايـت)، وجميعُهـا لاتـزالُ فـي مراحلِهـا التّجريبيّـةِ، وَيتوقّـعُ العُلمـاءُ أنَّ «روبوتـات النّانـو» قـد تُصبِـحُ واقِعًـا خـلالَ الرُّبـعِ التّالـي مِـنَ القَـرنِ، وَرُبّمـا يُصبِـحُ اسـتخدامُها أمـرًا مُعتـادًا كَتنـاولِ حَبّـةٍ مِـنَ (الأسـبيرين).

7. الحكوماتُ:

أخيـرًا، وليـسَ آخِـرًا، يُعَـدُّ قِطـاعُ الحكومـاتِ مكانًـا مِثاليًّـا لتطبيقـاتِ الـذّكاءِ الاصطناعـيِّ، وقـد ضَربَـتْ دولـةُ الإمـاراتِ العربيّـةِ المُتّحـدةِ مِثـالًا في تطويـرِ العديدِ مِـنَ برامـجِ الحكومـةِ الإلكترونيّةِ الّتـي تسـتفيدُ- أيّمـا اسـتفادةٍ- مـنْ ذَكاءِ الآلـةِ فـي إدارةِ عَمليّاتِهـا.
والفِكـرَةُ الّتـي تقـومُ عليهـا حكومـاتُ الـذّكاءِ الاصطناعـيِّ تـرى أنَّـهُ بِإمـكانِ العُنصـرِ البَشـريِّ أنْ يضـعَ مجموعـةً مِـنَ الحقـوقِ والمَبـادئِ المُتّفـقِ عليهـا بصـورةٍ ديمقراطيّـةٍ، بحيـث تبقـى بعيـدًا عَـنْ تَدخُّـلاتِ السّياسـيّينَ وَهيمنَـةِ القـادَةِ.
وَيـرى بعضُهُـمْ أنّنـا سـوفَ نُطبِّـقُ مفاهيـمَ مُحـدّدةً مِـنَ الـذّكاءِ الاصطناعـيِّ مِـنْ أَجْـلِ (أَتمتـة) بعـضِ جوانـبِ العمـلِ الحكومـيِّ بَـدلًا مِـن اسـتبدالِهِ تَمامًـا.

العُنصرُ البَشريُّ في الذّكاءِ الاصطناعيِّ:

عنـدَ الحديـثِ عَـنْ تَطويـرِ الـذّكاءِ الاصطناعـيِّ اليـومَ لا ينبغـي أَنْ نُرَكِّـزَ المسـؤوليّةَ الكُبـرى الّتـي نتشـاركُ فيهـا جميعًـا علـى أجهـزةِ (الكمبيوتـر) نفسِـها، فنحـنُ نُـدرِكُ أنَّ التّطـوّرَ التّكنولوجـيَّ سَـريعٌ وواسِـعُ النِّطـاقِ، ولا نهايـةَ لَـهُ، ولـذا ينبغـي أنْ نوجِّـهَ تَركيزَنـا علـى العُنصُـرِ البَشـريِّ نفسِـهِ حتّـى يتسـنّى لَنـا تَطويـرُ الـذّكاءِ الاصطناعـيِّ بالصّـورةِ الّتـي نُريدُهـا دونَ أنْ تَخـرُجَ الأمـورُ عَـنْ نِطـاقِ سَـيطرتِنا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مركز اتصال وزارة التربية والتعليم
اقتراح - استفسار - شكوى

80051115

04-2176855

www.moe.gov.ae

ccc.moe@moe.gov.ae